الفكر الاجتماعي في الإسلام

دراسة تحليلية لبعض عناصر الفكر الاجتماعي
كما هي مجسدة في الحديث النبوي الشريف

اطروحة تقدم بها

شلال حميد سليمان

الى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد وهي جزء من
متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في علم الاجتماع

بإشراف

الأستاذ الدكتور
إحسان محمد الحسن

الأستاذ الدكتور
محسن عبد الحميد

١٤٢٦هـ **بغداد** **٢٠٠٥م**

بسم الله الرحمن الرحيم

لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ{١٢٨} فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ{١٢٩}

صدق الله العظيم

التوبة ١٢٨-١٢٩

إقرار المشرفين على الاطروحة

نشهد ان اعداد هذه الاطروحة جرى تحت اشرافنا في كلية الآداب / قسم الاجتماع وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في علم الاجتماع.

المشرف

التوقيع:

الاسم : الاستاذ الدكتور احسان محمد الحسن

المرتبة العلمية : استاذ

التاريخ: / /

المشرف

التوقيع:

الاسم : الاستاذ الدكتور محسن عبد الحميد

المرتبة العلمية : استاذ

التاريخ: / /

بناءً على التوصيات المتوافرة ، ارشح هذه الاطروحة للمناقشة.

التوقيع

الاسم : الأستاذة الدكتورة

ناهدة عبد الكريم حافظ

رئيسة قسم علم الاجتماع

التاريخ: / /

نشهد أننا أعضاء لجنة المناقشة ، اطلعنا على هذه الاطروحة ، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها ، وفيما له علاقة بها ، و نعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه في علم الاجتماع.

التوقيع
الاسم: أ.د. ناهدة عبدالكريم حافظ

التوقيع
الاسم: أ.د. إحسان محمد الحسن

التوقيع
الاسم: أ.د. محسن عبدالحميد

التوقيع
الاسم: أ.د. قيس هادي أحمد

التوقيع
الاسم: أ.م.د. نبيل نعمان إسماعيل

التوقيع
الاسم: أ.م.د. خليل إبراهيم أحمد

التوقيع
الاسم: أ.م.د. شفيق إبراهيم صالح

صدقت من قبل مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد

التوقيع
الدكتور فليح كريم خضير الركابي
عميد كلية الآداب
التاريخ: / /

شكر و تقدير

الحمد لله الذي لا اله إلا هو الرحمن الرحيم الذي بتوفيقه أنهيت هذا العمل العلمي، الذي أتمنى أن تكون فيه الفائدة للجميع، وان يجزينا عنه خير الجزاء.

يسرني وقد انتهيت من إعداد هذه الاطروحة أن أتقدم بجزيل الشكر و التقدير و وافر العرفان و الثناء للأستاذين الجليلين الأستاذ الدكتور إحسان محمد الحسن و الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد اللذين شرفاني بالإشراف على إعداد هذه الاطروحة . فكان لجهدهما العلمي و توجيهاتهم السديدة الأثر الكبير في إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود. وان نسيت فلا أنسى فضلهما و فيض كرمهما عليّ ، وأود أن اذكر صبرهما و تسامحهما و أدبهما و شموخ شخصيتهما و علمهما الغزير. فقد رعياني و تحملاني طوال مدة بحثي فجزاهم الله عني ألف خير ، وأدامهما لأهل هذا البلد الجريح الذي هو بأمس الحاجة لهما و لأمثالهما.

ولا بد من شكر رئاسة قسم الاجتماع و أساتذته الأجلاء ، الذين تشرفت بالتلمذة على أيديهم في السنة التحضيرية ، وعلى جهودهم و رعايتهم الكريمة ، فانا مدين لهما وفقهم الله و أدامهم لما فيه الخير.

وأخيرا اشكر من أعانني في تصحيح الأخطاء اللغوية الدكتور فليح كريم خضير الركابي.

إلى أسرتي الكريمة و إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل العلمي وقدم جهداً صغيراً أو كبيراً من الزملاء و الأصدقاء ، أقدم كل الحب و التقدير و الاحترام ، فجازاهم الله عني جميعاً خير الجزاء . و الله نسأل أن يوفقنا و على طريق الخير و العلم يسدد خطانا.

الباحث

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول : تحديد المفاهيم و المصطلحات العلمية	
مقدمة تمهيدية	٦
١- الفكر	٨
٢- الفكر الاجتماعي	٩
٣- التغير الاجتماعي	١٢
٤- العلاقات الاجتماعية	١٦
٥-القيم الاجتماعية	١٩
٦- التوازن الاجتماعي	٢١
٧- الحديث النبوي الشريف	٢٣
الفصل الثاني : الدراسات السابقة	
مقدمة تمهيدية	٢٧
اولاً: الدراسات العراقية:	٢٨
الدراسة الأولى : ((علم الاجتماع الديني)) للأستاذ الدكتور إحسان محمد الحسن	٢٨
الدراسة الثانية : ((أصول بعض عناصر الفكر الاجتماعي في الإسلام)). للأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد	٣١
الدراسة الثالثة: ((المضامين الاجتماعية في الحديث النبوي الشريف)) للباحثة نضال عيسى كريف النعيمي	٣٤
ثانياً : الدراسات العربية:	٣٥
الدراسة الرابعة : ((أصول الفكر الاجتماعي في القرءان الكريم)) للأستاذ زكريا بشير إمام	٣٥
الدراسة الخامسة :((الإسلام و علم الاجتماع)) للدكتور محمود البستاني	٣٧
ثالثاً:الدراسات الأجنبية:	٣٨
الدراسة السادسة : ((عناصر البناء الاجتماعي في الإسلام)) للبروفيسور دون مارتن ديل Prof. Don Martin dale	٣٨
الدراسة السابعة :((العدالة و المساواة كأسس مركزية في الإسلام)) للبروفيسور آرنولد توينبي Prof. Arnold Toynbee	٤١

الفصل الثالث : الإطار النظري و المنهجي	
المبحث الأول : الإطار النظري	٤٦
المبحث الثاني : الإطار المنهجي	٤٩
الفصل الرابع : الفكر الاجتماعي في الشرق القديم	
مقدمة تمهيدية	٥٥
اولا : الفكر الاجتماعي في العراق القديم	٥٦
ثانيا : الفكر الاجتماعي عند المصريين القدماء	٦٠
ثالثا : الفكر الاجتماعي في الهند القديمة	٦٢
رابعا : الفكر الاجتماعي في الصين القديمة	٦٦
خامسا : الفكر الاجتماعي في الديانة اليهودية	٧٠
سادسا : الفكر الاجتماعي في الديانة المسيحية	٧٤
الفصل الخامس : الإنسان في الفكر الاجتماعي الإسلامي	
المبحث الاول : اصل كلمة ((الإنسان)) و دلالتها	٧٩
المبحث الثاني : خلق الإنسان	٨٣
المبحث الثالث : طبيعة تكوين الإنسان	٨٦
المبحث الرابع : الطبيعة البشرية	٩١
الفصل السادس : الجماعة في الفكر الاجتماعي الإسلامي	
مقدمة تمهيدية:	٩٧
المبحث الأول : جماعة الأسرة.	٩٨
المبحث الثاني : جماعة الأقارب.	١٠٧
المبحث الثالث : جماعة الجيرة.	١٠٩
المبحث الرابع : جماعة الأصدقاء.	١١٣
المبحث الخامس : مظاهر الجماعة في شعائر الإسلام.	١١٦
الفصل السابع : المجتمع في الفكر الاجتماعي الاسلامي	
مقدمة تمهيدية	١٢٠
المبحث الاول: الفرد و الجماعة في المجتمع الإسلامي	١٢١
المبحث الثاني : البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي	١٢٧
المبحث الثالث : خصائص المجتمع الإسلامي و سماته	١٤١

الفصل الثامن : منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام	
مقدمة تمهيدية :	١٥٢
المبحث الاول : عوامل التغير الاجتماعي	١٥٤
المبحث الثاني : طبيعة التصور الإسلامي للتغيير الاجتماعي	١٦٢
المبحث الثالث : منهاج التغيير الاجتماعي في التصور الاسلامي	١٦٦
المبحث الرابع : اهداف التغيير الاجتماعي في الاسلام	١٧٠
المبحث الخامس : مسار عملية التغيير الاجتماعي في الاسلام	١٧٣
الفصل التاسع : الخلاصة و الاستنتاجات	١٨٠
المراجع و المصادر	١٨٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على رسول الهدى محمد و على آله و صحبه ومن اتبع سنته الى يوم الدين.

وبعد:

يحتل الفكر الاجتماعي مقام الصدارة في الواقع الاجتماعي للبشرية اليوم ، كما كان كذلك في تاريخ الامم و الشعوب ، و حركة الفكر الإنساني منذ أقدم العصور. ومن الطبيعي ان يكون الفكر الاجتماعي – الإسلامي – الذي تتطلع اليه الإنسانية و تبحث عنه خلال قرون كثيرة ، مثار للجدل و النقاش ، و باعث للأمل في نفوس الباحثين عن الحقيقة و مثير للقلق و التوتر في نفوس المحرفين الذين يسعون الى طمس معالمها ، لان منطق تلك الدعوة قائم على الحق و العدل و المساواة ، و عقيدتها و فلسفتها منطلقة من نظرة خاصة عن الكون و الإنسان و الحياة.

وتهدف دراسة الفكر الاجتماعي في الإسلام ، التي هي دراسة تحليلية لبعض عناصر الفكر الاجتماعي في الحديث النبوي الشريف الى توضيح معالم الفكر الاجتماعي الإسلامي و إبراز محتواه لتبديد النزعات المتطرفة و المحرفة ، و بلورة نزعة إنسانية تتجاوز من خلال جوهرها الفطري الأصيل كل الفوارق الجنسية و العنصرية و الطبقية ، باعتبارها فوارق طارئة تهدد أواصر الود و التراحم و التعاون و تضعفها ، و تمزق وشائج الرحم الواحدة التي قامت عليها قواعد الحياة الاجتماعية – فضلا عن ان الدراسة تهدف الى تجسيد حقيقة دور الفكر الاجتماعي الإسلامي في بناء المجتمع النموذج القائم على أساس النظرة المتوازنة الى كل مكوناته. على خلاف باقي العقائد و المذاهب الفكرية و الفلسفية التي وقعت في أتون التطرف ، و التي دفع ثمنها كل من الفرد و الجماعة و المجتمع ، من خلال الانحدار الى المنزلقات الخطرة على كيان كل منهما ، وعلى ما بينهما من صلات تقتضيها عملية التكامل و التوازن الاجتماعي.

لقد واجه الباحث في اطروحته صعوبات جمة تمثلت في معاناة منهجية و فكرية و سوسيولوجية كبيرة ، ناجمة عن قلة المصادر و الدراسات التي تناولت الفكر الاجتماعي الإسلامي و ندرتها ، مما حدا بالباحث الى استنباطها من الدراسات الفلسفية و الدينية و التاريخية و اللغوية التي تناولت موضوعات إسلامية – فضلا عن صعوبة الظروف و الأوضاع التي يمر بها بلدنا الجريح وما ترتب عليها من فقدان الأمن و الاستقرار الاجتماعي.

من هنا تعد الدراسة الحالية عن الفكر الاجتماعي الإسلامي انما هي دراسة رائدة تناولت المكونات الأساسية للكيان الاجتماعي على وفق المنظور الإسلامي – الفرد – الجماعة – المجتمع – فضلا عن عملية التغيير الاجتماعي و مسارها.

تعتمد هذه الدراسة على نظرية علمية و منهج متكامل في تفسير الحقائق و العمليات الاجتماعية . حيث اعتمدت هذه الدراسة على النظرية البنيوية الوظيفية و التي تفترض بان المجتمع مكون من أجزاء بنيوية متكاملة ، ولكل جزء من هذه الأجزاء وظائفه التي تشبع الحاجات الأساسية و الاجتماعية و الروحية للأفراد – وتؤكد على ان أي تغير يطرأ على احد الأجزاء لا بد ان ينعكس على البقية ، فالبنيوية لها القدرة على تفسير العلاقة بين الفكر و البناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي . فالفكر هو الذي يهيمن و ينظم البناء الاجتماعي للمجتمع بما فيه من تراكيب مادية و اجتماعية و سياسية ، وان البناء الاجتماعي لا يمكن ان يكون الا تابعا للفكر الاجتماعي الإسلامي.اما المناهج التي استعانت بها الأطروحة فهي المنهج التاريخي و المنهج الاستقرائي و المنهج الاستنباطي ، و التي تم التطرق اليها بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الثالث.

ان لهذه الأطروحة اهميتين أساسيتين أولهما : الأهمية النظرية و ثانيهما : الأهمية التطبيقية . فالأهمية النظرية تكمن في الإضافات الفكرية التي جاء بها الإسلام في موضوعات تتعلق بعناصر الفكر الاجتماعي ، و التي تفيدنا في فهم الطبيعة البشرية و مكوناتها الأساسية ، وفي فهم الجماعات الاجتماعية و دورها في عملية التكامل الاجتماعي و تحديد السمات و الخصائص التي يتسم بها المجتمع في التصور الإسلامي ، ان خصائص عناصر الفكر الاجتماعي في منظور الإسلام ي يمكن ان تقود الباحثين الى صياغة نظرية اجتماعية إسلامية تكون أساس في عملية نشوء علم اجتماع إسلامي.

اما الأهمية التطبيقية للاطروحة فهي ان كل موضوع من الموضوعات النظرية التي تناولها الفكر الاجتماعي يمكن ان يساعدنا في فهم آلية عمليات التفاعل الاجتماعي من خلال فهم الطبيعة البشرية و طبيعة الحياة الاجتماعية . ومثل هذا الفهم يمكننا من تطوير و تنمية المجتمع و النهوض به الى واقع جديد . كما تفيدنا الإضافات النظرية للفكر الاجتماعي الإسلامي باعتبارها دليل قائم للموازنة بين عناصر و مكونات الهيئة الاجتماعية دون إفراط او تفريط مما يقودنا الى عملية تغيير عبادي و اجتماعي متوازنة.

ان الدراسة برمتها تقع في تسعة فصول متكاملة . فالفصل الأول يتناول بالبحث و التحليل أهم المفاهيم و المصطلحات العلمية التي حددتها الدراسة و التي من خلال توضيح معانيها و دلالاتها تمكن القارئ من فهم الأطروحة و استيعاب مضامينها الاجتماعية . ومن المفاهيم التي تناولها الفصل هي ، مفهوم الفكر و الفكر الاجتماعي و القيم الاجتماعية و العلاقات الاجتماعية و التغير الاجتماعي و التوازن الاجتماعي و الحديث النبوي الشريف.اما الفصل الثاني فيتناول موضوع الدراسات السابقة التي تناولت دراسة احد عناصر الفكر الاجتماعي التي تناولتها الدراسة ، و تقع في ثلاثة مباحث وهي دراسات عراقية و دراسات عربية

و دراسات أجنبية ، فالأطروحة تسير وفقا لما جاءت به الدراسات السابقة ، الا انها تختلف عنها من حيث الإضافات التي قدمتها للموضوعات و العناصر التي تم دراستها.

اما الفصل الثالث من الأطروحة ، فقد تناول الإطار النظري و المنهجي و سبق ان تحدثنا عن هذين الإطارين في المقدمة بشيء من الإيجاز، و لا حاجة لذكر تفصيلات أخرى عن هذا الموضوع تجنبا للتكرار.

اما الفصل الرابع يتناول الفكر الاجتماعي في الشرق القديم باعتباره الموئل الأول للفكر و الحضارة ، حيث نجد هناك كم هائل من المعتقدات الروحية و الأفكار الاجتماعية و السياسية و مبادئ القانون التي تحدد ملامح الفلسفة الاجتماعية لتلك المجتمعات . و يقع هذا الفصل في ستة مباحث ، يتخصص المبحث الأول في دراسة الفكر الاجتماعية في العراق القديم ، و المبحث الثاني يدرس الفكر الاجتماعية عند المصريين القدماء ، اما المبحث الثالث فيدرس الفكر الاجتماعي في الهند القديمة و المبحث الرابع يتخصص بدراسة الفكر الاجتماعي في الصين القديمة . و المبحث الخامس يدرس الفكر الاجتماعي في الديانة اليهودية . و أخيرا المبحث السادس يدرس الفكر الاجتماعي في المسيحية.

في حين ان الفصل الخامس من الأطروحة يدرس الإنسان في الفكر الاجتماعي الإسلامي من حيث أصل مفردة (الإنسان) و دلالتها ومن حيث خلقه و طبيعة تكوينه فضلا عن سمات و خصائص الطبيعة البشرية التي يتميز بها .اما الفصل السادس فيتناول الجماعة في الفكر الاجتماعي الإسلامي ، حيث أولى الإسلام الجماعة أهمية خاصة و اعد الجماعة روح تسري في جميع مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي . اما الجماعات الاجتماعية الأولية الأربعة التي أولاها الإسلام أهمية خاصة فهي العائلة ، و القرابة ، و الجيران ، و الأصدقاء حيث تم أفراد مبحث خاص لكل منها . اما المبحث الخامس فتناول مظاهر الجماعة في شعائر الإسلام.

وهناك الفصل السابع الذي يتناول المجتمع من حيث عناصره الأساسية و بنيته الاجتماعية فضلا عن سماته و خصائصه في الفكر الاجتماعي الإسلامي.

اما الفصل الثامن من الأطروحة فيأخذ عنوان منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام و يقع هذا الفصل في خمسة مباحث هي عوامل التغيير الاجتماعي في الفكر الاجتماعي الإسلامي و مبحث طبيعة التصور الإسلامي للتغيير الاجتماعي من خلال سنن التغيير . و مبحث مناهج التغيير الاجتماعي في التصور الإسلامي الذي يبحث في آلية عملية التغيير . و المبحث الرابع يدرس أهداف عملية التغيير الاجتماعي في التصور الإسلامي ، و أخيرا المبحث الخامس يتبع مسار عملية التغيير الاجتماعي منذ لحظات شكلها الأولى الى لحظة نهاية التاريخ.

و هناك الفصل التاسع الذي يتناول بالدراسة و التحليل الخلاصة و الاستنتاجات التي توصلت اليها الأطروحة عبر فصولها الثمانية.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم و المصطلحات العلمية

مقدمة تمهيدية

١- الفكر	Thought
٢- الفكر الاجتماعي	Social Thought
٣- التغير الاجتماعي	Social Change
٤- العلاقات الاجتماعية	Social Relations
٥- القيم الاجتماعية	Social Values
٦- التوازن الاجتماعي	Social Equilibrium
٧- الحديث النبوي الشريف	Holy Prophetic

مقدمة تمهيدية:

تحديد المفاهيم ضرورة علمية ومنهجية تقتضيها عملية البحث العلمي، فهي تشكل حجر الزاوية في بناء فروضه ونظرياته، والمفاهيم التي يطرقها الباحث غالباً ما ترتبط بعضها ببعض بأسلوب لغوي وعلمي يساعده على بناء وتكوين الفرضيات والنظريات التي يتعامل معها. وعلى الباحث في بداية بحثه تخصيص حقل مستقل لتعريف وتحديد معاني المفاهيم العلمية التي يتناولها بحثه ليكون القارئ المختص أو غير المختص على بينة منها، ولكي يفهم الفرضيات والنظريات والنتائج النهائية التي تتوصل إليها الدراسة[١] وتعرف المفاهيم بأنها رموز لفظية لغوية تعبر عن أفكار عامة جردت من خلال الملاحظة العلمية[٢] والمفاهيم أيضاً هي وسائل رمزية يعتمد عليها الإنسان في التعبير عن المعاني والأفكار بغية توصيلها للآخرين، والمفاهيم غالباً ما تعبر عن الصفات المجردة التي تشترك فيها الأشياء والظواهر والحوادث مهما كانت طبيعية أو اجتماعية[٣] وتتكون المفاهيم نتيجة لتعميم جملة من الظواهر الفردية يتجرد الفكر في أثنائها مما هو عارض وغير جوهري إلى صياغة ما يعكس العلاقات الجوهرية الأساسية للأشياء والظواهر[٤].

لكل مفهوم علمي صفات بنائية وصفات وظيفية، فالصفات البنائية تعني بها الأفكار والنعوت التي تتكون منها المفاهيم، أما الصفات الوظيفية للمفاهيم فهي الوظائف والمهام والخدمات التي تؤديها المفاهيم والتي تساعد على فهم الفرضية أو النظرية. وتساعد المفاهيم الإنسان على التعرف بصورة أعمق للواقع المحيط به، إذ أن عملية معرفة الطبيعة والمجتمع ليست عملية انعكاس ميكانيكية في دماغ الإنسان، بل أنها عملية معقدة تصاغ فيها المفاهيم والقوانين[٥].

وعملية صياغة المفاهيم Conceptualization من الصعوبة بمكان لأنها تمثل استنتاجات على مستوى عالٍ من التجريد من أحداث ملموسة ولا يمكن توصيل معناها بسهولة من خلال الإشارة

---

(١)الحسن، إحسان محمد،(د) الحسني، عبد المنعم (د)، طرق البحث الاجتماعي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨١، ص٧١.

(2) Fairchild H. P., Dictionary of Sociology, New York, Free Press, 1976, P. 56.

(٣) الحسن، إحسان محمد،(د) الحسني، عبد المنعم، (د)، طرق البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص٧٣.

(٤) الماجد، عبد الرزاق مسلم، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، ترجمة وتأليف منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بلا سنة طبع، ص١٠٥.

(٥) المصدر السابق، ص١٠٦.

إلى موضوعات معينة أو أفراد أو أحداث[١] والمفاهيم التي تعتمد عليها الأبنية الفرضية لا تحتاج فقط إلى أن تكون محددة بعناية وإنما تحتاج أيضاً إلى ترجمتها إلى أحداث يمكن ملاحظتها بعناية سيترتب عليها بيانات يمكن أن تكون مقبولة كمؤشرات على هذا البناء الفرضي. وهذا ما يدعى بالتعريف الإجرائي Operational Definition، أي استخدام سلسلة من الكلمات ترسم بوضوح أفعال يمكن ملاحظتها أو أدائها أو عمليات يمكن اختبارها والتحقق منها بمعرفة الآخرين[٢].أما الأسباب التي تكمن وراء تخصيص فصل مستقل للمفاهيم والمصطلحات العلمية عديدة لعل من أهمها:-

١- تمكن القارئ من استيعاب وفهم وإدراك معاني المفاهيم الواردة في البحث مما يساهم بدوره في تسهيل مهمة القارئ لفهم موضوع البحث ومعاينة كل ما يتعلق به من مباحث وفصول[٣].

٢- إن دراسة وتحليل دلالات ومعاني كل مفهوم تمكن القارئ من أن يلم بالمفهوم والمصطلح وما ينطوي عليه من معاني ودلالات مما يوفر فهماً أعمق لفرضيات البحث ونظرياته.

٣- تعد المفاهيم والمصطلحات العلمية في أي بحث أو دراسة المفاتيح المركزية التي من خلالها يستطيع الباحث أن يصوغ الفرضية وأن يبني النظرية التي تحلل الموضوع إلى عناصره الأولية وتعطيه أبعاده ومضامينه الأساسية[٤].

٤- أما التعريف الإجرائي الذي يصوغه الباحث بعد استعراضه للمفاهيم التي ذكرها العلماء والمختصون، ويطبق تطبيقاً إجرائياً على موضوع الدراسة المزمع القيام بها[٥].

وفيما يلي المفاهيم التي سنعرضها في هذا الفصل:-

١- الفكر: Thought

(١) جلبي، علي عبد الرزاق (د)، تصميم البحث الاجتماعي الأسس والاستراتيجيات، دار المعرفة الجامعية، أسكندرية ١٩٨٦، ص٣٤.

(2) Young, P. V., Scientific Social Survey and Research, op. cit., PP- 116-117.

(3) Back, W. T. and et al. Modern Issue's In social Research, John Wiley and sons, New York, 1983. P-33.

(4) Ibid, P-41

(5) Ibid, P-43.

الفكر في اللغة هو أعمال الخاطر في الشئ[١] ويعني أعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول[٢] والتفكر التأمل، والاسم الفِكرُ والمصدر الفكر[٣] ويعرف أيضاً بأنه تصور ذهني أو قوة تبعث أفكاراً أخرى وتدفع إلى العمل[٤] وهكذا جاء الفكر في معاجم اللغة العربية يفيد معنى التأمل وإمعان النظر والتدبر.

أما معجم وبستر(Webster) فيعرفه بأنه مظهر الشيء عند مقابلته لواقعه. وهو قد يكون مفهوماً عقلياً أو رأي أو اعتقاداً[٥].والتفكير اصطلاحاً يطلق معناه الخاص على العقل من حيث يدرك موضوعه إدراكاً أعلى من الإدراك الحسي والتخيل والتذكر[٦] ويعرف الفكر بأنه نقيض الانطباع فهو يرمز لصورة العمليات الفكرية والإدراكية[٧].والفكر هو أعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها. ويطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية، وهو مرادف للنظر العقلي، والتأمل، ومقابل للحدس[٨].

وللفكر عند الفلاسفة ثلاث معان.

الأول: حركة النفس في المعقولات، سواء كانت من المطالب إلى المبادئ، أم من المبادئ إلى المطالب، وهذا المعنى الذي يتضمن معنى الحركة يخرج الحدس، لأن الحدس إنما هو انتقال من المبادئ إلى المطالب دفعة لا تدريجاً. أما الفكر فهو حركة وانتقال، والأولى أن يشترط في معنى الفكر القصد، لأن حركة النفس في المعقولات، بلا اختيار، كما في المنام، لا تسمى فكراً.

الثاني: حركة النفس في المعقولات مبتدئة من المطلوب المتصور إلى مبادئه الموصلة إليه إلى أن تجدها وترتبها فترجع منها إلى المطلوب.

فالفكر بهذا المعنى يشمل حركتين: من المطالب إلى المبادئ، ومن المبادئ إلى المطالب.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الخامس، ط٣، ص٦٥.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، ج٢، ص٧٠٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص٦٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٧، ص٦٩٩.

(5) Noah, Webster – Webster New York Twentieth century Dictionary. Second Edition, William Collins, 1978 – P-902

(٦) الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، ص٢٥٥.

(٧) الحنفي، عبد المنعم (د)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، ج١، ١٩٧٥، ص٣٧٦.

(٨) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩، ج٢، ص١٥٤.

الثالث: هو الحركة من المطالب إلى المبادئ من غير أن توجد الحركة الثانية معها، وهذا هو الفكر الذي يقابل الحدس تقابلاً يشبه الصعود والهبوط. لأن الانتقال من المبادئ إلى المطالب دفعةً يقابله عكسه الذي هو الانتقال من المطالب إلى المبادئ وإن كان تدريجياً[١].

وقال ابن سينا: ((وأعني بالفكر، ما يكون عند إجماع الإنسان أن ينتقل عن أمور حاضرة في ذهنه متصورة أو مصدق بها تصديقاً علمياً أو ظنياً أو وصفاً وتسليماً إلى أمور غير حاضرة فيه، وهذا الانتقال لا يخلو من ترتيب))[٢].

ويلاحظ صليبا أن جميع هذه المعاني تخرج الانفعالات أو العواطف والغرائز، من مفهوم الفكر[٣].

ويمكن أن نشتق تعريفاً إجرائياً مفاده أن الفكر هو مجمل النشاط المعرفي الذي يفضي إلى تصور ذهني يحمله الإنسان عن واقعه، وينتج عن عملية التأمل والتدبر القائم على إدراك وتحليل ما يدور حوله من ظواهر وأحداث.

٢- الفكر الاجتماعي: Social Thought

يعرف الفكر الاجتماعي بأنه صورة المجتمع أو الكون أو الذات التي يحملها الفرد في عقله، وعند فحصها تظهر بعض العناصر المستقلة عنها، والتي تدعى بالأفكار[٤].كما يعرف بأنه الطبيعة الغالبة لنمط من الأفكار التي يتبناها المجتمع أو الجماعة أو هو ذلك الجزء من الفكر المتعلق بإدارة شؤون المؤسسات وتنظيم الأنشطة الاجتماعية[٥]. ويعرف أيضاً بأنه منظومة الأفكار والعقائد التي تقف خلف أسلوب حياة كل فرد وكل جماعة إنسانية متجانسة في أي مرحلة من مراحل تاريخها، ويؤدي ذلك إلى منح الجماعة درجات محددة من الحس بالانسجام والوحدة من الناحيتين الفكرية والعاطفية[٦]

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٤) ماج، جارلس،(المجتمع في العقل) ترجمة،(د)، إحسان محمد الحسن. دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠، ص٩.

(٥) الحسن، إحسان محمد، (د)، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص٤٨٩.

(١) النوري، قيس (د)، والحسني، عبد المنعم (د)، النظريات الاجتماعية، دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص١٩.

إن التقدم في مجال الفكر الاجتماعي كان نتيجة لنمو الحضارة التي أسهمت فيه الكثير من المجتمعات عبر مراحل تاريخية عديدة[١]. ونمت وتطورت حضارات عملاقة في مختلف أنحاء المعمورة، بلغت مرحلة متقدمة من السمو العمراني والإنساني. ونضجت من خلال ذلك منظومات فكرية وعقائد دينية مختلفة[٢]. وعندما نجد في تلك المنظومات الفكرية والعقائد الدينية محاولات واعية لفهم الظواهر الاجتماعية وتشخيصها وتفسير وتحليل الجوانب الأساسية للنظم والعلاقات الاجتماعية، ستكون هذه المحاولات هي نقطة البداية لنا للبحث عن أصول الفكر الاجتماعي.

فالصعوبة التي تواجه دراسة الفكر الاجتماعي وفي تحديد بدايته. أنه لم يكن هناك تمييز محدد ودقيق للفلسفة الاجتماعية عن الدينية والاقتصادية والنظريات السياسية. بالرغم من الكم الهائل من المعتقدات الدينية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن مبادئ القانون التي كانت موجودة في الشرق القديم[٣].

ويمكن أن نلتقط أفكار اجتماعية أصيلة سواء كانت في المجال الوصفي أم التطبيقي من السجلات البابلية، ولاسيما من شريعة حمورابي. ويمكن، أن نجدها في أعمال المصريين القدماء. وإن كثير من الاهتمامات السوسيولوجية توجد في كتب الهند القديمة. وكذلك فإن تعاليم الأنبياء مليئة بالاهتمامات السوسيولوجية والانثروبولوجية، وإن كثير من مبادئ الدينية الصينية جاءت من عهود هي أبعد في قدمها من عهود الفلاسفة الإغريق العظام[٤].

وهذا يعني أن الفكر الاجتماعي ظهر لدى مفكري الشرق الذين سبقوا فلاسفة اليونان في الوصول إلى طائفة غير يسيرة من الأفكار والنظريات التي رددها اليونانيون وغيرهم فيما بعد[٥].

وجاء الإسلام ليخلق نمطاً جديداً للفكر الاجتماعي، وليحدد علاقة الإنسان بالكون والحياة وبرز

وبارزة في شعائر هذا الدين وفرائضه. فالعبادة فيه تشمل النشاط الإنساني كله، فكل فعل اجتماعي إيجابياً هو عبادة.

---

(٢) ديورانت،وول، قصة الحضارة، ج٢، م١، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، ١٩٥٦، ص٩٧-ص٩٩

(٣) سعفان، حسن شحاتة (د)، تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية، مطبعة دار التأليف، ط١، ١٩٧٥، ص٥.

(4) Harry Elmet Barnes. An introduction to the History of Sociology-The University of Chicago Press. P. 3.

(5) Ibid, P-4.

(٦) الخشاب، مصطفى، (د) ، علم الاجتماع ومدارسه، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢ ،١٩٥٦،ص٨.

والجدير بالذكر أن العديد من المفكرين حاول النفاذ وبعمق داخل هذه الأنساق الاعتقادية وكانت نتيجة ذلك ظهور علم الاجتماع الديني[١].

إن الاهتمام بالدراسات الاجتماعية للأديان لم تتطور إلا بعد ازدياد القلق في المجتمعات الصناعية من تنامي انتشار المشاكل الاجتماعية وما ينجم عنها من تفكك اجتماعي وفوضى تعم المجتمع[٢].

وهذه محاولة تبذل للبحث في أصول الفكر الاجتماعي الإسلامي من خلال تحليل الأحاديث النبوية كونها محاولة نموذجية لترجمة القواعد والمعايير الإسلامية إلى أفعال بشرية يحتذى بها.

تواجه دارس الفكر الاجتماعي صعوبة في تحديد هذا المفهوم، فمنذ البداية ظل الفكر الاجتماعي ومازال يتسم بالطابع التجريدي والرمزي على الرغم من الوجود المادي للمجتمع. فالحقائق الاجتماعية مع أنها تخضع للملاحظة العملية ويستعان بالحواس في تشخيصها وتحديدها، إلا أن الباحث الذي يسعى لوصفها وتحليلها أو وضع المبادئ النظرية عنها يجد نفسه مضطراً إلى صبها في عبارات مجردة ترتقي إلى مستوى الفكر الفلسفي والاجتماعي الرمزي.

فالآراء والمفاهيم الاجتماعية هي حقائق متصورة تسمو على الوجود المادي للظواهر والأفراد. وإذا حاولنا التخلص من جميع النتائج الفكرية والنظرية المجردة والاكتفاء بالنظرة الحسية لمجريات الحياة فإن ذلك سيؤدي إلى إفقار معرفتنا العلمية وإفراغها من مضامينها العقلية الطموحة[٣].

ومن هذه التعاريف المختلفة للفكر الاجتماعي نستطيع أن نشتق تعريفاً إجرائياً مفاده: أن الفكر الاجتماعي هو منظومة العقائد والأفكار التي يؤمن بها مجتمع ما أو جماعة لتحدد ملامح نظامهم، وتمنحهم الوحدة والانسجام من الناحيتين الفكرية والعاطفية، ولتنظم أنشطتهم وتسهم في إدارة شؤونهم.

٣- التغير الاجتماعي: Social Change

يتعرض أي نظام اجتماعي للتغير بشكل أو بآخر في جميع الأزمنة والمواقع الجغرافية، فأعضاؤه يتقدمون في السن، وخلال عملية تقدمهم في السن تتعرض أجسامهم إلى التحولات الفيزيولوجية، فتتبدل أدوارهم ومسؤولياتهم الاجتماعية بعد أن تزداد حلقات انتمائهم إلى المنظمات

(١) بيومي، محمد أحمد محمد (د)، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١، ص١١.

(٢) المصدر السابق، ص١٠.

(٣) النوري، قيس (د)، والحسني، عبد المنعم (د) ، مصدر سابق، ص ١٤-١٥.

الاجتماعية وتتغير أنماط علاقاتهم وتتضاعف الضغوط المتعارضة المسلطة عليهم نتيجة احتكاكهم وتفاعلهم مع المجتمع[١].

فطبيعة المجتمع الإنساني تتغير باستمرار، وسلوك الفرد يتغير و قواعد الجماعة وقيمها تتغير والنظم والأنساق والأنماط البنائية تتغير والحضارة الإنسانية تتغير كذلك.لكن نوع وطبيعة التغير تختلف من مجتمع للآخر ومن فترة زمنية إلى أخرى[٢].

ويشير التغير الاجتماعي إلى أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي، والنظم والعادات، وأدوات المجتمع نتيجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك أو كنتاج لتغير إما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الطبيعية أو الاجتماعية[٣]. ويقصد بالتغير الاجتماعي أنواع التطور التي تحدث تأثيراً في النظام الاجتماعي، أي التي تؤثر في بناء المجتمع ووظائفه[٤].

ويعرف التغيير الاجتماعي بأنه التحول الذي يحدث في التنظيم الاجتماعي سواء في تركيبه أم بنائه أم في وظائفه[٥] ويعرف أيضاً بأنه التحول الذي يطرأ على النظام الاجتماعي، سواء كان ذلك في البناء أم الوظيفة، خلال مدة زمنية محددة. وقد يحدث هذا التحول في بنية أو وظيفة الأنساق الاجتماعية المختلفة أو في أنماط العلاقات بين الأفراد والجماعات أو في الوظائف والأدوار الاجتماعية أو في القيم والعادات[٦].

أساسية وهي مرحلة البداوة والمرحلة الريفية وأخيراً المرحلة الحضرية[٧].

ويعني روس Ross بالتغير الاجتماعي التعديلات التي تحدث في المعاني والقيم التي

---

(١) الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع دراسة نظامية، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٦، ص٢٧٨.

(2) Beirsted, Robert, " The Social Order " McCraw – Hill, Book co. Inc. New York, 1957 P- 495.

(٣) غيث، محمد عاطف (د)، قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩، ص٤١٥.

(٤) مدكور، إبراهيم (د)، وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص١٦٥.

(٥) عبد الباقي، زيدان (د)، علم الاجتماع الحضري والمدن العصرية، القاهرة ١٩٧٤، ص٢٣.

(١) غضيبات، عاطف العقلة، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، بحث منشور في كتاب الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص١٤٠.

(٢) حسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع، دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٤٥.

تنتشر في المجتمع أو بين بعض جماعاته الفرعية[١] ويعرف إميل دوركهايم التغير الاجتماعي بأنه عملية التحول التاريخي للمجتمعات البدائية والتقليدية ذات التضامن الميكانيكي ويسود فيها شعور جمعي قوي يعكس تجانساً قيمياً وعقائدياً والعلاقات الاجتماعية منسوجة على أساس روابط القرابة وتقسيم العمل فيها بسيط قائم على أساس العمر والجنس إلى مجتمعات متحضرة مركبة تركيباً معقداً ويكون تضامنها عضوياً وضعف الشعور الجمعي فيها يعكس تشعباً وتنوعاً في بنائها، وعلاقاتها الاجتماعية قائمة على أساس المصلحة الشخصية والوظيفة المهنية وتقسيم العمل فيها معقد قائم على أساس التخصص المهني الدقيق[٢].

ويصف هربرت سينسر عملية التغير الاجتماعي بأنها حركة طبيعية وحتمية يتحول من خلالها المجتمع البسيط الذي يتكون من مجموعة من الأسر تعتمد على نظام بسيط لتقسيم العمل يسودها العرف تجهل القوانين المدونة، ذات مستوىً معيشي واطيء إلى مجتمع مركب تتحد الأسر فيه في عشائر، ثم يتحول المجتمع المركب إلى مركب تركيباً ثنائياً يتكون من عشائر تتحد في قبائل، وتقوده حكومة ويؤمن بدين له أهمية في تنظيم السلوك وتحديد أخلاقيات الجماعة، وتتحول فيه العادات والتقاليد إلى قوانين شرعية معقدة تنمو فيه المهن ثم يتطور المركب تركيباً ثنائياً إلى مركب تركيباً ثلاثياً تتحد فيه القبائل في أمم أو دول وتتميز بارتفاع مستواها المعيشي ونظمها السياسية والاجتماعية[٣].

وحدد ويلبرت مور Wilbert, E. Moore ملامح التغير الاجتماعي في المجتمع المعاصر على النحو التالي:

أ- يحدث التغير في أي مجتمع أو حضارة ويكون إما مستمراً أو متقطعاً.

ب-لا يمكن عزل التغيرات من حيث الزمان أو المكان لأنها تحدث في سلسلة متعاقبة ومتصلة الحلقات تتبعها مراحل إعادة البناء، كما أن النتائج التي تترتب عليها يتردد صداها في العالم كله.

ت-إن نسبة التغير في الوقت الحاضر هي أعلى من نسبة التغير في الزمن السابق.

ث-يكون التغير سريعاً في مجالات التكنولوجيا المادية وفي السياسات الاجتماعية.

---

(٣) غيث، محمد عاطف (د)، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤١٥.

(4) Durkeim, Emile. Division of Labour in society, New York, The Free Press 1956- P-P 130-132.

(٥) الحسن، إحسان محمد (د)، رواد الفكر الاجتماعي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص٢٠٨ ص٢١١.

ج- للتغير تأثير واسع على التجربة الفردية والجوانب الوظيفية للمجتمعات في العالم المعاصر وذلك لتعرض جميع أجزاء المجتمع لعمليات التغير[١].

ويمكن تعريف التغير الاجتماعي بالتحول التلقائي أو المخطط الذي يطرأ على البنى التحتية والفوقية للمجتمع إذ تتحول هذه من نمط بسيط إلى نمط معقد ومتشعب يتماشى مع طموحات وأهداف النظام الاجتماعي. ويوصف التغير الاجتماعي على أنه الانقلاب الذي يحدث في بنية المجتمع، لينقله من مرحلة حضارية واطئة إلى مرحلة حضارية راقية ومتطورة[٢].

هناك أشكال عديدة للتغير الاجتماعي، فالتغير لا يكون على نمط واحد طالما أن أهدافه وبيئاته الحضارية تكون مختلفة. حيث تم تصنيف التغير إلى الأشكال التالية:-

أ- التغير الاجتماعي الدائري: Circular Social Change

ترتكز هذه النظرية على فكرة تشبيه الكائن الاجتماعي بالكائن الحيواني من ناحية النشأة والتكوين والنضج والاكتمال ثم الهرم والشيخوخة. ويترتب على هذا القياس التشبيهي الاعتقاد بأن هناك قانوناً يجعل المجتمع يسير في خط دائري. فالمجتمع في بدايته يكون بسيطاً وضعيفاً ولكن تراكيبه تتشعب شيئاً فشيئاً وتزداد درجة قوته وعنفوانه بحيث يدخل في مرحلة الشباب. لكن بمرور الزمن سرعان ما يأخذ بالضعف والتدهور التدريجي إلى أن ينتهي بمرحلة السقوط والتحلل[٣].

ب- التغير الاجتماعي الخطي:

[illegible] باستمرار وتغيرها يكون نحو أهداف محددة ومرغوب فيها. علماً بأن هذا التغير لا يتمخض عنه تكرار الحوادث التي وقعت في الزمن الماضي بل يتمخض عنه وصول المجتمع إلى مراحل سامية ومتطورة تتميز بالفاعلية والتشعب والقدرة على تلبية طموحات الإنسان والجماعة[٤].

ت- التغير الاجتماعي التطوري: Inevitable Social Change

---

(١) ميشيل، ديتكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٧٦.

(٢) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص١٩٤.

(٣) الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع، دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٢٥٤.

(١) المصدر السابق، ص٢٥٥.

يعتقد أصحاب نظرية التغير الاجتماعي التطوري، بأن تغير المجتمعات الإنسانية يخضع إلى قانون التطور. والذي يجعل حركة التغير تسير عبر مراحل تطورية متعاقبة تتفاوت درجات تعقيدها ورقيها بصورة متوالية من البسيط إلى المعقد ومن الأوطأ إلى الأرقى[١]. وأطلق على ذلك بالاتجاه التطوري الأحادي الامتداد، ويعني الالتزام بهذا الاتجاه التأكيد على أن مراحل التطور التي تمر بها المجتمعات الإنسانية هي نفسها من حيث العدد والتكرار والتعاقب في التاريخ التطوري لكل أمة[٢].

ث- التغير الاجتماعي المخطط: Planned Social Change

هو ذلك التغير الذي يتماشى مع مبدأ تدخل الدولة في تنظيم وبرمجة المجتمع، وذلك من أجل تحقيق الصالح العام. وأكد العالم الاجتماعي فرانك وورد أن التغير الاجتماعي يمكن التخطيط له مقدماً والتكهن بآثاره وانعكاساته، كما يمكن السيطرة على زخمه ووضع السبل والأساليب التي يمكن أن تحقق أهدافه وبرامجه[٣].

ج- التغير الاجتماعي ألانتشاري: Diffusional Social Change

ترتكز هذه النظرية على انتقال وانتشار المركبات الحضارية من مواطنها الأصلية إلى مجتمعات أخرى تتبناها بشكل من الأشكال وتتأثر بها اجتماعياً وحضارياً وتكنولوجياً. والانتشار هو أساس جوهري من أسس التغير الحضاري في المجتمعات كافة[٤]. وتزداد أهمية الانتشار اليوم أكثر

الكونية.

ويمكن أن نشتق تعريفاً إجرائياً للتغير الاجتماعي:

هو عبارة عن سلسلة متعاقبة من التحولات الاجتماعية التي تصيب النظام الاجتماعي سواء كان ذلك في البناء أم الوظيفة، وتتسم تلك التحولات بالديمومة والاستمرار لكنها قد لا تكون على وتيرة واحدة وتؤثر على أجزاء النظام بنسب متفاوتة.

---

(٢) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص١٩٤.

(٣)الحسن، إحسان محمد (د)، علم الاجتماع، دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٥٦.

(3) Martindale, D. The Nature and Types of Sociological Theory, Boston, Houghton Mifflin, 1981, P-86.

(١) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص١٩٨.

٤- العلاقات الاجتماعية: Social Relations

العلاقة في اللغة هي رابطة من قبيل المحبة والخصومة ونحوهما. والعلاقة أيضاً هي رابطة بسببها يتعلق الأول والثاني كالعلية والتضايف[١].وتعرف العلاقات الاجتماعية بأنها أي اتصال أو تفاعل بين شخصين أو أكثر من أجل إشباع حاجات الأفراد الذين يكونونها[٢]. كما تعرف بأنها الروابط والآثار المتبادلة التي تنشأ استجابة لنشاط أو سلوك مقابل[٣].وتعرف العلاقات الاجتماعية أيضاً بأنها الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم وأحاسيسهم واحتكاك بعضهم ببعضهم الآخر ومن تفاعلهم وانصهارهم في بودقة المجتمع[٤].

وتعد العلاقات الاجتماعية أنموذج للتفاعل الاجتماعي المتبادل والذي يستمر فترة معينة من الزمن تؤدي إلى ظهور مجموعة توقعات اجتماعية ثابتة[٥].وتعرف أيضاً بأنها مجموعة التفاعلات الاجتماعية والنفسية التي تنشأ من اتصال الفرد بالآخرين، وهي تعكس لنا نماذج الشخصية والأبعاد الاجتماعية بين الأفراد ومبلغ عمق الوجدان العاطفي، وتحليلها يعطينا دلالات موضوعية لفهم السلوك الإنساني وطبيعة المشكلات الفردية والجماعية والمجتمعية التي ترجع بمجملها إلى عوامل تن

والعلاقات الاجتماعية هي مجموعة من التفاعلات الاجتماعية المتبادلة والمترابطة بعضها من بعض. وكل علاقة اجتماعية مكونة من مجموعة من الأفعال المترابطة ، فالفعل هو الوحدة الأساسية التي يتكون من مجموعها العلاقات الاجتماعية[٧] وتستلزم العلاقات الاجتماعية توفر ثلاث شروط أساسية هي:-

١- وجود الأدوار الاجتماعية التي يشغلها الأفراد الذين يكونون العلاقة الاجتماعية.

---

(٢) الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي ، التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ٨٨-٨٩، بدون سنة طبع.

(٣) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤٠٥.

(٤) مدكور، إبراهيم (د)، وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٤٠٢.

(٥) المصدر السابق، ص٤٠٣.

(٦) غيث، محمد عاطف (د)، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤٣٧.

(١) مدكور، إبراهيم (د)، وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٤٠٣.

(٢) العاني، عبد اللطيف عبد الحميد (د)، وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الكتب، بغداد، ص٩٩.

٢- وجود مجموعة رموز سلوكية ولغوية يستعملها أطراف العلاقات الاجتماعية.

٣- وجود هدف أو غاية تتوخى العلاقات الاجتماعية إشباعها والإيفاء بالتزاماتها[١].

وتصنف العلاقات الاجتماعية إلى علاقات معيشية مبنية على عامل الاختلاف في الوظائف وفي مطالب الحياة فتكون علاقات تعاونية، كالعلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة. أما علاقات المشاركة في العيش فهي علاقات تنافسية مبنية على عامل التشابه وتظهر بين الأفراد الذين تكون مطالبهم في الحياة متشابهة كالعلاقة بين أعضاء النقابات المهنية[٢].

وقسم ماكس فيبر العلاقات الاجتماعية على قسمين: العلاقة الاجتماعية المفتوحة والأخرى المغلقة.فالأولى تقبل الأفراد الراغبين في إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين وعادة تكون خالية من المنافع المادية المتبادلة، بل يكون أساسها الود والاحترام المتبادل. والثانية تكون علاقة اجتماعية محصورة بين الأقارب أو المنتمين إلى طبقة اجتماعية واقتصادية واحدة. تربط هذه العلاقة بين أصحاب ذوي المصالح المتبادلة من أجل إشباع حاجات ورغائب مادية أو معنوية[٣].

ويقسم كنكزلي ديفز العلاقات الاجتماعية على أساس قيم معيارية على قسمين: الأولية والثانوية.

العلاقات الاجتماعية الأولية هي علاقات شخصية تظهر ضمن جماعات صغيرة الحجم تد[illegible]

التكلف والمجاملة. كالعلاقات القرابية والجيرة والأصدقاء.

أما العلاقات الاجتماعية الثانوية وهي علاقات سطحية تظهر ضمن الجماعات الكبيرة، لا تدوم زمناً طويلاً، وهي علاقات وسيلية ورسمية بعيدة عن المشاعر، تزداد وتتعدد في المجتمعات الصناعية. أساسها المنفعة، كالعلاقة بين البائع والمشتري[٤].

لقد ميز علماء الاجتماع بين العلاقات الاجتماعية العمودية والأفقية:

فالعلاقات الاجتماعية العمودية (Vertical Social Relations) هي الاتصال أو التفاعل بين شخصين أو أكثر يحتلون مراكز اجتماعية وظيفية مختلفة من حيث المنزلة والمركز وطبيعة الخدمة.

---

(٣) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤٠٦.

(٤) العاني، عبد اللطيف عبد الحميد (د)، وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الكتب، بغداد، ص١٠٠.

(3) Weber, Max. "Basic concepts in Sociology " Translated by Scher, H. P. The cited Press. New York, 1968. P-98.

(4) Davis, Kingsley. " Primary and Secondary Relationship " McNall, Scott ed. The Sociological perspective. Little, Brown and Co. Boston, 1968, P-176.

أما العلاقات الاجتماعية الأفقية (Horizontal Social Relations) وهي الاتصال أو التفاعل الذي يقع بين شخصين أو أكثر يحتلون مراكز اجتماعية وظيفية متساوية[١].

ويجري أيضاً تمييز بين العلاقات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية:

فالعلاقات الاجتماعية الرسمية (Formal Social Relation) وهي العلاقة التي يحدد أسسها ومفاهيمها القانون الرسمي للمؤسسة. والقانون الرسمي للمؤسسة يحدد الأدوار الوظيفية لأفرادها ويثبت واجباتها وحقوقها الاجتماعية، فضلاً عن قيامه بتعيين علاقتها وقنوات اتصال أدوارها الأساسية.

غير أن العلاقات الاجتماعية الرسمية في المؤسسة إنما تتأثر بثلاثة عوامل أساسية هي:

١- طبيعة الأدوار الاجتماعية لأفراد المؤسسة.

٢- القنوات الرسمية للاتصالات الاجتماعية بين مراكز وشعب المؤسسة.

٣- ميول واتجاهات ومصالح وأذواق وظروف شاغلي الأدوار القيادية والقاعدية.

أما العلاقات الاجتماعية غير الرسمية (Informal Social Relations) وهي الاتصال والتفاعلات التي تقع بين أعضاء المؤسسة مهما تكن أدوارهم الوظيفية والتي لا تحددها القوانين والإجراءات الرسمية بل تحددها مواقف وميول واتجاهات ومصالح الأفراد الذين يكونونها ويدخلون في إطارها[٢].

يمكن أن نشتق تعريفاً إجرائيا للعلاقات الاجتماعية:

هي روابط اجتماعية متبادلة بين أفراد الجماعات الاجتماعية وهي وسيلة الاتصال والتفاعل بينهما من أجل إشباع حاجاتهم من خلال نمط من التوقعات ورموز سلوكية ولغوية، وهي مطلب لكل نشاط اجتماعي.

٥- القيم الاجتماعية: Social Values

يعد مفهوم القيم من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضاً، ويعود سبب هذا الغموض إلى ارتباط القيم بالتراث الفلسفي من جهة، ولأنه يعبر عن أرضية مشتركة للعديد من العلوم من جهة

---

(٢) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤٠٨.

(١) المصدر السابق، ص٤٠٩-٤١٠.

أخرى[١]. ولذلك عرفت القيم تعاريف مختلفة على وفق الاختصاصات العلمية فاستخدم علماء النفس مفاهيم كالدوافع والرغبات والاتجاهات، واستخدم الأنثروبولوجيون مفاهيم كالأساليب الثقافية، واستخدم علماء الاجتماع مفاهيم كالقواعد السلوكية والمعايير[٢]. وتعرف القيم بأنها ضوابط سلوكية تتأثر بأفكار ومعتقدات الإنسان، وهذه الضوابط تضع سلوك الإنسان في قالب معين يتماشى مع ما يريده المجتمع ويفضله[٣]. كما تعرف القيم الاجتماعية بأنها نظام من الضغوط الجماعية لتوجيه السلوك، ومن الأفكار والتصورات لتأول هذا السلوك وإعطائه معنى وتبريراً معيناً[٤] أو تعرف بأنها مبدأ مجرد وعام للسلوك، يشعر الجماعة نحوه بالاعتبار الانفعالي القوي ويوفر لهم مستوى للحكم على الأهداف و الأفعال[٥].

ويعرفها فؤاد البهي السيد بأنها معايير جماعية ذات صبغة انفعالية قوية وعامة تتصل بالمستويات الخلقية التي تقدسها الجماعة ويمتصها الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية ويقيم منها موازين يزن بها أفعاله[٦] وبعرفها حليم بركات على أنها تلك المعتقدات الاجتماعية التي يتمسك بها الأفراد بالنسبة لنوعية السلوك المفضل ويعني الوجود وغاياته، وهي تشكل مصدراً للمقاييس والمعايير والوسائل والغايات والأهداف وأشكال التصرف المفضلة وتعني بتنظيم العلاقات الاجتماعية وتدعو للامتثال[٧].

والقيم الاجتماعية هي عناصر تركيبية مشتقة من التفاعل الاجتماعي وهي تشكل المكونات الجوهرية للعلاقات الاجتماعية[٨]وتعرف بأنها أنماط سلوكية يختارها ويفضلها الأشخاص بديلاً عن غيرها وتنشأ هذه الموجهات من التفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه، وتفصح

---

(٢)محمد، محمد علي وآخرون، المجتمع والثقافة و الشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٣٧٩.

(2) Williams, Robin. The concept of Values, In David L. Sills nedy. International Encyclopedia of the social sciences, The Macmillan company and the free press, New York, vol. 16, 1968, P-284.

(٤) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٥١٤.

(4) Kane. T. S. Social Problems, Printice-Hall, Inc. 1962- P-27.

(٦) غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٥٠٤.

(١) السيد، فؤاد البهي (د)، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٩٤.

(٢) بركات، حليم (د)، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص٦٣٧.

(٣) ميشيل، ديتكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، مصدر سابق، ص٣٦٦.

القيم عن نفسها في السلوك اللفظي أو السلوك العقلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة[١].

لقد ميز العلماء في العلوم الاجتماعية بين القيم الوسيلية (وهي تلك المعتقدات التي تفاضل بين وسيلة وأخرى في الوصول إلى غاية ما)، والقيم الغائبة (وهي التي يحدد بها على الأغلب معنى الحياة وغاياتها). ويتم التمييز في بعض الحالات بين قيم تتصل بحاجات ودوافع إنسانية، ومنها ثلاثة أنواع من الحاجات:-

١- الحاجة للقوة (Need for Power) فتتصل بحب الجبروت والنفوذ والتسلط والتحكم والتأثير في مجريات الأمور.

٢- الحاجة إلى إقامة علاقات ودية مع الآخرين (Need for Affiliation) فترافقها قيم الانتماء والصداقة والتضامن والمحبة والتعاون والتعاضد.

٣- الحاجة للتحصيل (Need for Achievement) التي ينبع منها اتجاهات قيمية كحب النجاح والحصول على الثروة والمكاسب والاقتناء والتنافس وتحقيق المكانة الاجتماعية.

ويجري أيضاً تمييز بين القيم العمودية والأفقية. فى الحالة الأولى تسود فى المجتمع تلك القيم التي تنظم العلاقات البشرية على أساس تراتبي. أو بعبارة أخرى تسود العلاقات القوة والاستغلال والاقتناص، ومنها قيم التفاوت والتفوق والتنافس والأسبقية في الحقوق والواجبات.

أما في حالة القيم الأفقية فتنظم العلاقات الإنسانية والشخصية على أساس التعادل والتكافؤ ويكون التشديد على قيم التساوي والأخوة والزمالة والتعاون والاحترام المتبادل.وكذلك يمكن التمييز بين القيم المطلقة والقيم النسبية. فيما يتعلق بالقيم المطلقة تسود نزعة النظر إليها على أنها صالحة لكل زمان ومكان، ويغلب عليها القداسة وتنسب لقدرات خارقة. أما القيم النسبية فينظر إليها على أن مصدرها المجتمع وتختلف باختلاف المجتمعات وتتغير بتغير الأحوال والبيئات. وعندما يكون المجتمع مصدرها، يصبح من حقه تفسيرها في ضوء واقعه وحاجاته معتبراً إياها شأناً رمزياً[٢]. وبعد هذا الاستعراض لمجموعة من التعاريف المختلفة للقيم الاجتماعية وأنواعها يمكن أن نشتق تعريفاً إجرائياً:

---

(٤) محمد، محمد علي وآخرون، المجتمع و الثقافة والشخصية، المكتبة الجامعة، الإسكندرية، دون سنة الطبع، مصدر سابق، ص٣٥٦.

(١) بركات، حليم (د)، المجتمع العربي في القرن العشرين، ، ص٦٣٧ ص٦٣٩.

القيم الاجتماعية: هي عبارة عن عناصر بنائية مشتقة من التفاعل الاجتماعي تكون مقاييس اجتماعية يتمسك بها الأفراد لتحدد سلوكهم التفضيلي، وتوجه غاياتهم، وتتكون في إطار عقائد المجتمع وقواعده، ويمكن الاستدلال عليها من خلال السلوك اللفظي والسلوك الفعلي، ويمكن أن تظهر على آراء وأفكار من خلال الحوار والنقاش.

٦- التوازن الاجتماعي: Social Equilibrium

لقد استعار علماء الاجتماع هذا اللفظ من علم الميكانيك إلى العلوم الاجتماعية. والتوازن هو حالة الموازنة التي تقع في النظام الاجتماعي، أي الموازنة بين أجزائه ومركباته المتناسقة ولاسيما الموازنة بين النظام والبيئة التي يوجد فيها[١]. ويدل التوازن الاجتماعي على حالة من الاستقرار الاجتماعي ناتجة عن تعادل القوى المتجاذبة أو المتصارعة فيه. ويصفها كل من اوكست كونت وهربرت سبنسر بأنها ظاهرة اجتماعية تمتاز بالهدوء والاستقرار، فيكون المجتمع متوازناً حينما يؤدي كل فرد من أفراده وظيفته وتلتئم قواه المختلفة سياسية كانت أو اقتصادية[٢].

ويشير التوازن إلى نوع من التساند بين مجموعة ظواهر اجتماعية مترابطة، ومثل هذا الـ

استاتيكياً[٣].

ويصف باريتو التوازن الاجتماعي بأنه الحالة التي يكون فيها النظام الاجتماعي في حالة توازن عندما تعمل التغيرات والتحولات التي تطرأ عليه على المحافظة على شكليته الحقيقية وحالته الاعتيادية[٤] ويعرف التوازن الاجتماعي بأنه عملية تكافؤ إشباع الحاجات الاجتماعية المتعلقة بالأنظمة الاجتماعية وأنساقها وأنماطها، وعدم تسلط أحدهما على الآخر بنائياً أو وظيفياً، ويعني عدم حدوث تضارب اجتماعي بين أهداف الأنظمة وفروعها بل تكاملها وتكافلها من أجل تكوين بناء اجتماعي متزن غير مضطرب، ويعني عدم حدوث تناحر أفكار ووظائف الأنظمة وأقسامها[٥]. وينبغي التمييز بين نوعين من التوازن الاجتماعي النوع المستقر أو الساكن، والنوع الداينميكي.

---

(٢) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٠٤.

(٣) مدكور، إبراهيم وآخرون، معجم العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص١٨٩.

(١) غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤٢٣.

(٢) ميشيل، ديتكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن، مصدر سابق، ص١٢٦.

(٣) عمر، معن خليل (د)، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢، ص١٥٥.

فالتوازن الساكن أو الثابت يعني الحالة التي يكون فيها النظام الاجتماعي ثابتاً كما هي علاقة النظام ببيئته. غير أن هناك نشاطاً وحركة مستمرة في النظام الاجتماعي، وبالرغم من هذا النشاط فإنه لا يستطيع تغيير العلاقات بين المتغيرات الأساسية للنظام. بينما يتطرق التوازن المتغير أو الداينميكي إلى الأنشطة والتغيرات التي تطرأ على أجزاء النظام الاجتماعي أو تطرأ على طبيعة العلاقة التي تربط النظام بالبيئة التي يوجد فيها[١].

وأشار سوروكين في كتاب Social and Cultural Dynamics إلى خمسة استخدامات لمصطلح التوازن الاجتماعي[٢] هي:

أ- حالة استقرار الظواهر الاجتماعية، مثل المحافظة على الأوضاع القائمة في النسق السياسي.

ب-التوازن المؤقت بين الظواهر الاجتماعية.

ت-التساند المتبادل بين القوى الاجتماعية.

ث-حالة التوافق والتكيف والانسجام بين الظواهر الاجتماعية مثل إشباع الحاجات الشخصية داخل النظام العام.

ج- [illegible]

وأكد بارسونز في كتابه (Toward A general Theory of Action) عدم استطاعة النظام الاجتماعي من تحقيق التوازن المطلق، لكن الأنظمة الاجتماعية جميعاً تهدف إلى الوصول إلى حالة نسبية من التوازن الاجتماعي[٣].

وبعد استعراض تعاريف التوازن الاجتماعي وأنواعه يمكن أن نشتق تعريفاً إجرائياً.

فالتوازن الاجتماعي: هو حالة من الاستقرار الاجتماعي الناتجة عن التساند المتبادل بين مجموعة الأنظمة الاجتماعية في حالة التغيرات والتحولات التي تطرأ عليها مما يؤدي التوافق والتكيف والانسجام في البناء الاجتماعي للمجتمع.

الحديث النبوي الشريف Holy Prophetic:

(٤) الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٠٥

(٥) غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤٢٣.

(1) ميشيل، ديتكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن، مصدر سابق، ص١٢٧.

الحديث لغة الخبر قليله وكثيره[١] وقد أُطلق إصطلاحاً على ما روي عن النبي(ﷺ) بعد النبوة من قوله وفعله وإقراره[٢] ويرادف الحديث السُنة والسُنة في اللغة: السيرة أو الطريقة محمودة كانت أو مذمومة[٣] والسُنة إصطلاحاً هو كل ما نقل عن النبي غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير. فمثال القول ما تحدث به الرسول (ﷺ) في مختلف المناسبات. ومثال الفعل، ما نقله الصحابة من أفعال النبي (ﷺ) كأداء الصلاة، ومناسك الحج.

ومثال التقرير: ما أقره النبي (ﷺ)، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوت منه، وعدم إنكار. أو بإظهار استحسانه وتأييده. والسُنة في اصطلاح الفقهاء: هي كل ما ثبت على النبي(ﷺ) ولم يكن من قبيل الفرض أو الواجب فيكون مرادهم بها ما يشمل النوافل والمستحبات[٤].

وقد قسم العلماء الحديث الشريف من حيث صحته وضعفه على ثلاثة أقسام هي:

١- **الحديث الصحيح:** ما سلم لفظه من ركاكة، ومعناه من مخالفة آية، أو خبر متواتر، أو إجماع، وكان رواية عدل[٥] أي اتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون

٢- **الحديث الحسن:** ما عرف مخرجه واشتهر رجاله، أو ما اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط وسلم من الشذوذ والعلة، وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذي يقبله أكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء. والفرق بين الصحيح والحسن أن العدل في الحسن خفيف الضبط بينما هو في الصحيح تام الضبط وكلا القسمين سالم من الشذوذ والعلة وكلاهما يحتج به ويستشهد بمضمونه.

ينقسم الحديث الحسن على قسمين:

الأول: الحديث الذي لا يخلو رجال اسناده من مستور لم تتحقق أهليته غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ فيما يرويه، ولا هو متهم بالكذب في الحديث، ولا سبب آخر مفسق. ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأن روى مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله، وربما له من شاهد، وهو ورود حديث آخر بنحوه، فيخرج بذلك عن أن يكون شاذاً أو منكراً.

---

(2) الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ص١٢٥، ١٩٨٣.

(٣) عليان، رشدي (د) وآخرون، علوم الحديث ونصوص من الاثر، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص١٥.

(٤) المصدر السابق، ص١٦-١٧.

(٥) المصدر السابق، ص١٦-١٧.

(١) الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص٥١.

(٢) عليان، رشدي وآخرون، مصدر سابق، ص٨٧.

ثانياً: أن يكون روايه من المشهورين بالصدق والأمانة، غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم في الحفظ والإتقان، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما يتفرد به من حديثه منكراً، ويعتبر في كل هذا مع سلامة الحديث من أن يكون شاذاً أو منكراً، سلامته من أن يكون معللاً[١].

٣- الحديث الضعيف: هو الذي يقع فيه شك كأن يكون في متنه أو كأن يكون واحد أو أكثر من سلسلة إسناده ممن لا يوثق بروايتهم أو ممن اتهم بشيء من البدع[٢] يتفاوت الحديث الضعيف بحسب شدة ضعف رواته وخفته، وبحسب بعده من شروط الصحة، ومنه الحديث الشاذ، ومنه المقلوب، ومنه المعلل، ومنه المضطرب، ومنه المرسل، ومنه المتقطع ومنه المعضل ومنه المنكر، ومنه الموضوع وغير ذلك[٣].

الحديث القدسي: هو الحديث الذي يكون من حيث المعنى من عند الله تعالى، ومن حيث اللفظ من رسول الله (ﷺ) فهو ما اخبر الله تعالى نبيه بإلهام او بالمنام، فاخبر عليه السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه[٤]. أما الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي، أنهما جميعاً صادرة بوحي من الله عز وجل، لأن الرسول لا يقول إلا الحق، قال تعالى: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى)**[٥]. لكن الحديث النبوي قد يكون باجتهاد، والحديث القدسي لا يكون إلا بوحي سواء كان جلياً أم غير جلي[٦].

وتعد الأحاديث النبوية واحدة من أهم منابع أصول الفكر الاجتماعي الإسلامي كونه محاولة نموذجية لترجمة القواعد والمعايير الإسلامية إلى أفعال بشرية يحتذى بها.

---

(٣) المصدر السابق، ص٨٩.

(٤) عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، المجلد الأول، ١٩٦٣، ص٢٨١.

(٥) عليان، رشدي، وآخرون، مصدر سابق، ص٩٠-٩٢.

(١) الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص٥١.

(٢) النجم: ٣

(٣) عليان، رشدي، وآخرون، مصدر سابق، ص٩٩.

الفصل الثاني

الدراسات السابقة

مقدمة تمهيدية

اولاً : الدراسات العراقية:

الدراسة الاولى : ((علم الاجتماع الديني)) للاستاذ الدكتور احسان محمد الحسن

الدراسة الثانية : ((اصول بعض عناصر الفكر الاجتماعي في الاسلام)).

للاستاذ الدكتور محسن عبد الحميد

الدراسة الثالثة: ((المضامين الاجتماعية في الحديث النبوي الشريف))

للباحثة نضال عيسى كريف النعيمي

ثانياً : الدراسات العربية:

الدراسة الرابعة : ((أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم))

للاستاذ زكريا بشير إمام

الدراسة الخامسة :((الإسلام و علم الاجتماع)) للدكتور محمود البستاني

ثالثاً:الدراسات الأجنبية:

الدراسة السادسة : ((عناصر البناء الاجتماعي في الإسلام))

للبروفيسور دون مارتن ديل Prof. Don Martin dale

الدراسة السابعة :((العدالة و المساواة كأسس مركزية في الإسلام

للبروفيسور آرنولد توينبي Prof. Arnold Toynbee

مقدمة تمهيدية:

يعد الفصل الخاص بالدراسات السابقة من اهم الفصول التي تتكون منها البحوث و الرسائل العلمية ، ذلك لانه كلما زاد مقدار اطلاع الباحث على نتائج البحوث و الدراسات ذات الصلة بموضوع دراسته ، زادت مقدرته على بلورة مشكلة البحث التي اختارها ، و تحديد ابعادها بشكل أكثر وضوحا[١].

فضلا عن ان ذلك الاطلاع على الدراسات يمهد السبيل للباحث ان ينتهج خطا علميا يتوافق و المسارات المرجعية و المنهجية للدراسة الحالية . وان تبدأ دراستنا من حيث انتهت الدراسات السابقة و نسعى لنضيف اليها إضافات علمية واضحة من شانها ان تطور مجال المعرفة العلمية المتخصصة التي تقع في ميدان الفكر الاجتماعي الإسلامي.

بيد ان الدراسات السابقة تغني الدراسة الحالية في عدة مجالات لعل أهمها:

تزودنا بالجديد من الأفكار و الإجراءات التي يمكن ان نستفيد منها في دراستنا لبعض عناصر الفكر الاجتماعي في الحديث النبوي ، و كذلك فهو توفر لنا معلومات جديدة بخصوص المصادر التي لم نستطيع تشخيصها فضلا عن انها تعرفنا بالباحثين الذين يشهد لهم بالكفاءة و الأهمية و الذين قد لا نعلم عن جهودهم العلمية أي شيء يذكر[٢].

و كذلك يمكن ان تفيدنا في تجنب السلبيات و المزالق التي وقع فيها الباحثون الذين سبقونا في دراسة الفكر الاجتماعي في الإسلام ، و تعرفنا بالصعوبات التي واجهها الباحثون و الوسائل التي اتبعوها في معالجة و تجنب تلك الصعوبات و المزالق[٣].

ويمكن ان تفيدنا الدراسات السابقة في الاقتصاد بالجهد المبذول[٤] فضلا عن المعلومات التي خلصت اليها يمكن الاعتماد عليها من خلال مقارنة هذه المعلومات بالاستنتاجات و الطروحات التي توصلت اليها الدراسة الحالية ، لكي يقرر الباحث بعد ذلك مدى الاقتراب او الابتعاد ما توصلت اليه الدراسة الحالية من نتائج الدراسات السابقة . وهذه الحقيقة لا يمكن التوصل اليها الا بعد الانتهاء من الدراسة الحالية[٥] . لذا لا يمكن تبيان الملاحظات على

---

(١) قنديلجي ، عامر ابراهيم ، البحث العلمي و استخدام مصادر المعلومات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٣ .ط١ ، ص٥٦.

(٢) جلبي ، علي عبد الرزاق د. تصميم البحث الاجتماعي الاسس و الاستراتيجيات ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٦.ط١ ، ص ١١٥.

(٣) قنديلجي ، عامر ابراهيم ، المصدر نفسه ، ص ٥٦.

(٤) جلبي ، علي عبد الرزاق المصدر نفسه ، ص ١١٥.

(5)Merton, R. Social Theory and Social Structure, the Free Press. New York,1968. p.3.

الدراسات السابقة و مناقشتها في هذه المرحلة من البحث ، الا ان ذلك سيكون ممكنا عند الانتهاء من الدراسة الحالية .

أولا الدراسات العراقية

الدراسة الأولى (علم الاجتماع الديني) للأستاذ الدكتور إحسان محمد الحسن.

في هذه الدراسة التحليلية للعلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية و المجتمع قام المؤلف بدراسة عدد من عناصر الفكر الاجتماعي في الإسلام ، و التي جاءت كفصول في هذا الكتاب منها الإسلام بين المادة و الروح و الإسلام دين القيم الفاضلة و الممارسات الخيرة ، و التكافل الاجتماعي في الإسلام[١] وسيتم عرض تلك العناصر بشكل موجز.

١- الإسلام بين المادة و الروح.

تعد الوسطية في الإسلام من عناصر الفكر الاجتماعي الإسلامي و القائم على خلق الموازنة بين جوانب الحياة الاجتماعية من اجل استقامتها. وكان الهدف من دراسة هذا العنصر التركيز على الموازنة بين الروح و المادة في الدين الإسلامي ((وهو بهذه السمة يختلف عن كل الأديان و المذاهب و الحركات المادية و الوجودية و الواقعية التي تعترف فقط بالمادة و تنكر الروح ولا تعترف بوجودها و أهميتها ، و تختلف كذلك عن كل المذاهب و الحركات التي تعترف فقط بالروح و تهمل المادة و الحياة و الواقع[٢].

فالتمازج الأمثل بين مجالات الروح و مجالات المادة قد أعطى المجتمع العربي الإسلامي طابعه الحضاري المميز الذي جعله يتفوق على كافة المجتمعات ابان القرون الوسيطة في مجالات الحياة كلها[٣].

ان الإسلام حقق استجابة متوازنة لكل الرغبات الإنسانية وقدم ما تطلبه من غذاء ، فاشبع الجسد و أتاح للعقل ان ينشط و قدم للروح غذاءها الروحاني من العقيدة وما يتبعها من عبادات و تقرب بين المخلوق و خالقه . و كل ذلك يتم في تناسق عجيب يجعل كل منها جزءا من الاخر متمما له و مساعدا عليه . فالعبادات جسد يتحرك و روح تتسامى . و الشهوة ذاتها عمل جسدي و هدف انساني من ورائها يتحقق لا انفصال بين هذا و ذاك ولا تعارض بين عمل و عبادة.

---

(١) الحسن ، احسان محمد الدكتور ، علم الاجتماع الديني ، دراسة تحليلية حول العلاقات المتفاعلة بين المؤسسة الدينية و المجتمع ، مطبعة الرسائل. بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص٤.

(٢) المصدر السابق ، ص٧٧.

(٣) المصدر السابق ، ص٩٠.

لقد شمل الإسلام كل النشاط الإنساني ، شملت نوازعه الفطرية و نزعته الى العلو و الارتفاع . شمل اقتصادياته و مادياته و روحانيته . و قبل شيئا من التفسير الجنسي للسلوك و التفسير الجسمي للمشاعر و التفسير المادي للتاريخ و التفسير الاقتصادي للحياة ، ووازن بينها جميعا بحيث لا يطغى منها شيء عن حده الطبيعي ، ثم أضاف الى ذلك جميعا التفسير الروحي للسلوك و المشاعر و التاريخ و الحياة لا في التنظير فحسب بل في واقعه العملي ايضا. و ذلك يكون الإسلام الدين الذي يجمع و يوحد و يوازن بين المادة و الروح[١].

٢- الإسلام مصدر القيم الفاضلة والممارسات الخيرة.

من المهام الأساسية التي يؤكد عليها الإسلام في تهذيب سلوك و تنظيم المجتمع و بناءه بناءا سليما تحديد ماهية القيم الفاضلة التي يتمسك بها المسلم وفصلها عن القيم الضارة و ربط القيم و المبادئ بالسلوك ربطا علميا عقلانيا[٢] وأكد الدكتور إحسان محمد الحسن ان القيم التي دعا الإسلام التمسك بها لا تحدد الطبائع الأخلاقية للمسلم فحسب وانما تحدد اتجاهات سلوكه و انماط علاقته و تفاعله وسط الجماعة و المجتمع[٣] فالشريعة الإسلامية وما تنطوي عليه من قيم و أخلاق انما تتجه في كل أحكامها الى تحقيق الأهداف التي تؤدي الى التكامل الاجتماعي[٤].

هناك مصادر متعددة تنبعث عادة منها القيم و الأخلاق أهمها الدين و التراث و العادات و التقاليد الاجتماعية و الواقع الاجتماعي وما ينطوي عليه من قوى و متغيرات و ظروف. غير ان القيم و الأخلاق المنبعثة من الدين تختلف في قوتها و فعاليتها عن القيم و الأخلاق المنبعثة من المصادر الأخرى .و الاختلاف يكمن في عدة نقاط أساسية هي :-

١- يراعي فيها الإنسان خالقه لانه يحس بوجوده و عظمته في السر و الجهر .
٢- يخشى فيها الإنسان مغبة سوء تصرفه في الدنيا و الآخرة.
٣- تحمل الإنسان على الإيمان و الانضباط الداخلي و الوجدان.
٤- تمكن الإنسان من بلوغ الراحة و الصحة النفسية و العقلية.
٥- انها انفع للفرد و المجتمع من القيم الأخلاق التي لا يكون مصدرها الدين .
٦- انها أكثر ثباتا و وثوقا و مصداقية .

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٠-٩١.
(٢) المصدر السابق ، ص١٣٣.
(٣) المصدر السابق ، ص١٣٥.
(٤) المصدر السابق ، ص١٣٦.

٧- يغلب على صاحبها الإيثار و التضحية من اجل الآخرين[١].

٣- التكافل الاجتماعي في الإسلام.

يعد الإسلام سباقا في الدعوة الى التكافل الاجتماعي بين المسلمين و الى إزالة مواطن الفرقة و الانقسام بينهم بغية تحقيق أهدافه في مجتمع متكافل متضامن متعاون[٢] و التكامل الاجتماعي في الإسلام يتصف بالشمولية لانه لا ينحصر في جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية كالجانب المادي مثلا وانما يتعدى ذلك الى الجوانب الأخرى[٣].و التكافل في الإسلام يعني التضامن و التآخي و التعاون بين المسلمين أي ان يؤدي كل مسلم واجبه كاملا تجاه المجتمع وان يكفل المجتمع الإسلامي للفرد كامل حقوقه و حرياته. و تساهم العديد من المؤسسات الاجتماعية بعملية استدخال قيم التكافل الاجتماعي عند الأفراد من أهمها الأسرة و المدرسة و الجامع و الجيرة و المجتمع المحلي[٤].

التكافل الاجتماعي هو أساس الإحسان و الهداية و التعاون فهو ظاهرة إنسانية تقوم على التفاعل المتبادل بين الكافل و المكفول[٥].

لقد اولى الإسلام مبكر ومنذ ان بزغ نوره التكافل الاجتماعي اهتمام خاص على عكس المجتمع الغربي الذي لم تتبت فيه فكرة التكافل الاجتماعي الا في زمن متأخر و كان هذا التكامل يوصف بالجزئية و نشأ نتيجة ضغوط خارجية. اما التكافل في الإسلام نابع من روح الائتلاف مع الغير و قائم على حوافز داخلية عمادها الإيمان و العقيدة و الضمير ، وفضلا عن شمولية هذا التكامل و بعده عن الجزئية ، فهو يمتد ليشمل جوانبه كافة المادية و المعنوية و الروحية[٦]

وتعد الزكاة ركيزة تكاملية أساسية تؤدى كحق و ليس كصدقة او إحسان . ولا بد ان تتم بسرية تامة تفوق السرية التي تنص عليها فنون الخدمة الاجتماعية المعاصرة لقد فطن الإسلام الى التكافل المعنوي على المستوى المجتمعي الذي يحث على معاونة الناس في نطاق القيم وفي

---

(١) المصدر السابق ، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) المصدر السابق ، ص١٧٨-.

(٣) المصدر السابق ، ص١٨٠.

(٤) المصدر السابق ، ص١٨٥.

(٥) المصدر السابق ، ص١٩٤.

(٦)المصدر السابق ، ص١٩٩.

محيط الهداية والارشاد. وقد ذهب الإسلام الى بعد اخر لم يذهب اليه غيره من الشرائع حينما قرن في مجال التكافل الاقتصادي الدين بالنصيحة و العمل باتقان[١].

الدراسة الثانية: (أصول بعض عناصر الفكر الاجتماعي في الإسلام) . للأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد.

انجز الدكتور محسن عبد الحميد دراسة أصول عدد من عناصر الفكر الاجتماعي الإسلامي ،صدرت على شكل مجموعة من كتب منها منهج التغير الاجتماعي في الإسلام و الإسلام و التنمية الاجتماعية.

و سيتم ايجاز مضامين تلك الدراسات بما يلي:

١- منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام.

يهدف منهج التغيير الاجتماعي الإسلامي الى ان يحقق الإنسان المسلم وجودا حقيقيا لا وجودا اوليا بحيث يظل تابعا لوجود الاخرين . فالتغيير الاجتماعي هو قانون الحياة و ليس الثبات ، فالتغيير ليس قضية عرضية طارئة بل هو صفة الحياة[٢]ويعتقد الدكتور محسن عبد الحميد ان منهج التغيير الاجتماعي بات من ضرورات النهوض بواقع الحياة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية.[٣]

واشار الباحث الى ان منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام ليس مخططا محدد البداية و النهاية بكل جزئياته و تفاصيله ، وانما هو يحدد الاسس و المسارات الجوهرية ، ثم يترك لحركة الحياة والإنسان ان يأخذ دوره الطبيعي الذي يتم في ظل قوانين حركة المجتمع و التي هي جزء من سنن الله تعالى في عالم الأنفس و الآفاق[٤].

لقد حدد الباحث اسس منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام بما يلي:-

أ- الإيمان بوجود الله تعالى . وهذا التوحيد الخالص هو الذي ينقذ الإنسان من عبادة نفسه و اتباع هواه ، و عبادة غيره و عبادة مظاهر الحياة المادية.

ب- المنهج الإسلامي يصور الوجود في نظامه و تناسقه و انسجامه قائم على التوافق الكامل و العناية و الغاية المقصودة.

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٠٠-٢٠٢.

(٢) عبد الحميد ، محسن د. منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، مجلة دراسات اجتماعية ، تصدر عن بيت الحكمة ، بغداد ، العدد ٣-٤ لسنة ، ص١١.

(٣) المصدر السابق ، ص١٢.

(٤) المصدر السابق ، ص١٣.

ت- يدعو المنهج الإسلامي الى قراءة الكون قراءة دقيقة للوصول الى منهج علمي تجريبي متكامل ، يوجه عملية التغيير في الحياة في اطار قوانين الكون و الحياة.

ث- ينظر المنهج الإسلامي الى كينونة الإنسان نظرة شمولية جامعة غير مجزأة تعبر عن مضمون التكوين العميق لكينونة الإنسان و جوهر عملية التكيف الإلهية له[١].

لقد حدد الدكتور محسن عبد الحميد اهداف عملية التغيير الاجتماعي في الإسلام بما يلي:-

أ- بناء المجتمع المؤمن ،لان عبادة الله تعالى هي طريق الاخوة الصادقة و الرحمة و الحرية.

ب- بناء المجتمع الفاضل ، فالنظام العبادي في الإسلام ينتج عنه نظام قيمي و اخلاقي ينسجم مع فطرة الإنسان.

ت- بناء المجتمع العامل ، فالغرض الأساس من خلق الإنسان هو حسن العمل لانه مستخلف يثبت بعمله حقيقة وجوه و إنسانيته.

ث- بناء المجتمع العالم، لانه لا يمكن تغيير المجتمع البدائي الى مجتمع العلم و الابداع العلمي الا من خلال التعلم و العلم لكشف اسرار الحياة و قوانينها.

ج- بناء المجتمع الإنساني العادل ، يحقق للإنسان كرامته من خلال حريته وعدم استغلاله[٢].

تلك هي ابرز ملامح منهج التغيير الإسلامي في الإسلام.

٢-الإسلام و التنمية الاجتماعية

يؤكد الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه الإسلام و التنمية الاجتماعية على الدور الفاعل للإسلام في التنمية الاجتماعية الشاملة في حياة الأمة حيث نقلها من حياة البداوة و التمزق الى حياة الحضارة و الحركة و الوحدة ، صاغها في ظل عقيدته و شريعته صياغة جديدة ، تحولت بفضلها الى قائد اعظم تنمية اجتماعية و حضارية في نواحي الحياة شهدتها القرون الوسطى[٣].

اشار المؤلف الى ان للتنمية الاجتماعية جانبان.الاول نظري يشكل الاطار الموجة والثاني تطبيقي ويمثل الاستفادة القصوى من قوانين الوجود و الحياة في التخطيط والتنفيذ. واكد المؤلف ان الهدف من هذا الكتاب هو الجانب الاول أي الاطار النظري للتنمية وهو ما يتعلق

---

(١) المصدر السابق ، ص١٣-١٦

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧-١٨.

(٣) عبد الحكيد ، محسن ، الإسلام و التنمية الاجتماعية ، دار المنارة للنشر و التوزيع ، جدة ،ط١ ،١٩٨٩،ص١٤.

بمهمة الوحي الالهي حتى يضع الإنسان على جادة الصواب[١] . وهذا ما يؤكد على التنمية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي مستمدة من المذهبية التي ارتضاها الإسلام لبناء الحياة و تربية الإنسان و توجيه الحضارة[٢].

واشارت هذه الدراسة الى ان الإسلام عد الإنسان قيمة حقيقية و ركنا أساسيا في الحياة بما أودع الله فيه من قدرات وقابليات بدنية و ذهنية منحته القدرة على التكيف مما حدا به الى انتاج نظم متعددة لتضبط حركة التطور الحضاري و تضعها في مسارها الصحيح ليحدث التوازن و التكامل على شكل اعتمادية متبادلة بين المؤسسات الحيوية مما يؤدي الى تنمية شاملة و تقدم في مجالات الحياة كافة [٣].

و يخبرنا الدكتور محسن عبد الحميد بان الشريعة الاسلامية باصولها و قواعدها و مصادرها الاجتهادية المرنة وانظمتها المتنوعة تساهم بشكل فعال في تحقيق التكافل الاجتماعي و التنمية الاجتماعية الشاملة للوصول الى حياة حضارية انسانية عادلة من خلال مجموعة من الانظمة التخصصية[٤].

فالنظام العبادي في الإسلام يقود الإنسان الى خلق الموازنة الذاتية بين الجانب المادي و الجانب المعنوي و النظام الاجتماعي يؤمن بالانفتاح و بناء العلاقات الاجتماعية و محاربة الانغلاق و التعصب. اما النظام الاقتصادي يحول بين الإنسان و بين استلابه و تسخيره[٥].
و النظام السياسي الإسلامي يدفع الجميع الى المشاركة في بناء المجتمع المتقدم . اما النظام القضائي يخطط لإيجاد المجتمع الفاضل العادل المنضبط الذي يعرف كل فرد فيه حدوده.و كذلك نظام العقوبات الإسلامية يكفل منع ذوي السلوك الهدام من التجاوز و افساد المجتمع[٦]
فالنظام التربوي الإسلامي ينشد الوصول الى ايجاد افراد موحدين مؤمنين لا يتبعون اهوائهم و شهواتهم ، اما النظام القيمي و الاخلاقي الإسلامي يسعى للحفاظ على التوازن الفطري الإنساني في تجسيد خلق ذاتي و اصيل ، فالاخلاق ليست نسبية في الإسلام وانما هي تنبع من حقائق خالدة تستند الى الوحي الالهي[٧].

---

(١) المصدر السابق ، ص٢١.
(٢) المصدر السابق ، ص٢٧
(٣) المصدر السابق ، ص٣٣.
(٤) المصدر السابق ، ص ٦١.
(٥) المصدر السابق ، ص٦٤-٧٦.
(٦) المصدر السابق ، ص١٠٨-١٢٠.
(٧) المصدر السابق ، ص١٣٠-١٤٢.

الدراسة الثالثة : (المضامين الاجتماعية للحديث النبوي الشريف) .للباحثة نضال عيسى كريف النعيمي.

تعد هذه الدراسة من الدراسات المهمة لارتباطها الوثيق بموضوع دراستنا حيث هدفت هذه الدراسة للكشف عن بعض المضامين الاجتماعية التي اختصت بها الاحاديث النبوية بما يحقق تجديدا للفكر الاجتماعي الإسلامي و توظيفه لمعاجة الظواهر و المشكلات الاجتماعية المعاصرة[١].

وعمدت الباحثة الى تحليل الاحاديث النبوية في صحيح البخاري و اعتمدت على عدة مناهج لتحقيق اهداف الدراسة وهي ، المنهج الوصفي التحليلي و المنهج التاريخي[٢] و تناولت هذه الدراسة اربعة مضامين اجتماعية و هي الاسرة في الحديث النبوي الشريف ، و التضامن الاجتماعي و التنظيم الاجتماعي ، و الضبط الاجتماعي في الاحاديث النبوية الشريفة.

لقد توصلت الباحثة في هذه الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها . اكد الإسلام على اصالة البناء الاسري و عظيم فائدته للمجتمع الإسلامي . حيث اقام الإسلام بناء اسري مستقل عن البناء القبلي السابق الذي كان موجودا في مجتمع ما قبل الإسلام ، من خلال تشريعات و احكام دينية أسهمت في تقوية البناء الأسري و تعزيز استقلاليته[٣].

لقد اوجد الإسلام صيغة مزدوجة للتضامن الاجتماعي تتمثل الأولى بنظام العقيدة و العبادات الإسلامية و تتمثل الثانية بنظام المعاملات وما يتخللها من قواعد و اسس ترسم أصول التفاعل الاجتماعي السليم بما يدعم عملية التضامن الاجتماعي. و كذلك خلق الإسلام نوع من الموازنة بين مصلحة الفرد و مصلحة الجماعة فضلا عن تحديد نوع من التراتب الاجتماعي في المجتمع الإسلامي بشكل يعزز من عملية التضامن و يقلل من اسباب الصراع و التناحر الاجتماعي[٤].

اكدت الباحثة على وجود نوعين من التنظيم الاجتماعي في المجتمع الإسلامي الاول يتعلق بتنظيم سلوك الفرد و علاقته بالخالق – الله عز و جل – و الثاني يتعلق بتنظيم علاقات الأفراد على الأصعدة الاجتماعية كافة . واعتمدت عملية التنظيم على عملية التغيير الاجتماعي

---

(١) النعيمي ، نضال عيسى كريف . المضامين الاجتماعية في الحديث النبوي الشريف ، دراسة تحليلية لصحيح البخاري ، اطروحة ماجستير في قسم الاجتماع ، جامعة بغداد ٢٠٠١ ، غير منشورة ، ص ٨.

(٢) المصدر السابق ، ص٩.

(٣) المصدر السابق ، ص٢١٨.

(٤) المصدر السابق ، ص٢١٩.

بما يحقق انتقالة نوعية بهذا المجال .و ارتكزت في هذه العملية على وجود القائد فضلا عن عملية توزيع الادوار و تقسيم العمل داخل البناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي[١].

اشارت الباحثة الى تشعب ادوات الضبط الاجتماعي و وسائله في المجتمع الإسلامي و ذلك تبعا لتنوع العبادات الإسلامية التي تؤكد في جوهرها على عملية الضبط فكل من الصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و الجهاد عبادات اسلامية ضابطة. ووجدت الباحثة من خلال الاحاديث النبوية هناك صياغة بشكل منضبط للسلوك الاجتماعي عبر نظم المعاملات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية[٢].

و اقترحت الباحثة ايلاء اهمية خاصة الى الأحاديث النبوية الشريفة كونها الترجمان الحقيقي و الواقعي للدين الإسلامي فضلا عن الاهتمام بموضوعات علم الاجتماع الإسلامي.و تشجيع الباحثين على دراسة الجوانب الاجتماعية التي لم تدرس بعد[٣].

ثانياً : دراسات عربية :-

الدراسة الرابعة : الموسومة (أصول الفكر الاجتماعي في القران الكريم) للبوفيسور زكريا بشير إمام.

تعد هذه الدراسة من أهم الدراسات السابقة لارتباطها الوثيق بموضوع دراستنا ، و تهدف هذه الدراسة الى اكتشاف أصول عدد من عناصر الفكر الاجتماعي في القران الكريم . و تستمد هذه الدراسة أهميتها في رأي الباحث من دقة و أهمية المرحلة و الصعوبات التي يواجهها المجتمع الإسلامي من رياح عاتية تحاول صياغته على النموذج الغربي العلماني دون مراعاة الخصوصية لهذه الأمة[٤] .

تناولت هذه الدراسة ستة عناصر من عناصر الفكر لا الاجتماعي وهي الظاهرة الاجتماعية في القران الكريم و السنن الاجتماعية ، و فلسفة التغيير الاجتماعي ، و أسس الاجتماع الإسلامي و التخطيط الاجتماعي و الاقتصادي في الإسلام فضلا عن الدولة و المجتمع في الإسلام .

واكد الباحث على ان الخطاب الإلهي في القران الكريم يوجه في الأصل وفي البداية الى الإنسان كفرد ، فهو اصل الجماعة ووجدوه كفرد يسبق وجوده كعضو في جماعة. وان العرض

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٢٠.

(٢) المصدر السابق ، ص٢٢٠.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢١

(٤) امام زكريا بشير ، أصول الفكر الاجتماعي في القران الكريم ، القضايا و النظريات ، مكتبة روائع مجدلاوي ، عمان ،ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص٨.

الالهي للانسان بالهداية وقبول التكليف يوجه اليه كفرد وله الحرية في الاختيار وتقع عليه وحده مسؤولية ذلك الاختيار[١].

لكن المنظور القرآني يبدأ بالفرد و يصعد الى اعلى الى الجماعة و المجتمع و الدولة و الحضارة . فالإسلام يعمل على ترسيخ المشاعر الجمعية و إضعاف النزعات الفردية و تهذيب الأنانية الفردية بحيث لا يمكن للمسلم ان يتصور نفسه الا عضو في جماعة المسلمين فشعائر الإسلام و نظمه تدعو الى التوحد و نبذ الفرقة و تدعم الروح الجماعية[٢].

لقد بين الباحث ان اتجاه البناء الاجتماعي يبدأ من الظاهرة النفسية الى الظاهرة الاجتماعية و الواقعة الاجتماعية أي انه يبدأ من الإنسان الى البيئة الطبيعية و الاجتماعية الى الكون ان الإنسان يتأثر بالبيئة التي يولد و ينشا فيها ولكنه هو المؤثر الأكبر في هذه البيئة نفسها[٣].

و اشار الباحث الى النظرية الاجتماعية في الإسلام لا تقوم على الصراع بين العرقيات و الشعوب من اجل الفوز بأكبر قدر من السلطة و السيادة والموارد و الأموال لكنها تقوم على أساس اعلاء كلمة الله و على مناهضة الباطل و تأييد الحق و الدعوة الى مكارم الأخلاق وعلى كراهية البغي و العدوان[٤].

ان وحدة التوجه و وحدة الهدف منحت الذات المسلمة حيوية عالية و فعالة قائمة على نكران الذات و التفاني من اجل هذه العقيدة . و هذا الانبعاث الذاتي المنطلق من الإيمان الحقيقي بالله و رسوله لهو السر الذي يفسر النمو السريع الذي تحقق للجماعة الإسلامية ، حيث انطلقت هذه الجماعة الإسلامية و التي لا يتجاوز عددها الاربعين الى اعلان الدعوة بعد اسلام عمر بن الخطاب و من ثم هاجرت و خاضت اول معاركها مع المشركين ولم يتجاوز عدهم ثلاثمائة ومن ثم تحولت هذه الجماعة القليلة الى دولة ومن ثم الى حضارة كونية خلال ربع قرن فقط[٥].

ولاحظ الباحث ان التنمية الاجتماعية في مجتمع الإسلام تتوجه الى تنمية و تزكية الإنسان لانه العنصر الأساسي في كل تنمية وان النمو الاجتماعي و الاقتصادي انما هو نتيجة للنمو النفسي و العقلي و الوجداني[٦] .

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٣

(٢) المصدر السابق ، ص٥١.

(٣) المصدر السابق ، ص١٠٣.

(٤) المصدر السابق ، ص١١٦

(٥) المصدر السابق ، ص١٤٢.

(٦) المصدر السابق ، ص١٨١

فخلاصة ما ذهب اليه الباحث من خلال هذه الدراسة انه لا مناص من تكثيف البحوث و الدراسات العلمية و الموضوعية التي تستلهم جوهر الفكر الاجتماعي الإسلامي في القرآن و السنة و ينبغي ان تكون تلك الدراسات مقرونة بتطبيقات عملية تشكيل المؤسسات الاجتماعية التي تكفل بناء نموذج حضاري إسلامي يحفظ للأمة هويتها و خصوصيتها.

الدراسة الخامسة : (الإسلام و علم الاجتماع) . للدكتور محمود البستاني.

تعد هذه الدراسة من الدراسات السابقة المهمة لأرتباطها الوثيق بموضوع دراستنا. حيث تهدف هذه الدراسة الى إبراز التصور الإسلامي حيال (ظاهرة اجتماعية)مع محاولة مقارنتها للتصورات الأرضية من اجل تحديد وجهة النظر الإسلامية حيال الاجتماع بصفته احد ضروب المعرفة التي تعرف عليها علماء الاجتماع الغربيون لملاحظة الفارق بين التصورين الإسلامي والأرضي.

وحاولت هذه الدراسة عرض الخطوط العامة للتصور الإسلامي ، حيث تظل المعرفة الاجتماعية جزء من المهمة العبادية التي أوكلتها السماء الى الإنسان لدى الباحث في علم الاجتماع الإسلامي[١] .

تتكون هذه الدراسة من اربعة فصول أساسية وهي :-

١- علم الاجتماع وقضاياه (مشكلات والظواهر).
٢- علم الاجتماع والحياة المشتركة (المبادئ المشتركة ، تعايش ، توازن، مسؤولية).
٣- الافعال المشتركة (الصراع ، التعاون ، السيطرة ، التنافس ، والانسحاب ، التكيف).
٤- تنظيم الحياة المشتركة (العلاقات والمؤسسات).

ويتوصل الباحث الى عدة نتائج من أهمها:-

بما اننا مطمئنين الى الله الذي خلق الإنسان وأوجد المجتمع البشري في الوقت ذاته صاغ مبادئ الاجتماع البشري ونمط العلاقات التي تنظمه وتجاهل ذلك المصدر لابد ان ينتهي الى التفكك الاجتماعي متجسداً في المشكلات الاجتماعية[٢].

واشار الباحث الى ان :

---

(١) البستاني ، د.محمود، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر بيروت، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص١١.

(٢) البستاني ، د.محمود ، نفس المصدر السابق ، ص١٧.

الإسلام حدد العلاقات بين البشر . لان الهدف العبادي هو الاساس من تلك العلاقات، وتبقى النية العبادية لها الاولوية على الرغم من تحقق بعض المصالح الدنيوية. فضلا عن ان هذه العلاقات تقضي بالضرورة الى تحقيق التوازن العبادي الاجتماعي[١].

واضاف الباحث ان الإسلام بصفته هيكلا فكريا يتناول الحياة الاجتماعية ككل . فان دراسة العلاقات والظواهر تاخذ مشروعيتها في التناول البنائي لها فلا يمكن فصلها عن بعضها فضلا عن ان هناك اعتمادية تبادلية بينهما.

حدد الباحث خطوطا متنوعة من شبكة العلاقات الاجتماعية وفي مقدمتها العلاقات الضرورية في الجماعات الاجتماعية الأولية كالاسرة والاقارب و الجيران واعتبر هذه العلاقات لابد من اقامتها . بالاضافة الى انها تتسم بالاستمرارية ويغلب عليها ما هو عاطفي. واكد على ان الإسلام حاول جعلها ذات طابع تعاوني وإجباري تطهيراً للذات البشرية وتحقيقها للتوازن الاجتماعي العبادي[٢].

واكد الباحث على ضرورة التفرقة ما بين الدين والتدين، مابين مبادئ الاجتماع الإسلامي ومقدار ما يلتزم به المسلمون. واكد على ان ما هو ممتاز يبقى نادراً وكذلك الردئ على منحى السلوك الاجتماعي بينما المتوسط هو الاعم بمعنى ان مستوى المتوسط للالتزام بمبادئ الدين الإسلامي هو الغالب على سلوك افراد المجتمع ومن هنا يستمد المجتمع الإسلامي بنيته.

ثالثا: دراسات اجنبية:

الدراسة السادسة (عناصر البناء الاجتماعي في الإسلام) للبروفسور دون مارتن ديل Prof. Don Martin Dale

يدخل هذا البحث ضمن موضوعات الباب الثامن من كتاب (طبيعة وانواع النظريات الاجتماعية)[٣] . يتناول البحث عدة موضوعات تتعلق بالبناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي مع دراسة اثار عوامل البناء الاجتماعي على الفكر الاجتماعي الملتزم في الإسلام[٤]. يعني مارتن ديل بعوامل البناء الاجتماعي الكتل المؤثرة في البناء الاجتماعي[٥] حيث ان هناك عدة كتل تشكل البناء الاجتماعي وهذه الكتل او مايسميها مارتن ديل بالعوامل البنيوية هي العامل او

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص٦١.

(٢) نفس المصدر السابق ،ص١٨٣-١٨٥.

(3) Martin , Don , Element of social structure in Islam, in the nature and types of sociological theory , Houghton misff in co., Boston, 1981. p158.

(4)Ibid., p159

(5)Ibid., p160

النظام الديني ، والعامل او النظام الاقتصادي، والعامل والنظام التربوي والتعليمي . والعامل او النظام السياسي واخيرا العامل او النظام الاسري[١].

وهذه البنى المؤسسية التي تشكل العامود الفقري للمجتمع الإسلامي تكون متساندة ومتكاملة بحيث ان أي تغير او تبدل يطرأ على احد هذه البنى يؤثر على بقية البنى الاجتماعية وبالتالي يحدث ما يسميه علماء الاجتماع بالتغير الاجتماعي. وان نمط هذا التغير هو التغير الاجتماعي الإسلامي المؤسسي أي تغير يرجع على تبدل المؤسسات في المجتمع الإسلامي من طور الى طور اخر .

الا ان البناء الديني في الإسلام هو من اهم البنى الاجتماعية التي يعتمد عليها المجتمع الإسلامي ، فهي التي تؤثر في طبيعة ومسار البنى المؤسسية للمجتمع الإسلامي وان بقية البنى المؤسسية في هذا المجتمع لا تؤثر في البناء الديني المؤسسي للمجتمع الإسلامي لان الدين هو الذي يؤثر في عناصر البناء الاجتماعي ولا يتأثر بها ، لان مبادئ الإسلام هي واحدة وثابتة ولا تتغير لاسيما المبادئ الأساسية للإسلام المتعلقة بالاعتقاد بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له والمتعلقة بالصلاة والصوم والزكاة والحج والايمان بالحياة الثانية بعد الموت، أي حياة البعث والنشور، لذا فالمؤسسة الدينية التي تنطوي على المبادئ الأساسية التي جاء بها الإسلام لا يمكن ان تتغير ولا يمكن ان تتاثر بالحياة الدينوية بل هي الحياة الدينية والعوامل الدينية هي التي تؤثر على المنظمات والتشريعات الإسلامية الخاصة بتنظيم شؤون الحياة وجعلها حياة يستطيع ان ينال الفرد فيها السعادة والتقدم والتنمية والازدهار. بينما في حالة ضعف المؤسسة الدينية فان هذا لا يمنح الإنسان السعادة ولا التنمية ولا التقدم، لهذا يمثل الدين العامل الاساس في المجتمع الإسلامي وان لاشئ يمكن ان يتقدم على الدين كما يعتقد الفكر الإسلامي الرسالي[٢] .

ان دراسة البروفسور مارتن ديل لا تتعلق بدراسة عناصر البناء الاجتماعي فحسب وانما تتعلق باثر البناء الاجتماعي الطبقي على المبادئ الأساسية التي يحملها المسلم، والتي تتعلق بطبيعة واصالة البنى المؤسسية للمجتمع حيث ان البناء الاقتصادي للمجتمع المتاتي من الفهم الديني للإسلام هو الذي يحدد المبادئ الاقتصادية التي يسير عليها المجتمع الإسلامي القائمة على الصدق في التعامل مع الاخرين وعدم الغش في المعاملات التجارية وتوزيع الثروة الاقتصادية على الجميع بحيث لا يبقى هنالك فقر وعوز وحاجة في المجتمع ، فضلا عن تحقيق المساواة الاقتصادية التي تضمن لهم الحياة المرفهة المبنية على العفة والنزاهة وحفظ الكرامة .

---

(1)Ibid., p162
(2)Ibid., p163

اما البناء السياسي للمجتمع الإسلامي فهو يعطي المسلمين المبادئ السياسية التي يؤمنون بها وهذه المبادئ تقوم على توزيع القوى بالتساوي على الفئات والجماعات السياسية التي يمكن ان تشارك في تحديد نوعية الحكم السائد في المجتمع ، وهي التي تصون الحريات السياسية للجميع وحرية الراي وحرية العقيدة وحرية الاجتماع وحرية العمل .

اما البناء التربوي التعليمي في المجتمع الإسلامي فهو الذي يحدد المبادئ التربوية والتعليمية التي يتمسك بها المسلمون والتي تقوم على حب العلم والمعرفة في المجتمع والتعليم ومحاربة الأمية والجهل وتكوين علاقة قوية متمسكة بين المعلم والمتعلم لان السلام يعد العلم والمعرفة من اهم مقومات الحياة، وان الله سبحانه وتعالى يجازي العلماء ويفضلهم على غيرهم من البشر.

فضلا عن اعتقاد الإسلام بان العلم هو الذي يمنح الاختصاص والمهارة ويطور الموهبة عند الإنسان بحيث يستطيع ان يمارس المهنة التي تدرب عليها في المؤسسة العلمية التي من خلالها يستطيع ان يخدم المجتمع ويشارك في عملية بناءه وتقويمه وتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة. كما ان العلم والدين في الإسلام يقعان على قدم المساواة لان الدين هو الذي يقرر قيمة العلم في المجتمع، والعلم هو الذي يرسخ مبادئ الدين عند الافراد والجماعات ، لذا فان الدين مكمل للعلم والعلم مكمل للدين ولا يمكن الفصل بينهما.

والبناء الاسري في الإسلام فهو الذي يحدد الملامح الأساسية للمبادئ الإسلامية الخاصة بالاسرة والقرابة والزواج، حيث ان مبادئ الإسلام هي التي تدفع المسلم الى الزواج الشرعي الذي يبعد الإنسان عن ممارسات الفساد والانحراف السلوكي والاخلاقي في المجتمع ، وان الزواج هو اساس تكوين العائلة فلا لايوجد عائلة بلا زواج كما تعتقد المبادئ الإسلامية، حيث ان الاسرة الإسلامية تكون متاصلة في الزواج الذي هو نظام اجتماعي وديني وشرعي واخلاقي يكون اساسا لإنجاب الذرية وأساس لبناء العائلة التي تعتمد على القيم الأخلاقية والدينية التي جاء بها الإسلام . وان الإسلام يوصي بتعميق الصلاة القرابية التي تعزز وتدعم الاسرة الإسلامية ، حيث ان الاسرة لاتستطيع ان تحقق اهدافها القريبة والبعيدة دون ان تكون لديها علاقات وطيدة مع الاقارب وكما ان الإسلام هو الذي حدد المبادئ الاخلاقية الصحيحة بين افراد العائلة المسلمة من حيث احترام الابناء للاباء وتقديرهم من حيث شفقة الاباء على ابنائهم ورعايتهم وتربيتهم التربية الصحيحة التي تتجاوب مع ما يريده الإسلام.

والإسلام هو الذي حث على مد الجسور بين العائلة و الاقارب وبين العائلة والمدرسة وبين العائلة والمجتمع وبين العائلة والدين، لان الدين هو اساس الإيمان عند افراد العائلة بالقيم والممارسات الدينية والأخلاقية الفاضلة، وبدون الدين لا يمكن ان تؤمن العائلة بالاخلاق والمثل التي يحدد اصولها الدين الإسلامي ويحدد سماتها الاخلاقية المثالية والاعتبارية التي ينبغي ان تدخل في كل بيت من بيوت المجتمع الإسلامي.

وهكذا نلاحظ ان البناء الاجتماعي في الإسلام يعني البرفسور مارتن ديل الواقع الاجتماعي والاقتصادي والطبقي للانسان ومثل هذا الواقع هو الذي يحدد الملامح الأساسية للمبادئ والقيم الإسلامية التي لا تتعلق فقط في المبادئ الجوهرية للإسلام بل تتعلق بتفصيلات أمور الحياة المتفرغة والشائكة . وعندما يكون المسلم مؤمنا بالمبادئ الإسلامية الجوهرية التفصيلية فانه يكون قد شارك في تطوير معالم الحياة والمجتمع تطوير ينسجم مع مبادئ الإسلام كدين سماوي يدعو الى الفضيلة والخير والفلاح[١].

الدراسة السابعة(العدالة والمساواة كأسس مركزية في الإسلام) للبروفسور ارنولد توينبي.

يوجد هذا البحث في القسم الثامن من كتاب (دراسة التاريخ) للعالم ارنولد توينبي الذي بعد من اشهر الكتاب والمفكرين الذين كتبوا عن الإسلام وتميزوا في توضيح السمات الايجابية التي يتسم بها الإسلام كدين سماوي. ومثل هذه الكتابة انما تتناقض مع بعض الكتاب الغربيين الذين انتقدوا الإسلام وبينوا بعض المثالب والهفوات التي وقع فيها المسلمون، ومن أمثال هؤلاء مونت كمري وات وترولش الالماني وماكس فيبر ولومس الصهيوني الامريكي[٢].

وان ارنولد توينبي يرد على هؤلاء بتبيان الحقيقة التي مفادها ان الإسلام هو دين المساواة والعدالة الاجتماعية[٣] بينما قال هؤلاء بان الإسلام يبتعد كل البعد عن المساواة فهو لا يساوي بين العرب و المسلمين و لا يساوي بين الحر و العبد ولا يساوي بين المراة والرجل ، ولا يساوي بين الغازي والمحتل.

ومثل هذا القول الذي ادعاه بعض علماء الغرب انما يتناقض مع الحقيقة الواقع.

وان توينبي هو الذي يثبت ويتأكد من حقيقة ان الإسلام يساوي بين العربي وغير العربي. فالاسلام يعد التقوى هو المعيار الاساس للتفاضل بين البشر فالاسلام يفضل غير العربي اذا كان غير العربي متمسكا بوصايا الإسلام ومبادئه واذا كان العربي جاحدا لوصايا الإسلام ومبادئه وبعيدا عن الالتزام بفرضه ووصاياه[٤].

كما ان توينبي يشير اشارات متعددة الى حقيقة المساواة بين المراة والرجل بالرغم من ان الإسلام لم يؤكد على هذه المساواة بل انه منح المراة حقوقها وضمن مستقبلها ، بحيث اصبحت شريكة الرجل في تحمل اعباء المسؤوليات وفي تبؤ المراكز والاعمال والمسؤوليات التي يتبؤها الرجل.

---

(1)Ibid.,pp.-163-166.
(2)Toynbee, A. the study of History (selected studies) oxford university press , London, 1978, p.35
(3)Ibid.,p.36
(4)Ibid.,p.37

وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير الى حقيقة المساواة والتكامل الاجتماعي بين المرأة والرجل بدليل ان الإسلام رفع الكثير من المظالم عن المراة ومنحها حقوقها كاملة.

كما يرد توينبي على الادعاء الذي يقول ان الإسلام لا يساوي بين الحر والعبد، وان الإسلام يعد اول دين سماوي يساوي بين الحر والعبد بدليل انه دعا الى تحرير العبيد وكان يكره المتاجرة بالعبيد لا سيما وان الإسلام هو الدين الذي حقق حقوق وكرامة الإنسان اكثر من أي دين اخر و انه دعا الى تحرير العبيد ودعا الى التكافؤ في المساواة بين الحقوق وواجبات الحر وحقوق وواجبات العبد ، بل انه في مناسبات عديدة دعا الى الغاء العبودية كنظام اجتماعي ، لان العبودية كنظام اجتماعي انما تتناقض مع روح الإسلام ومع المبادئ الجوهرية الأساسية التي جاء بها وطالب بتعميمها على سكان المعمورة لاسيما وان الإسلام هو الدين السماوي وان رسالته تتسم بالشمولية و التعميم بين جميع ابناء الجنس البشري فهو رسالة دينية واخلاقية تخص جميع الامم ولا تنحصر بامة واحدة كالامة العربية مثلا[١].

فضلا عن ان الإسلام قد ساوي بين الغازي و المحتل ، فليس من حق الغازي ان يحول المحتل الى عبد و يفعل به ما يشاء ، فالاسلام في مناسبات كثيرة طلب من المقاتلين الجنود الذي يقاتلون تحت مظلته معاملة الاسرى معاملة إنسانية و معاملة اخلاقية بعيدة عن الظلم و التعسف و المذلة وهدر الكرامة . فضلا عن انه لم يدع الى مقاتلة ابناء الشعوب المحتلة بل دعا الى معاملتهم بالحسنى وعدم التجاوز على حقوقهم و عدم إيذائهم الا اذا هموا بالاعتداء على المسلمين و مقاتلتهم . وهكذا نلاحظ من ان الإسلام هو الدين المساواة بين البشر فهو لم يعتدي على احد ولم يهضم حقوق الناس بل ساوى بينهم ، وجعلهم اخوة حتى ولو لم يكونوا مسلمين. هذا ما يتعلق بالمبادئ التي يحملها الإسلام على فضيلة المساواة الاجتماعية[٢] اما ما يعتقد به الإسلام عن فضيلة العدالة الاجتماعية فانه دعا الى العدالة وطالب بتعميمها وترسيخها بين البشر حفاظاً على القيم الاجتماعية الأساسية التي نادى بها الإسلام والتي في مقدمتها قيمة العدالة ويقول توينبي بصدد العدالة الاجتماعية في الإسلام بان الإسلام يعني بالعدالة الاجتماعية اعطاء الناس حقوقهم وازالة الظلم والقهر والتعسف الاجتماعي الذي قد يقع عليهم والذي يجعلهم متذمرين من المجتمع الذي لم ينصفهم ولم يمنحهم حقوقهم الثابتة والمشروعة بمعنى اخر ان العدالة الاجتماعية هي عطاء او منح صاحب الحق حقه وعدم الاعتداء على حقوقهم المادية وغير المادية وانصافه بالحكم الذي يمكن ان يتخذ ازائهم .

---

(1)Ibid.,p.38
(2)Ibid., p39

و العدالة في الإسلام تكون على انواع كثيرة و متعددة منها العدالة الجزائية و منها العادلة التصحيحية و منها العادلة التوزيعية . فالعدالة الجزائية في الإسلام هي فرض الجزاء و العقاب على الشخص الذي يستحقه. و هناك ايات كريمة كثيرة تشير الى العدالة الجزائية في الإسلام منها **(أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)**[1] فعندما يعتدي شخص ما على مسلم فان المسلم من خلال المؤسسات الجزائية ينبغي ان ياخذ حقه من المعتدي هو بقدر الضرر الذي تكبده من جراء ذلك الاعتداء لكي تكون هناك عادلة جزائية.

كما ان الإسلام بصدد العدالة الاجتماعية طالب المسلمين بعدم الاعتداء على الاخرين لان الله سبحانه و تعالى لا يحب المعتدين ، لكنه في الوقت ذاته طلب من المسلمين رد الاعتداء الذي يتعرضون له من قبل الكافرين و المعتدين . و هكذا يسعى الإسلام لتحقيق العدالة الجزائية بين ابناء المجتمع الإسلامي و ذلك من خلال فرض القصاص على المعتدين.

اما ما يتعلق بالعدالة التصحيحية فان الإسلام كما يقول توينبي كان واضح في احترام و التقيد في مفردات و نصوص هذا النوع من العدالة و الإسلام يعني بالعدالة التصحيحية تصحيح الخطأ و ازالة الحيف الذي تعرض له المسلم و معاقبة الشخص الذي تسبب بهذا الخطا ، فالخطا لا يمكن ان يصحح بالخطا بل يصحح باتخاذ الاجراء المناسب الذي يصون حقوق و الاعتبار للشخص الذي تعرض الى التجاوز و الخطا . اما اذا ترك الخاطئ على خطئه فان ذلك يجلب الشر الوبيل للمجتمع ويعرض الاسرة الاجتماعية و حلقة البشرية الواسعة الى الظلم والبهتان، الأمر الذي يهدد توازن المجتمع وسلامته . وهكذا يرعى الإسلام موضوع العدالة التصحيحية ويحث على ضرورة التقيد بمفرداتها كما جاء ذلك في الشريعة الإسلامية.

اما العدالة التوزيعية في الإسلام فهي من الموضوعات التي اهتم بها الإسلام اهتماما كبيرا فتوزيع الحقوق والامتيازات والمكافاءات ينبغي ان يتم وفق للواجبات والمهمام والمسؤوليات التي تحمل وزرها المسلم، فالحقوق المادية والاعتبارية ينبغي ان تعطى الى اصحابها ولا تعطى للاشخاص الذين لم يؤدوا واجباتهم والمهمام التي اوكلت اليهم والتي يحتاجها المجتمع . فاذا اعطيت الحقوق والامتيازات الى غير مستحقيها فان ذلك يسبب اختلالا في توزان وسلامة المجتمع الإسلامي وبالتالي فان منح الحقوق لاصحابها وعدم منحها الى اشخاص لا يستحقونها لان هذا الفعل انما يتناقض مع المبادئ الأساسية التي جاء بها الإسلام ولعل في مقدمتها العدالة الاجتماعية[2].

---

(١) المائدة :٤٥.

(1) Ibid., p39-41.

ان هناك درجة من التلازم بين المساواة و العدالة الاجتماعية في الإسلام لان العدالة الاجتماعية لايمكن ان تتحقق الا في ظل المساواة وان المساواة لا يمكن ان تتحقق بين الناس الا اذا وجدت العدالة الاجتماعية اذن لايمكن الفصل بين المساواة والعدالة الاجتماعية في الفكر الإسلامي لان كل فضيلة من هذه الفضائل متممة للفضيلة الأخرى. ومهما يكن من الامر فان قيمتي المساواة والعدالة الاجتماعية هي من القيم الأساسية التي تحافظ على حقوق الإنسان وتجعله يشعر بانه يعيش وسط مجتمع سليم يمنحه حقوقه كاملة بعد ان يتأكد ان الواجبات الملقاة على عاتقه قد قام بها ونفذها تنفيذاً يخدم مسيرة الإنسان والمجتمع على حد سواء .

الفصل الثالث

الإطار النظري والمنهجي

١- المبحث الأول : الإطار النظري

٢- المبحث الثاني : الإطار المنهجي

المبحث الأول

الإطار النظري

تعتمد دراسة الفكر الاجتماعي في الإسلام على النظرية البنيوية الوظيفية ، التي تعد من أهم وأحدث نظريات علم الاجتماع المعاصر[١]. ويميل معظم علماء الاجتماع الى تبني المدخل البنائي الوظيفي في تحليلهم للدين ، ولعل ذلك راجعاً الى ان هذا المدخل فضلاً عن كونه من أوائل المداخل النظرية المستخدمة في دراسة الظاهرة الدينية ، الا انه يتميز ايضاً بالوضوح والشمول في دراسة التداخل بين الدين والمجتمع[٢].

تفترض هذه النظرية بان المجتمع مكون من أجزاء بنيوية متكاملة ولكل جزء من هذه الأجزاء وظائفه التي تشبع الحاجات الأساسية والاجتماعية والروحية للأفراد[٣] وان أي تغيير يطرأ على احد الأجزاء لا بد ان ينعكس على بقية الأجزاء وبالتالي يحدث ما يسمى بعملية التغير الاجتماعي . فضلاً عن ان البنيوية الوظيفية تعتقد ان كل جزء من أجزاء النسق او المؤسسة له وظائف بنيوية نابعة من طبيعة الجزء . وهذه الوظائف مختلفة نتيجة اختلاف الأجزاء او الوحدات التركيبية ، وعلى الرغم من اختلاف الوظائف فان هناك درجة من التكامل بينهما .

وتؤكد البنيوية الوظيفية على وجود نظام قيمي او معياري لتسير البنى الهيكلية للمجتمع ، فالنظام القيمي هو الذي يقسم العمل ويحدد واجبات كل فرد وحقوقه ، كما يحدد أساليب اتصاله وتفاعله مع الآخرين . فضلاً عن تحديده لماهية الأفعال التي يكافأ عليها الفرد او يعاقب[٤].

وترى البنيوية الوظيفية ان حاجات النسق الاجتماعي تنبثق من ظروف الوجود الاجتماعي للإنسان ، ومن ثم فان تتبع هذه الحاجات هو الذي وصّلنا الى الفكرة الوظيفة التي يجب ان تؤدى من اجل استمرار النظام . والدين مثل أي نظام اجتماعي آخر يؤدي وظائف ضرورية في الحفاظ على بقاء المجتمع ، ويساهم في تعزيز الاتفاق حول طبيعة ومحتويات

---

(١) الحسن ، إحسان محمد "د" ، علم الاجتماع الديني ، مصدر سابق، ص٥٥ .

(2) Wallace, Anthony, F., C, Religion An Anthropological View, NewYork, Random House, 1966,p.4.

(3) Coser, L. A. Masters of Sociological Thought, NewYork, Harcourt Brace Jovanovich Publishers, 1977, p.97.

(٤) الحسن ، إحسان محمد "د" ، النظريات الاجتماعية المتقدمة ، دراسة تحليلية للنظرية الاجتماعية المعاصرة ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٤٩-٥٠ .

الالتزامات الاجتماعية ، فضلاً عن دوره في خلق أنساق من القيم الاجتماعية التي لها صفة التكامل والتماسك[١].

يعتقد الفكر الاجتماعي في الإسلام بان المجتمع الإسلامي مكون من مجموعة بنى ومؤسسات مترابطة ، ولعل من أهم هذه البنى والمؤسسات البناء الديني ، فهو ركن أساسي من أركان البناء الاجتماعي ، لا بل هو الركن الذي ينظم بقية الأركان التي يتكون منها البناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي[٢]. وعند ظهور الإسلام تبنت المؤسسة الدينية في المجتمع العربي تعاليم ومبادئ الإسلام ، وهذه التعاليم والمبادئ التي استوعبها المسلمون كان لها الفضل الكبير في تطوير البنى المؤسسية للمجتمع الإسلامي نحو الأحسن والأفضل ، حيث تم تنظيم الأسرة وعلاقات القرابة والزواج ، وتغير النظام الاقتصادي والنظام التربوي والنظام السياسي والنظام العسكري على وفق ما يوصي به الإسلام ، حيث ان تعاليم الدين الإسلامي سرعان ما تغلغلت في نسيج العلاقات الاجتماعية وفي البنى المؤسسية للمجتمع العربي الإسلامي . ومثل هذا التغير كان السبب في قوة ومتانة البناء الاجتماعي وصحة وسلامة مؤسساته ، بحيث استطاع المجتمع العربي الإسلامي ان يبني اكبر وأروع الحضارات التي شهدتها الإنسانية . تلك هي الحضارة العربية الإسلامية والتي لم تتقدم في الجانب الروحي والاعتباري والأخلاقي فحسب بل تقدمت في الجانب المادي والاجتماعي .

لهذا استطاعت هذه الحضارة ان تكون بؤرة للإشعاع الحضاري للإنسانية جمعاء . وكان ذلك بفضل المبادئ الروحية والأخلاقية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام . والتي لم تنظم الحياة في جانب واحد بل نظمت الحياة في جوانبها كافة.

وهكذا نلاحظ بان الفكر الاجتماعي في الإسلام قد نظم أركان البناء الاجتماعي كافة ، وفيما يتعلق بالعلاقة المنطقية بين الفكر والبناء في المجتمع الإسلامي ، نلاحظ ان الفكر العامل الأساس ، بينما كان البناء الاجتماعي العامل التابع ، أي العامل الذي تأثر بالفكر الاجتماعي الإسلامي ، والذي نظم تنظيماً دقيقاً وقويماً كل ما له صلة بالمجتمع و الجماعة والفرد . حيث أرسى الأسس الوطيدة التي ارتكز عليها البناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي .

فأسهم في تهذيب الطبيعة البشرية وزرع المثل والقيم والأخلاق الفاضلة في نفوس المسلمين وتنمية شخصيتهم وفجر قدراتهم المبدعة والخلاقة ونمى روح التسامح والمحبة والتعاون

---

(١) بيومي ، محمد احمد محمد "د" ، علم الاجتماع الديني ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٢) الحسن ، إحسان محمد ، "د" ، علم الاجتماع الديني ، مصدر سابق ، ص٥٢ .

والإيثار فيما بينهم . ووضع المبادئ والتعاليم التي تسير عليها الجماعة كونها حجر الأساس لبناء المجتمع ، ونظم أركان الجماعة وعناصرها الأساسية .

وأرسى الفكر الاجتماعي الإسلامي نظاماً اجتماعياً متكاملاً تتساند أجزائه ، ويتسم بالمرونة ويتمتع بالديناميكية بحيث يتلائم مع كل العصور ومختلف البيئات ، ويساير التطورات الاجتماعية ويستجيب للحاجات الجديدة والاتجاهات الحضارية المستحدثة التي لا تتعارض مع جوهرها[١] ويقوم ذلك الناس على أساس من العدل وتكافؤ الفرص وتبادل المنافع والخبرات والإيثار وغيرها من ضروب المشاركة التي تهدف الى توفير العدل للجميع .

ويتسم الفكر الاجتماعي في الإسلام بالوسطية حيث يوازن بين الروح والمادة وبين الفرد والمجتمع وبين الدنيا والآخرة ، والربط بينهما ربطاً علمياً هادفاً ، مما خلق تناسق عجيباً ، حيث جعل كل منهما جزءاً من الآخر متمماً له ومساعداً عليه[٢] مما يؤدي الى خلق توازن عبادي واجتماعي .

ولا يعتقد الفكر الاجتماعي الإسلامي بحتمية التكامل بين البنى الأساسية للمجتمع فحسب بل يعتقد بحتمية التكامل بين وظائف هذه البنى المؤسسية ، وعندما يكون هناك تكامل بين البناء والوظيفة ، فان المجتمع الإسلامي يكون بالضرورة متكاملاً متوازناً ومتناسقاً بعناصره وأركانه الأساسية .

وهكذا نلاحظ بان البنيوية الوظيفية لها القدرة الكبيرة على تفسير العلاقة بين الفكر والبناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي . وذلك ان الفكر هو الذي يهيمن وينظم البناء الاجتماعي للمجتمع بما فيه من تراكيب مادية واجتماعية وسياسية ، وان البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي ، لا يمكن ان يكون الا تابعاً للفكر الاجتماعي الإسلامي الذي هو جزء من الفكر الإلهي .

---

(١) المصدر السابق ، ص ص ١٠٩-١١٣.

(٢) المصدر السابق ، ص٩١ .

المبحث الثاني
الإطار المنهجي

لكل بحث او دراسة علمية إطار منهجي يتم من خلاله وضع الخطوط العريضة لسير ذلك البحث او تلك الدراسة ، وبذلك فان المنهج يهدي الباحث الى الطريق السليم الذي ينبغي ان يسلكه في أثناء قيامه بالبحث ، فيبتعد عن الأهواء الشخصية والأحكام المسبقة التي من الممكن ان ينحاز الى فكرة معينة ضد أخرى .

يعد تقدم البحث العلمي رهيناً بالمنهج ، ومن هنا كان الاهتمام البالغ بتقنين مناهج البحث العلمي في مختلف العصور الى وقتنا الحاضر ، اذ ان الإلمام بمناهج البحث العلمي تمكن العلماء والباحثين من إتقان البحث وتلافي كثير من الخطوات المتعثرة والتي يمكن ان تعرقل مسيرة البحث وتضعف نتائجه(١).

والمنهج هو طريقة البحث التي يستعملها الباحث في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها والاستفادة منها في الدراسة العلمية التي يزمع إجراءها(٢) ، ويعرف كذلك بانه مجموعة المبادئ والأساليب العلمية التي تؤمن إطارا تحليلياً للبحث تؤدي الى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد التي تهيمن على سير عمليات البحث وتحدد مجالاتها الأساسية حتى يصل الى النتيجة المطلوبة(٣).

ويرى العلماء والمختصون بان المناهج متغيرة ومتباينة وذلك تبعاً لطبيعة الزمان والمكان ولطبيعة الظاهرة المدروسة(٤). فطبيعة الظاهرة المدروسة هي التي تحدد المناهج التي يمكن الاعتماد عليها في دراستها، ويستعين الباحث في دراسته للفكر الاجتماعي الإسلامي بثلاث مناهج أساسية هي المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي.

١- المنهج التاريخي Historical Method :

---

(١) حافظ ، ناهدة عبد الكريم ، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٥.

(٢) الحسن ، إحسان محمد ، "د" موسوعة علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص٥٩٩.

(٣) بدوي ، احمد زكي ، "د" معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص١٩٣ .

(٤) بدوي ، عبد الرحمن ، "د" ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط٣ ، ١٩٧٧ ، ص١٠.

يعد التاريخ ذاكرة المجتمعات ، ومنهل العلوم الاجتماعية ، ينمي معرفة الباحث في الإنسان ومجتمعه ويثري أفكاره ويمنحها عمقاً ، فأنماط الحياة السائدة والنظم والظواهر الاجتماعية المعقدة جذورها في الماضي ، فمن يسعى للكشف عن العوامل التي ساهمت في نشأة هذه الظواهر لا بد له من الرجوع الى الماضي لتعقب نمو تلك الأنماط والنظم والظواهر منذ نشأتها ، ومعرفة عوامل تبدلها وانتقالها من وضع الى آخر[١].

وعلماء الاجتماع لا يستطيعون دراسة وفهم وتحليل النظم الاجتماعية والظواهر الحضارية دون دراستها دراسة تاريخية مفصلة طالما ان النظم والظواهر الاجتماعية المعاصرة ما هي الا وليدة التحولات التاريخية التي طرأت عليها فغيرتها وجعلتها تتميز بصفاتها الحاضرة التي نشعر بها الآن[٢] والغرض الأساس من استخدام المنهج التاريخي في علم الاجتماع هو الوصول الى المبادئ والقوانين العامة التي تحكم مسيرة الظواهر والنظم الاجتماعية وتعطينا المجال لفهم الحاضر والتنبؤ عن المستقبل[٣].

ويعد المنهج التاريخي تعاملاً منهجياً مع المادة التاريخية في ضوء القواعد والأساليب المستخدمة في البحث الاجتماعي . ولا بد للباحث الاجتماعي ان يحرر اهتمامه من التسلسل الرتيب للأحداث والوقائع . لان هذا الرصد والسرد من صميم عمل المؤرخ[٤]. اما الباحث فهدفه الوصول الى المبادئ والقوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية والتي لا يمكن ان تحدث في فراغ لانها نتائج الماضي وثمرة عوامل عديدة تفاعلت بمرور الزمن وأعطتها وضعها الذي توجد عليه في الوقت الحاضر[٥].

ومن خلال هذا المنهج يستطيع الباحث التعامل مع وحدة البحث الأساسية وهي الحديث النبوي ، ومحاولة الكشف عن المعلومات والحقائق التي يتضمنها الحديث والربط بينها ، ثم تحليل وتفسير مدلولها في ضوء الأحداث التاريخية وما ينجم عنها من تغير اجتماعي وتطور حضاري .

ومن خلال الاستطلاع الأولي لمادة الحديث النبوي ، يمكن ان تعطينا عملية التحليل والدراسة لتلك الأحاديث بأسلوب علمي ضمن سياقها التاريخي ، صورة واضحة المعالم عن الفكر الاجتماعي في الإسلام .

---

(١) احمد ، غريب محمد سيد "د" ، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ ، ص١٠١ .

(٢) الحسن ، إحسان محمد ، "د" ، المدخل الى علم الاجتماع ، دار الطليعة ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص٤٣ .

(٣) الحسن ، إحسان محمد ، "د" ، موسوعة علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص٦٠٢ .

(٤) احمد غريب محمد سيد ، "د" ، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي ، مصدر سابق ، ص١٠٧ .

(٥) الحسن ، إحسان محمد ، "د" ، المدخل الى علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص٤٢ .

٢- المنهج الاستقرائي Inductive Method :

الاستقراء هو العملية المنطقية التي يستنبط عن طريقها التعميمات من وقائع جزئية ، ويمكن ان يوصف المنهج التجريبي بأنه استقرائي ، لان النتائج العامة فيه تشتق من الملاحظات الفردية[١].

لقد كان المنهج الاستقرائي هو المنهج المعبر عن روح الحضارة الإسلامية ، حيث كان هذا المنهج منهج المسلمين في مجال الرواية ، رواية الحديث النبوي ، والنصوص الأدبية واللغوية ، وكذلك كان منهج المسلمين في البحوث التجريبية[٢].

والمنهج الاستقرائي يعتمد في المعرفة الكلية للظاهرة او الموضوع المدروس ، على دراسة الأجزاء ، أي ان تدرس الأجزاء دراسة مفصله كي يمكن بعد ذلك استنتاج الكل ، فهذا المنهج يقوم على تتبع الجزئيات للتوصل الى حكم كلي . فالاستقراء هو عملية تحليل ذهني يتدرج من الخاص الى العام[٣]. وعلى ذلك فالجزء الأكبر من المعرفة البشرية ذو طابع استقرائي او تجريبي ما دام يتألف من تعميمات نجريها على تجربتنا الحسية[٤].

لقد أولى الإسلام أهمية بالغة للمنهج الاستقرائي حيث اعتمد على الاستشهاد بالملموس للوصول الى اليقين الثابت . وبذلك تكون وظيفة الاستقراء هي تيسر الحصول على المعرفة العلمية ، لان إدراك العلل والأسباب للظواهر ومعرفة القوانين التي تخضع لها يعني إمكانية التنبؤ متى تحققت الشروط التي أدت الى وجودها من قبل[٥].

ويؤمن لنا استخدام المنهج الاستقرائي في هذه الدراسة ومن خلال عملية تحليل المضمون الاجتماعي لعدد من الأحاديث النبوية ، التوصل الى عدد كبير من النتائج الجزئية ، والتي يمكن من خلال الربط والتأليف فيما بينها تحديد الملامح للفكر الاجتماعي في الإسلام .

٣- المنهج الاستنباطي Deductive Method :

---

(١) غيث ، محمد عاطف ، قاموس علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص٢٤١ .

(٢) الدسوقي ،محمد ، "د" ، منهج البحث في العلوم الإسلامية ، دار الاوزعي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص٦١ .

(٣) بدوى ، احمد زكي ، "د" ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص٢١٣.

(٤) السالم ، فيصل ، "د" ، وفرج ، توفيق "د" ، قاموس التحليل الاجتماعي ، دار المثلث ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص٩٦ .

(٥) الدسوقي ، محمد "د" ، منهج البحث في العلوم الإسلامية ، مصدر سابق ، ص٨٢ .

الاستنباط هو استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة ، ولكن مفهوم الاستنباط في مناهج البحث العلمي له مدلول خاص اذ هو انتقال الذهن من قضية او عدة قضايا مسلم بها الى قضية او قضايا أخرى هي النتيجة ، على وفق قواعد المنطق ، دون الالتجاء الى التجربة كالمنهج الاستقرائي[١].

وهو أسلوب المحاكمة الفكرية من العام الى الخاص ومن التعميمات الى الاستنتاجات الجزئية[٢] وهو عملية تحليل الظاهرة الكلية الى أجزائها وعناصرها الأساسية[٣]. كما يعرف الاستنباط بأنه عملية الانتقال من المبادئ العامة الى الجزئيات او الأمثلة والحالات الخاصة ، ويستخدم الاستنباط في المنهج العلمي ، حينما يتعين اشتقاق القضايا الدنيا من مبادئ او قضايا نظرية أكثر عمومية ، على ان يتوافر لإجراء هذه العملية شرط الاتساق المنطقي وعدم التناقض بين القضايا العامة والمستنبطة[٤]. وأولى الرسول (ﷺ) أهمية بالغة لهذا المنهج ، فجاءت السنة النبوية بياناً للقران الكريم ، وسعت دائرته وأوضحت جزئياته الدقيقة ، عن طريق تخصيص عامة ، وبيان مجمله ، وتقييد مطلقة[٥] واستخدم هذا المنهج فقهاء الأمة الإسلامية بغية استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الدينية .

لقد تغلغل المنهج الاستنباطي في كل دوائر العلم والمعرفة الإنسانية ، وقد عرفت كل العلوم البديهيات ، وتنوعت من علم الى آخر ، ولكن يجمع بينها انها فروض خاصة بكل علم، وانه مسلم بصوابها عند أصحابها ، فهي لا تحتاج الى برهنة او إقامة الأدلة على صحتها ، كما لا تقبل النقد لذاتها ، وينحصر نقدها في صحة استدلال النتائج منها فان كان هذا الاستدلال سليماً من الناحية المنطقية كانت النتيجة صحيحة من الوجهة النظرية[٦].

وفي دراستنا هذه والتي تقوم على تحليل النصوص الدينية (الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة) حيث تعد هذه النصوص من القضايا المسلم بها ، فهي كالبديهيات يفترض صوابها بغير برهان ولا تخضع للنقد في ذاتها . ومن ثم يكون واجبنا اشتقاق واستنباط القواعد التي تنظم الحركة الاجتماعية وتهدف الى خلق التوازن العبادي والاجتماعي . فضلاً عن ان هذا

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠١ .

(٢) الماجد ، عبد الرزاق مسلم ، "د" ، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، مصدر سابق ، ص١١ .

(3) Frolov, I, Dictionary of Philosophy, progress publishers, Moscow, 1984, p.96.

(٤) غيث ، محمد عاطف ، "د" قاموس علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص

(٥) عبد الحميد ، محسن "د" ، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، شركة الرشد للطباعة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص٩٩ .

(٦) الدسوقي ، محمد "د" ، منهج البحث في العلوم الإسلامية ، مصدر سابق ، ص١٠٥ .

المنهج يوفر لنا في دراستنا للفكر الاجتماعي في الإسلام ، الإطار العام والمذهبية التي نتحرك من خلالها لتحديد ملامحه .

الفصل الرابع

الفكر الاجتماعي في الشرق القديم

المبحث الأول:الفكر الاجتماعي في العراق القديم.

المبحث الثاني: الفكر الاجتماعي عند المصريين القدماء.

المبحث الثالث: الفكر الاجتماعي في الهند القديمة.

المبحث الرابع: الفكر الاجتماعي في الصين القديمة.

المبحث الخامس: الفكر الاجتماعي في الديانة اليهودية.

المبحث السادس: الفكر الاجتماعي في الديانة المسيحية.

مقدمة تمهيدية:

من يحاول البحث في الفكر الاجتماعي لا بد له أن يعرج على الشرق القديم لأنه الموئل الأول للفكر والحضارة، حيث يجد هناك كماً هائلاً من المعتقدات الروحية والأفكار الاجتماعية والسياسية ومبادئ القانون التي تحدد ملامح الفلسفة الاجتماعية لتلك المجتمعات.

فمن خلال السجلات البابلية مثلاً نجد أفكاراً اجتماعية أصيلة سواء كانت في المجال الوصفي أم التطبيقي، ولاسيما من خلال شريعة حمورابي، ويمكن أن نجد ذلك أيضاً في أعمال المصريين القدماء. فضلاً عن أن الكثير من الاهتمامات الفكرية والاجتماعية توجد في كتب الهند القديمة. وكذلك في المبادئ الدينية في الصين.

وإن الشرائع الدينية لليهودية و المسيحية وتعاليم الأنبياء مليئة بالأفكار الاجتماعية والانثروبولوجية وسيتم تناول ذلك بشكل مقتضب ليشكل توطئة للحديث عن الفكر الاجتماعي في الإسلام. حيث يتخصص هذا الفصل بدراسة ستة مباحث رئيسية هي:

أولاً: الفكر الاجتماعي في العراق القديم.

ثانياً: الفكر الاجتماعي عند المصريين القدماء.

ثالثاً: الفكر الاجتماعي في الهند القديمة.

رابعاً: الفكر الاجتماعي في الصين القديمة.

خامساً: الفكر الاجتماعي في اليهودية.

سادساً: الفكر الاجتماعي في المسيحية.

المبحث الأول:
الفكر الاجتماعي في العراق القديم

حضارة العراق القديم الذي كان يسمى أرض ما بين النهرين، هي مهد الحضارة البشرية، حيث أشارت أغلب المصادر التاريخية الرصينة ولاسيما الكتب السماوية المقدسة كالتوراة والإنجيل إلى أن الخليقة بدأت في بلاد ما بين النهرين[١].

تميزت حضارة وادي الرافدين بتقدمها في مجال الفكر والإبداع وابتكار الحرف والكتابة وابتداع الأساطير والملاحم والتطور في اللغة والأدب ونحت النصب والتماثيل وتشييد الزقورات التي ترمز إلى المكانة المتطورة للدين في المجتمع[٢].

يعد العراقيون أول من ابتدعوا الأديان وأول من عبدوا الآلهة والكائنات المقدسة، وتتسم الديانة في بلاد وادي الرافدين بمبدأ الحيوية، أي الاعتقاد بوجود قوى وأرواح كامنة في مظاهر الطبيعة وتجسيدها بهيئة آلهة خصها بالعبادة والتقديس[٣].

فالطبيعة القاسية في العراق تتحكم بمشيئة الإنسان وتدفعه إلى الشعور بضعفه أزاءها، وبموجب هذا لم يكن العراقيين يرون النظام الكوني كشيء معطى، بل كشيء تحقق بفضل الجمع بين الإرادات الكونية الفردية الكثيرة ولذلك جعل فهمه للكون يعبر عن نفسه في صورة الجمع والتوحيد بين الإرادات، أي في صورة الأنظمة الاجتماعية– كنظام العائلة، والجماعة والدولة[٤].

وهنا قد تحول الكون في العراق القديم، إلى ذلك الخليط الذي لا تفرز عناصره، والذي يعيش فيه الناس والحيوانات والحجارة والنجوم على مستوى واحد من الشخصية والبقاء الحي. أي أن العراق القديم ينظر إلى الظواهر الطبيعية على أنها حية، ذو إرادة وشخصية، وكان يتحدث عن العلاقات بينها كأنها علاقات اجتماعية وعن نظامها في أداء وظائفها كأنها نظام من الإرادات[٥].

---

(١) الحسن، إحسان محمد، الدكتور، الأنبياء عراقيون، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص٩–١٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥.

(٣) باقر، طه وآخرون، تاريخ العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص٩–١٠.

(٤) فرانكفورت، هـ. وآخرون، ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، دار مكتبة الحياة، فرع بغداد، بلا سنة طبع، ص١٤٧–١٤٨.

(٥) المصدر السابق، ص١٥٢.

اعتقد العراقيون القدماء بأن المياة كانت أصل الوجود ومنها ولد الجبل الكوني الذي يمثل السماء والأرض متحدين، وبعد أن تم فتقهما خلقت النجوم والكواكب وظهرت معالم الحياة على الأرض[١].

لقد تعددت الآلهة في المعتقدات الدينية للعراقيين القدماء لتعدد المظاهر الكونية والطبيعية التي جسدها الإنسان بشكل آلهة. وتتسم المعتقدات والطقوس الدينية في العراق القديم بالاستمرارية التاريخية، بحيث بقيت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة. غير أن هناك ظاهرة جديرة بالملاحظة وهي انتقال السلطة من سلالة إلى أخرى كان يصحبه في كثير من الأحيان تغيير في مكانة بعض الآلهة، ويمكن القول أن إله السلالة التي بيدها مقاليد الحكم يحضى عادة بقسط أكبر من التقديس ويكون له شأن كبير بين الآلهة الأخرى.

ومن خلال ذلك تجد بأن إنسان بلاد الرافدين قد أفلح في التعبير عن أحاسيسه وأفكاره تجاه الكون وعن نظرته الدينية إليه خلال حقب الحضارات الأولى لبلاد ما بين النهرين[٢].

وعن كيفية خلق الإنسان في أساطير العراقيين القدماء. كان السومريون أول من فكروا في أسباب خلق الإنسان وكيفية ظهوره فوق الأرض. فنظروا إلى الإنسان على أنه خلق من الطين المجبول بدم الإله المذبوح. وكان الكهان يرتلون القصيدة الدينية التالية عند عسر الولادة لنيل عطفها وأكتساب معونتها في تسهيل الولادة.

١- سيبدل القلة إلى كثرة.
٢- ويتحمل الإنسان الخليقة.
٣- ويدعون عون الآلهة الحكيمة [مامي].
٤- أنت أيتها الأم الرحيمة.
٥- خالقة البشر.
٦- اخلقي الإنسان وحمليه النير.
٧- أنت اجعليه أن يحمل النير.
٨- ففتحت [مامي] فاها.
٩- وقالت للآلهة العظام يستحيل علي أن أصنع ذلك وحدي.

---

(١) سليمان، عامر، الدكتور، العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري، مطابع جامعة الموصل، ١٩٩٣ ، ص١٤٠.

(٢) الحسن، إحسان محمد، الدكتور، الأنبياء عراقيون، مصدر سابق، ص٣٢-٣٤.

١٠- أنه... كل شيء.

١١- الطين.

١٢- ففتح الإله [أيا] فاه وقال للآلهة العظام.

١٣- لأجل تطهير الأرض.

١٤- أطلب منهم أن يذبحوا إلهاً.

١٥- ويتطهر الآلهة في أثناء قضائهم.

١٦- وبلحمه ودمه.

١٧- اجعل [مامي] تجبل الطين.

١٨- والإله والإنسان... يتحد ثان في الطين.

وهكذا بأمر الإله [أيا] وموافقة الآلهة الأخرى خلقت مامي الإنسان من جزأين متضادين إلهي وترابي[١].

وهناك أسطورة خلق أخرى، وردت من خلال قصيدة سومرية خلاصتها:

أن الآلهة تذمروا عند الإله أنليل من الصعوبة التي يرونها في الحصول على عيشهم ولم يلتفت الإله أنليل إلى تذمرهم فاستحثته أمه الإلهة " نمو" أن يغيثهم. وقالت له: (يا بني، قم من فراشك وأصنع ما هو مفيد. اصنع عباداً للآلهة حتى يهيئوا لهم الطعام والشراب).

فقال يا أماه: أعجبني الطين الموجود في مياه "الابسو". اصنعي منه الأعضاء والجوارح.. وستعاونك الربه " نن- ماخ " إلهة الأرض، وقدري يا أماه مصير الوليد، فصنعت الآلهة " نمو " بمعاونة الربة " مامي – ننماخ " أعضاء الإنسان وجوارحه وصورته من الطين الموجود في مياه الابسو على صورة الآلهة ودعت اسمه "لولو".

ولما بنت الآلهة مدينة أريدو بيدها غرست الأشجار المثمرة في جنائنها ووضعت ذلك الإنسان [لولو] في جنة عدن ليعبدها وليعمل بها ويهيئ للآلهة الطعام والشراب من أثمارها.

ولما كان العقل البابلي لم يأنف من إعطاء زوجات وعشيقات للآلهة، فإنه لم يرى حرجاً في إعطاء لولو زوجة له من جنسه لتخدمه في الجنة، وأباحت الآلهة لهما الأكل من صنوف الأثمار وأنواع الفواكه عدا أشجار الكروم، وما فيها من رحيق منعش، فهو خاص للآلهة، وقد حرم عليهما. فأقام لولو فيها وبجانبه زوجه يتمتعان بلذة الحياة وخدمة الآلهة ونعمة الخلود. ولما كان للنساء حب

---

(١) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، الألوهية وتاريخ الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٠١-١٠٢.

الاستطلاع، فقد تناولت أولاً زوجته من ذلك الرحيق الخاص للآلهة وأعطت منه إلى زوجها فغضبت عليها الآلهة وأخرجتهما من جنة عدن إلى الأرض[١].

ومن خلال تلك الأساطير يتبين لنا أن العراقيين القدماء نظروا إلى الإنسان على أنه خلق من طين جُبل بدم الآلهة، والغاية الأساسية من خلقه ليقوم بخدمة الآلهة.

ومن خلال الحفريات الأثرية عثر المنقبون في مدينة آشور [الشرقاط] على رقيم من الطين فيه رواية آشورية عن الغاية من خلق الإنسان. حيث تشير تلك الرواية على أن الآلهة خلقت الإنسان لكي يسعى ويعمل طيلة حياته في حفر الجداول وتنظيم الري وتحديد الحقول وسقي المزروعات وإكثار الغلة وتربية الثيران والأغنام والسمك والأطيار. وقد وضعت السلة والفأس في يده للبناء والعمران وتشييد المعابد والاحتفال بأعياد الآلهة. فرضت الآلهة هذه الأعمال فرضاً على الإنسان. فالقيام به يعد من الواجبات الدينية التي ترضي الآلهة. وبهذه العبادة النافعة ألزموا الناس إلزاماً بتعمير الأراضي وتنظيم الري وغرس الأشجار وزرع الحقول وتعمير المدن وبذلك ازدهرت ضفاف الرافدين[٢].

آمن العراقيون القدماء أن الخلود خاص بالآلهة وحدها، وإن الإنسان محكوم عليه بحتمية الموت. وكان الموت في تصورهم انفصال الروح عن الجسد، فتنحدر الروح بعد وضع الجسد في القبر إلى عالم الأرواح، وتعيش هناك إلى الأبد، حيث لا قيامة ولا رجعة عندهم، وإن العقاب والثواب زمنيان في الحياة وانتفاء فكرة البعث والنشور.

مما دفع العراقيون القدماء إلى الإقبال على الدنيا والعمل لها والسعي إلى التنعم والتمتع فيها، ودفع انتقاء الخلود في عالم الآخرة الملوك إلى تخليد أنفسهم للأجيال القادمة بالأعمال العمرانية[٣].

ومن خلال ذلك يتبين لنا أثر المعتقدات الدينية على صياغة التكوينات الاجتماعية وعلى تحقيق المنجزات والأعمال الحضارية التي يمكن أن تنجزها الوحدات البشرية.

ثانياً: الفكر الاجتماعي عند المصريين القدماء .

(١) المصدر السابق، ص١٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٥.

(٣) فرانكفورت، هـ. وآخرون، ما قبل الفلسفة، مصدر سابق، ص١٣٨-١٤٠.

التفكير الاجتماعي عند المصريين القدماء انبثق لتحديد الصلات التي تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، من خلال اعتقادهم أن للإنسان حياة أخرى بعد الموت، تحاسب فيها روحه عن أعماله أمام " أوزيريس" الذي كانوا يزعمون أنه الإله الذي يحكم على أعمال الإنسان، على أساس ما قدم من حسنات، ولذلك كان الكهنة يقولون: إن على الإنسان أن لا يعمل لصالح نفسه فقط بل أن يعمل لصالح الآخرين أيضاً[١].

ويعد المصريين القدماء أول من آمن بالحياة الأخرى، وأول من أثبت فرضية الثواب والعقاب بعد الموت، وهم أول من جعل الثواب والعقاب في الآخرة رهن السلوك والطهارة الخلقية لا نتيجة للتمسك بطقوس شكلية[٢].

إن التطور التاريخي لعقائد قدماء المصريين يؤكد أن تصورهم للإله قد مر في صور متعددة، وقد ابتدأ بتعدد الآلهة، لكن هذا التصور لفكرة الإله ارتقى مع تطور الفكر والحياة، حتى وصل إلى ما يمكن أن يقال أنه الوحدانية.

وعقيدة التوحيد التي تنسب لأخناتون، التي تدعو إلى وحدانية الإله، وهو خالق كل المخلوقات، وهو أول من جاء إلى الوجود، ليس له أب ولا أم، هو الإله المقدس الذي جاء إلى الوجود بنفسه، وكل الآلهة أتت إلى الوجود بعد أن قام هو، وهو مستتر عن الآلهة، لذا فإن لونه غير معروف[٣]. وقد ورد في آثار المصريين كثير من العبارات الدالة على إقرارهم بالوحدانية الإلهية، ومنها قولهم: " الواحد الذي لا شريك له " و " كل شيء خلقه الإله العظيم بنفسه " و " خالق الكائنات والأشياء " و " هو خالق السماوات والأرض " و " الموجد لكل ما يكون أما الذي لم يكن فهو في مكنونه " و " الإله معبود باسمه الأزلي خالق الأرواح والأشباح " و " تمضي الدهور وهو باق دائماً " و " ذو الأزلية التي لا حد لها " و " لا يمسك بالذراع ولا يقبض باليد " و " لا تدركه الأبصار " و " سميع لمن يتضرع إليه " وأمثال تلك العبارات تدل على التوحيد[٤].

والإنسان بالنسبة للمصريين القدماء مكون من جسد وروح، والروح أهم من الجسد لأن الحياة أمر تختص به الروح وهي سبب حياة الجسد، فإذا غادرته غادرت الحياة الجسد. وقد اهتموا بالحفاظ

---

(١) الخطيب، عمر عودة، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٠، ص٣٤.

(٢) الفاخوري، حنا وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، دار المعارف، بيروت، ١٩٥٧، ص١٩.

(٣) الحيني، محمد جابر عبد العال، في العقائد والأديان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، ص٤٠-٦٧.

(٤) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص٣٠١.

على الجسد سليماً بعد الموت بالتحنيط لكي تعود إليه الروح وتقيم فيه مرة أخرى سواء في نهاية العالم أو في يوم البعث والحساب[١]. وكذلك شيدوا الأهرامات العملاقة وبنوا الهياكل الضخمة وصنعوا التماثيل الحجرية بحجم الإنسان الطبيعي، حتى إذا ما أصاب الجسد البلى قبل اليوم الآخر يرافق الروح التمثال عوضاً عن الجسد ويأنس به ويخلد معه.

وتطورت نظرية الروح لدى قدماء المصريين فاعتبروا للإنسان روحين: الأولى تسمى "كا" تولد مع الإنسان وترافقه طوال حياته. وهي مصدر القوة والنشاط في الجسد حتى إذا ما حل الموت تركت الجسد وأصبحت طليقة منه. إلا أنها تحن إليه دوماً فتعاود الجسد في القبر لزيارته، وإن كان أصابه البلى فتتقمص التمثال للاستئناس به.

والروح الثانية تسمى "يا" وهي بمثابة النفس الحية. ويصورونها بجسم طائر يحمل وجه صاحبه. وهي طليقة عن الجسد. قد تذهب في أثناء النوم وتسرح وتمرح ثم تعود. وعندما يحل الموت تفارق الجسد. وقد تصعد إلى السماء أو تطوف في أنحاء الأرض. وتتردد أيضاً على الميت في قبره فتبقى معه وبجانبه مدة من الزمن. وبهذا اعتقد المصريون أن للإنسان نوعين من الروح باقيين فرتبوا على بقائهما حياة ثانية بعد الموت يحياها الإنسان في نعيم أو جحيم تبعاً لأعماله في الدنيا[٢]. ويستبان من ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون بيوم الحساب وبخلود الروح والحياة الأبدية في النعيم أو العذاب. إن نظريات كهنة مصر عن يوم الحساب قد أذهلت عقول الناس وجعلتهم يوجسون خيفة من يوم الدين. وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الشعور أن قدمت هذه المعتقدات أجل خدمة للمجتمع. فقد تناقص الشر وتنامى الخير وكثرت الصدقات وتخلص الضعفاء من غطرسة الأقوياء وأعطى كل ذي حق حقه[٣].

ومن الطبيعي في مجتمع ترتكز حياته ومظاهرها الحضارية على معتقده الديني، أن يكون تفكيره الاجتماعي متصلاً اتصالاً وثيقاً بالدين ومختلطاً به. إلا أن المصريين القدماء من ناحية أخرى كان تفكيرهم متجهاً إلى غايات عملية، لذا أولوا النظام الأسري أهمية خاصة وأشادوا بدورهُ في دعم الحياة الاجتماعية. واتجهوا بتفكيرهم إلى ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات الأسرية حرصاً على الاستقرار في المعاملات الإنسانية ورغبة في الإبقاء على العلاقات الودية الطيبة التي تربط الأفراد

(١) الجمال، سمير يحيى، الإنسان ذلك المخلوق العجيب، مكتبة مدبولي، القاهرة، بلا تاريخ نشر، ص١٦٠.

(٢) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص٣٠١.

(٣) المصدر السابق، ص٣٠٤.

بالعالم الآخر[١]. حيث تشير وصية أب لأبنه (لا تفعل ما يجعل أمك تلومك، ولا ما يجعلها ترفع يديها للرب لأنه يسمع دعاءها)[٢].

وانطلاقاً من المعتقد الديني كان المجتمع يتكون من طبقتين اجتماعيتين، طبقة لها قدسية تشتمل الفرعون وأنساله وكهنته، والطبقة الأخرى تمثل عامة الشعب، لكن ما لبث أن ظهر قادة من أبناء الشعب أدى ذلك إلى انفراط عقد الطبقة المقدسة وأصبح المجتمع مكون من ثلاث طبقات، حكام، رجال الدين، وعامة الشعب[٣].

مما تقدم نخلص أن المصريين القدماء اعتقدوا بأن هناك حياة أخرى وإن هناك يوماً للحساب بعده يحيا الإنسان على وفق أعماله في الحياة الدنيا أم في النعيم أو الجحيم مما كان له عميق الأثر على ترسيخ الضبط الاجتماعي وتنامي التكافل والتضامن الاجتماعي وتحقيق العدالة وانحسار الظلم الاجتماعي.

ثالثاً: الفكر الاجتماعي في الهند القديمة.

أسهمت الهند بنصيب وافر في الفكر الاجتماعي من خلال تشكيل الحياة الروحية والدينية بما حملته الديانة الهندوسية وقانون مانو ثم بوذا وغيرها من الديانات ونظريات تحث على نبذ الماديات والتعلق بالروحانيات وإقامة الحياة الاجتماعية على أسس روحية تقوم على نبذ الماديات والأطماع والشهوات[٤].

تؤكد نظرية التكوين عند الهنود إلى أن جميع الدقائق والذرات في هذا الكون، وحتى الشمس والقمر والنجوم، منبثقة من الإله الأعظم برهمان. وكانت هذه الدقائق يومئذ عديمة الترتيب فخلق براهما بيضة من ذهب كبيرة ودخل فيها ومعه جميع هذه الدقائق والذرات. وبعد أن مكث فيها آلاف الملايين من السنين، وهي عائمة فوق الماء، خرج وأخرج معه الدقائق والذرات مكونة لهذا الكون منسقة أحسن التنسيق. وهي أربعة عشر عالماً منها سبعة تحت أرضنا وسبعة فوقها. فأما العوالم السفلية فهي قوم المخلوقات الشنيعة والعلوية مقام الآلهة[٥].

---

(١) الخشاب، مصطفى، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٧، ص٥.

(٢) الحيني، محمد جابر عبد العال، في العقائد والأديان، مصدر سابق، ص٦٤.

(٣) الخشاب، مصطفى، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، مصدر سابق، ص١٦.

(٤) سعفان، حسن شحاذة،(د) ، تاريخ الفكر الاجتماعي و المدارس الاجتماعية، مصدر سابق، ص١٢.

(١) الدملوجي، فارق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص٢٧٥.

فالآلهة والإنسان والحيوانات والنباتات والمعادن والأحجار كلها قد صدرت من الإله براهما. ومن خلال ذلك فإن جميع الموجودات في العالم كله ومن جملته الإنسان تحتوي على جزء أو جوهر من براهما، وهذا مبدأ وحدة الوجود في التصور الهندي.

ويعتقد الهنود أن الأرواح تنتقل عادة من جسم إلى آخر ومن الإنسان إلى الحيوان ومن الحيوان إلى الإنسان. ولذلك عبد الهنود الحيوانات لاحتمال أن ذلك الحيوان كان صديقاً حميماً أو جداً كبيراً لأسرة من الأسر دخل في محنة التطهير من الآثام. فكانت هذه العقيدة الأصل في نظرية تناسخ الأرواح والحلول والرجعة والانتقال(١).

الإنسان في الفكر الهندي القديم روح وجسد، والروح مستمدة من الإله العظيم براهما فهو مصدر روح جميع الكائنات وتستمد منه الحياة. وعندما يموت الإنسان تخرج الروح من بدنه وترسل إلى الامتحان. فإن كانت أعماله حسنة تصعد إلى السماء عند الإله (ايندرا) وتنال السعادة الأبدية هناك. وإن كانت أعمالها سيئة تقع في واحدة من دور جهنم التي عددها ثمانية وعشرين جهنماً، وهناك تطعم الروح الخبز على شكل أرغفة من نار. وأما الزبانية فينهشونها نهشاً. ولا يمكن أن تبقى الروح خالدة في السماء أو في جهنم مدة طويلة. وإنما تنزل إلى الأرض ثانية للدخول في جسم المخلوقات. فأما الروح الطيبة فهي تدخل في جسم أحد الآلهة أو أحد المقربين إلى الإله الأعظم. وأما الروح الشريرة فتنتقل إلى جسم شخص شرير أو جسم كلب أو حمار، وقد تنتقل إلى النباتات. وتبقى الروح تعلو وتهبط مرات عديدة حتى تعلو رويداً رويداً وتصبح من الأرواح الطيبة. وقد تحتاج لغرض هذه التصفية إلى مدة لا تقل عن أربعة وعشرين ألف ألف سنة. فإذا انتهت هذه المدة وطهرت الروح من جميع الأدران المعلقة فيها تعود حينذاك إلى براهما منبعها الأصلي(٢).

لا نهاية عند البرهمين للزمان أو المكان، ويؤمنون بالدورة العامة في الكون. فقد يتغير الكون من حال إلى حال وتنتقل الروح من جسد إلى جسد. والعبادة عندهم عبارة عن تقديم الهدايا للآلهة. ومن أول الواجبات المترتبة على كل برهمي هو أن يكون طاهراً ونظيفاً، وإن الأوساخ تكون سبباً لدخول الأرواح الخبيثة فيه. فعلى المتهاونين في الأحكام والفرائض الدينية أن يتوبوا عن خطيئتهم وتقصيرهم. وعلى من يسبب مثلاً هلاك بقرة دون قصد أن يكتسي جلدها باستمرار مدة ثلاثة أشهر لينال العفو عن هذه الجريمة. وتدعوا الديانات الهندية إلى نبذ اللذة لأنها هي مصدر الألم والذنوب

(٢) المصدر السابق، ص١٠٥.

(٣) المصدر السابق، ص٢٧٢.

والخطايا، وعلى المرء أن يتخذ التجرد والانعزال من أجل صفاء الروح والطهر والابتعاد عن الدنس[١].

وحسب وجهة نظر الهنود هناك ثلاثة مناهج تقود الفرد إلى الهدف، وبتغير النظام الذي ترتب به هذه المناهج بالنظر للأهمية التي تأخذها في أعين أولئك الذين يساقون إلى اختيارها. فالمفكرون يضعون نهج المعرفة في المقام الأول، بينما يميل أصحاب العزيمة النشيطة إلى نهج العمل. أما العاطفيون فيسلكون نهج التقوى والورع. وهناك نوعان من التفسيرات التي تتعلق بالمناهج الثلاثة، فالمعنى الضيق يفهم من منهج المعرفة، معرفة المذاهب البراهيمية، أما منهج العمل يعني إتمام الواجبات الطائفية، ومن منهج التقوى ممارسة الشعائر الدينية.

أما التفسير ذو المعنى الواسع والذي يكون أكثر توافقاً مع جوهر الدين البراهيمي. فالسعي وراء المعرفة بصورة عامة يقود إلى شفاء روحي داخلي، ويبعد الانتباه عن الأمور المبتذلة، وينتهي إلى السكينة. ومزاولة الفعاليات الجدية في شتى أنواعها – زراعة، صناعة، تجارة، فنون، تقود إلى التحرر من ضغوط الاهتمامات الأنانية وتجعل الحياة أكثر ثراء. والورع وتقوى وألوان الود الذي يزهى للناس جميعاً، تجعل أولئك الذين يمارسونها يحسون فرحاً عميقاً، عندئذ تتحد الأنا الفردية بكل ما هو طيب ونافع للجميع[٢].

ويأخذ التغير الاجتماعي لدى قدماء الهنود دورة تتكون من أربعة مراحل تشكل كل مرحلة عصراً من العصور – ففي العصر الأول " Krita " وهو العصر الذهبي يكون كل شيء كاملاً، ويرى العصر الثاني " Treata " بذور انحطاط الفضيلة، وأثناء العصر الثالث، " Dvapara " تشتد وطأة الوباء والخطيئة، وتزداد مظاهر الترف. أما العصر الرابع وهو " Kali " ويكون في أعماق الدورة، يسيطر عليه الألم ويكون الدين فيه مهملاً. وعندما يبلغ نهايته، يكون كل شيء قد تلاشى في صميم البراهما، ثم تعود الدورة إلى البدء من جديد مرة تلو أخرى[٣].

يستند النظام الاجتماعى فى الهند القديمة على فكرة الجزاء، وقد أشاد قانون مانو بفضل الجزاء في حفظ الكيان الاجتماعي واستقرار النظام، وعدت هذه النصوص الجزاء ظل الإله. ولقد وضع الإله ظله بين يدي الملوك ليساعدهم في أداء وظائفهم وفي تنفيذ العدالة كما يرضاها الإله.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٧٣.

(٢) ألبان ج، ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى تونبي، ترجمة ذوقان قرقوط. دار القلم، بيروت ط١، ١٩٧٢، ص٥٦–٥٧.

(٣) المصدر السابق، ص٤٨.

فالجزاء هو إذن من جوهر مقدس، لكن إذا أسرف الملك في استخدام سلطانه، وأساء تطبيق الأوامر التي تهبط عليه من عالم الآلهة، انقلبت سعادة الأفراد بؤساً وشقاء، وعاث الأشرار في الأرض فساداً، وتحللت الروابط الاجتماعية، وتغيرت المعايير واستولى الدهماء على صولجان الحكم، وساموا البراهمة صنوف العذاب وألوان المذلة والهوان.

لقد تخفى وراء ذلك الحرص على سلامة النظام الاجتماعي أعنف مظاهر الحكم الثيوقراطي وأقسى مظاهر الملكية المستبدة لأنها تضع فوق المجتمع " إله الجزاء "[١].

لقد امتاز النظام الاجتماعي في المجتمع الهندي القديم بأنه طبقي حدد الدين قواعده ورسم حدوده ونظم علاقات كل طبقة بما عداها من الطبقات الاجتماعية. وعلى أساس هذا التقسيم يتفاوت أفراد المجتمع في الثراء والجاه والمركز الاجتماعي والحرية الشخصية والسياسية[٢].

ينقسم الشعب الهندي على أربعة أقسام، العباد " براهمن " والمحاربون " الجيش " والزراع والأهالي. فالقسم الأول والثاني والثالث كانوا من الآريين الذين جاءوا من الشمال، وكانوا يدعون أنهم يجيئون إلى الدنيا مرات عديدة بينما، القسم الرابع فهم سكان الهند القدماء يجيئون مرة واحدة. وإذا اقترب أحدهم من البراهما فلا يبعد عليه قتله، كما وأنهم يرون في كل فرد من أصحاب الديانات الأخرى نجساً يجب اجتنابه[٣].

وبغية التخفيف من هذا النظام الطبقي الصارم، أعلن زعماء البوذية حربا لا هوادة فيها على ذلك النظام، ودعوا في جرأة وصراحة إلى إلغائه والقضاء على الامتيازات التي يتمتع بها فريق دون غيره من أبناء الشعب، وسخروا من التعاليم الدينية التي دعت لذلك ، وأنكروا ما جاءت به أسفار الفيدا ووصفوها بأنها من وضع الكهنة وتصنيفهم[٤].

والنتيجة التي خلص إليها أغلب الباحثين الذين درسوا الفلسفة الهندية. وهي أن الفكر الاجتماعي الهندي في مجموعه لم يولي الحياة الدنيا أهمية، بل وجه الاهتمام إلى العالم الآخر. واعدوا الحياة شراً من الشرور ينبغي التخلص منه ما استطاع الفرد إلى ذلك سبيلاً، وزين لهم العالم الآخر وعده الخير الاعظم والمطلب الاسمى. ويمكن ان نجد ذلك بصورة واضحة في فلسفة بوذا وتعاليمه الدينية.

---

(١) الخشاب، مصطفى، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، مصدر سابق، ص٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥.

(٣) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص٢٧٠.

(٤) الخشاب، مصطفى، مصدر سابق، ص٢٩.

وكان مذهب بوذا قائماً على أربعة أصول تسمى بالحقائق السامية وهي:

- الأصل الأول: يقرر وجود الألم ، وإن الحياة ضرب من الألم " الولادة مؤلمة، والمرض مؤلم، والشيخوخة مؤلمة، وظواهر الحياة كلها ألم ".
- الأصل الثاني: يقرر أن مصدر الألم هو الشهوة.
- الأصل الثالث: يقرر أن الطريق الوحيد لاستئصال الألم هو القضاء على الشهوة. بمعنى أنه يجب على الأفراد أن يتجنبوا الشهوات من أصولها فلا يبقى لها بقية في نفوسهم.
- الأصل الرابع: يحدد الوسائل التي ينبغي اعتمادها للوصول إلى الغاية المشار إليها. وهذه الوسائل تسمى " بالسبل السامية ذات الشعب الثمانية " وهي:

سلامة الرأي، وسلامة النية، وسلامة القول، وسلامة العقل، وسلامة العيش، وسلامة الجسد، وسلامة القصد، وسلامة التركيز. وهذه السبل يمكن ردها إلى جوانب ثلاث هي: الاستقامة والتأمل والحكمة(١).

تلك هي بعض نماذج الفكر الاجتماعي التي أسهم بها الهنود القدماء والتي منحت الفكر الاجتماعي الهندي خصوصيته وميزته عن غير من الفكر الشرقي القديم.

رابعاً: الفكر الاجتماعي في الصين القديمة.

الصين القديمة مصدر خصب للفكر الاجتماعي، حيث أسهمت بنصيب وافر في تاريخ الفكر، والفلسفة الاجتماعية الصينية تحث على العمل والحياة وتفضل ذلك على الانغماس في التدين. أي أنها فلسفة عملية تسعى إلى تحفيف وطأة تكاليف الحياة على الناس، وجعلها مستساغة لا تنغصها المحن والأكدار. حيث كان لفلسفة كونفوشيوس الأثر الكبير،والذي يبشر بمذهب أخلاقي، واتخذ المجتمع البشري غرضاً وحيداً لتفكيره وتأمله(٢).

لقد ظهر في الصين العديد من المشرعين الذين وضعوا أسس المعتقدات الصينية القديمة منهم:

١ – المشرع " لاو – تسو " وهو أقدم مشرع ظهر في الصين والشرع الذي وضعه انحصر في

عبادة الأسلاف من الآباء والأجداد والملوك القدماء، كون أن أرواحهم أصبحت لا تتأثر بالقوانين الزمنية، فلذلك، أصبح في وسعها أن تؤثر تأثيراً مباشراً في مقدرات الأحياء.

(١) المصدر السابق، ص٣١.

(٢) الفاخوري، حنا، تاريخ الفلسفة العربية، مصدر سابق، ص٣٣.

٢- المشرع " فو- هي " حيث وضع هذا المشرع تعاليمه على أساس مادي وعملي صرف مما لها علاقة مع المعاملات اليومية والأمور الدنيوية ولا علاقة لها مع السماء وبالغيبات.

٣- المشرع " لاعو- جه " ظهر هذا المشرع عام " ٦٠٤ ق.م " وقد أجرى تعديلات على الدين الصيني وتتلخص قواعده بما يلي:

إن المادة أزلية أبدية لا تفنى، وإن الكائنات خلقت من الفضاء تديرها قوة فعالة عاقلة، تسمى "طاعو". ويعد الإنسان تمثال الأرض، خلق منها فإنه يعود إليها ويتلاشى في التراب. فيجب على الإنسان أن يتجنب المحن ويبتعد عن العواطف ويكافح الشهوات ويتجرد عن الميول والرغبات والأهواء والتجاوز على الغير، فأما الذين لم يتمكنوا من الوصول إلى هذه المرتبة في تهذيب أرواحهم وأخلاقهم، فقد تسقط أرواحهم تحت الأرض وإلى أسفل السافلين[١].

٤- المشرع العظيم كونفوشيوس، ولد سنة "٥٥١ ق.م" قام بإصلاح العادات والشرائع القديمة في الصين. ودعا إلى اهتمام الإنسان بالحياة الدنيا، دون الانغماس في الغيبيات، مع أنه يقر بالحياة الآخرة. وكانت عنايته متجهة إلى إصلاح النفس الإنسانية وتكوين مجتمع سليم متوازن قوامه المحبة والإخاء وأساسه العدل والعمل الصالح[٢].

اعتقد الصينيون القدماء أنه قبل خلق العالم، لم يكن هناك شيء، واستمر ذلك وقتاً طويلاً، ثم ظهر شيء، ومن هذا الشيء خلق "بان كو" وقيل أنه غاية في القوة له رأس تنين، وجسد أفعى، وأنه استطاع أن يكون العالم حوالي ٢,٢٢٩,٠٠٠ ق.م.

بعد أن ظل يكدح في عمله هذا ثمانية عشر ألف سنة. عندما مات تجمعت أنفاسه فصارت ريحاً وسحباً، وأضحت أناته الأخيرة الرعد، وأصبح الدم الذي في عروقه الأنهار، وعرقه الأمطار، وعظامه الصخور، وأسنانه المعادن، وشعره الغابات والأشجار، ولحمه الأرض، ورأسه الجبال، وأصبحت عينه اليسرى الشمس، وعينه اليمنى القمر، أما الحشرات التي كانت تعلق بجسمه فأصبحت بني البشر، وهكذا تمت قصة الخلق لدى الصينين القدماء[٣].

أما عن خلق الإنسان في الأساطير الصينية القديمة: كان الفضاء مظلماً فظلام في ذلك الظلام جسم عظيم يشبه الإنسان هو الإله الأعظم "بون-فو-وونغ" فأوجد السماء والأرض. ولما أراد خلق البشر أخذ قطعة من ذهب و قطعة من خشب فكون منها سحاباً وشكل من سحاب الذهب،

---

(١) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص٢٨٢.

(٢) الراوي، مسارع حسن (الدكتور) مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ، مصدر سابق، ص١٩.

(١) مظهر، سليمان، قصة الديانات، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص١٧٢.

عنصر الرجل، ومن سحاب الخشب عنصر المرأة، وعند امتزاج هذين العنصرين ظهر رجل يسمى "بينغ–بي" وظهرت بنت تسمى "خا–نوئي" فتزاوجا فتكاثر البشر من نسلهما)[١].

للإنسان عند الصينين ثلاث أرواح. فعند الموت تذهب الأولى إلى عالم الغيب في السماء، والثانية تبقى في الدار بين الأهل والأصحاب، والثالثة تذهب إلى القبر مع الجثة. ولكل روح طقوس خاصة مراسيم متنوعة واحتفالات وولائم مختلفة وطرق ملتوية لطلب الغفران للميت لا حد ولا نهاية لها تدوم ثلاث سنوات. وعند ذاك يقام آخر احتفال ديني تقطع فيه الطقوس وتكون روح الميت قد انقطعت عن الأكل والشرب والضيافات والولائم[٢].

الفلسفة الاجتماعية الصينية تعتبر الفرد العنصر الأساس في المجتمع، فهي تبدأ بالفرد وتنتهي به. ويقول كونفوشيوس أن تنمية الحياة الشخصية هي أساس كل شيء. والصيني يفكر بالفرد من خلال الأسرة، إذا ليس له خارجها من وجود حقيقي، ومعنى الأسرة هنا هو الشكل الوحيد المرجح لروح الفريق أو لضمير الجماعة في الحياة الصينية[٣].

وكونفوشيوس كان يرى في الأخلاق الأساس الأول الذي ينبغي أن تقوم عليه العلاقات الاجتماعية في المجتمع. بحيث إذا تربوا عليها يكون لها سلطة عليهم ومكانة داخل قلوبهم وأفئدتهم. ومن خلال ذلك يمكن أن تتهذب صفات البشر وتكون لطيفة، بحيث يعم الانسجام والتكامل بين الاسر، وإذا تحقق ذلك عم النظام جميع أفراد المجتمع وأسره ومن ثم يسود الأمن والسلام العالم كله[٤].

وأكد أن الإنسان يحتاج دائماً إلى القدوة الصالحة والمثال الطيب الذي يجب أن يحتذى به، فهو حاجة ضرورية لتقدم المجتمع وتسليم مسيرة حياة شعب في دروب الحياة وتموجات الزمن.

وأشار الفيلسوف والمفكر الصيني الكبير إلى أن الطريق القويم الذي يجب أن يسير فيه الناس، هو الطريق الثابت والوسط بين طرفين متطرفين.

وبإتباع الناس هذا الطريق يتحقق التوازن والانسجام بين أبناء المجتمع. ومن يسعى للحصول على التوازن والانسجام في سلوكه فعليه أن يحترم مجموعة من العلاقات الاجتماعية بين خمسة أطراف:

---

(٢) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص١٠٦.

(٣) المصدر السابق، ص٢٨٥.

(٤) أليان ج. ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، مصدر سابق، ص٤٤.

(٥) بحر الدين، حاج اورانج كاي رحمات بن داتو، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام. ترجمة وتعليق رؤوف شلبي، دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٩٨٣، ص١٠٣.

أولاً: العلاقة بين الأبناء والآباء.
ثانياً: العلاقة بين الزوج والزوجة.
ثالثاً: العلاقة بين الأخ الأكبر وأخيه الأصغر.
رابعاً: العلاقة بين الصديق الأكبر سناً وصديقه الأصغر سناً.
خامساً: العلاقة بين الحكومة والشعب.

وعن طريق احترام تلك الأنساق من العلاقات الاجتماعية يولد التوافق والانسجام والتوازن داخل المجتمع ويكون كل فرد فيه متحمساً لتحمل المسؤولية عن رضا وقبول دون الحاجة إلى رقابة من الخارج[١].

والطبيعة البشرية واحدة من الموضوعات التي شغلت بال المفكرين الصينين القدماء وحاولوا الإجابة على سؤال هل أن الإنسان خير أم شرير بطبيعته، حيث أجابه كونفوشيوس بان الإنسان خير بطبيعته لكن البيئة الاجتماعية هي التي تفسده.والطبيعة البشرية بالنسبة لكونفوشيوس هي واحدة عند الجميع وهي هبة من السماء (إنها أنوار سماوية موجودة فينا) وقد تتعرض بسبب الغفلة التي تسببها لنا الحياة الشهوانية لعدم الولع بهذه الأنوار الثمينة ولعدم الاستمرار في تأملها. فالطبيعة البشرية مستقيمة، وإذا افتقد الإنسان هذه الاستقامة في أثناء حياته، افتقد معها السعادة[٢].

تلك هي بعض الأفكار التي أسهم بها الصينيون القدماء في إغناء الفكر الاجتماعي بصورة عامة.

خا[illegible]

اليهودية أولى الديانات السماوية الثلاث، التي تستند على الوحي، وعقيدتها التوحيد. تؤمن بأن الله واحد خالق الكون وراعي الكائنات التي تعيش على سطح الأرض، وأن الله خلق إسرائيل من إبراهيم " عليه السلام" وأنزل شريعته على موسى " عليه السلام" ليقود شعبه المختار[٣].

لم يستطع بنو إسرائيل أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية في جميع مراحل تاريخهم لقد أعلن موسى "عليه السلام "

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) الراوي، مسارع حسن الدكتور، مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ، مصدر سابق، ص١٨.

(١) بحر الدين، حاج اورانج كاي رحمات بن داتو، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، مصدر سابق، ص٣٦٠.

(يهوه) إلهاً لبني إسرائيل، لكن بني إسرائيل لم يستجيبوا لموسى استجابة حقيقية، وسرعان ما عبدوا العجل في حياة موسى وبعده[١].

كان اليهود يعتبرون إلههم يهوه، إله بني إسرائيل فقط. فهو ليس رب العالمين، بل رب إسرائيل وحدها. وجعلوه على صورة البشر، والبشر على صورة الإله. فجعلوا له أعضاء، من أيد وأقدام، وجسموه تجسيماً كاملاً. وكان بحسب تصورهم، إن يهوه، يسكن في السماء عادة، وينزل إلى الأرض أحياناً، ويتقمص الأشكال البشرية، ويكلم الأنبياء، بصوت ولفظ، ويأكل ويشرب، ويظهر في عامود سحاب، ويجلس على غطاء التابوت ((الكروبيم)) ويقف أمام باب الخيمة، ويتجلى فوق الجبل، ويجادل ويأمر وينهى ويجلس في خيمة الاجتماع، ويتدخل في شؤون الأمة التافهة منها والهامة، ويندم ويخاصم ويقهر، ويعقد العقود والمواثيق، ويشتد غضبه، ويتشفى ويحقد، ويفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء من مبغضيه. ثم يعفو ويصفح، لا فرق بينه وبين البشر، من الوجهتين الجسدية والأخلاقية، وقد يراه الناس أيضاً بعيونهم، ويكتب الوصايا العشرة على الألواح بيده. وقد يأتمر بأوامر النبي موسى، ويعتريه الوهن والكسل والخمول فينشط من غفلته، ويستيقظ من غفوته، ولا يعلم الأشياء إلى بعد رؤيتها، وكثيراً ما ينسى فيتذكر مجهوده[٢].

إن قصة الخليقة والتكوين في أسفار بني إسرائيل تتلخص فيما يلي:

(في البدء خلق الله السماء والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى الغمر (الماء) ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن جلد (الأرض الصلبة) في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه... ودعا الله الجلد سماء... وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد وتظهر اليابسة. ودعا الله اليابسة ارضا. وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا وشجرا يعمل ثمرا كالجنة وكان يوماً ثالثاً. وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل فعمل الله النورين العظيمين وكان يوماً رابعاً... وخلق الله كل ذوات الأنفس الحية وكان يوماً خامساً... وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته... على صورة الله خلقه... وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية... وفرغ الله في اليوم السادس من عمله، واستراح في اليوم السابع...)[٣].

---

(٢) شلبي، أحمد الدكتور، مقارنة الأديان "اليهودية" مكتب النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧، ص١٥٦.

(٣) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص٤١٨.

(١) المصدر السابق، ص٣٨٢.

ويذكر في سفر التكوين بعد أن خلق الله آدم (غرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله). ثم (أخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها) وأوصاه قائلاً (وما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها) (وأوقع الرب على آدم سباتاً وأخذ ضلعاً من أضلاعه، وكساه لحماً، وخلق منه زوجة حواء)... فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل. فأكلت منها، وأعطت رجلها أيضاً... فأخرجهما الرب الإله من جنة عدن إلى الأرض[١]. والإنسان في أسفار بني إسرائيل روح وجسد. فالجسد هو المادة والروح هي الحياة المحركة له، وتنطلق الروح من الجسد بعد الموت وتذهب إلى خالقها (فيعود التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله واهبها) سفر الجامعة ٧/١٢.

والموت في اليهودية انطفاء وتلاش ونهاية مطاف، لذلك طالبت بعض الأسفار الإنسان بأن يعيش حياته ويستمتع بها، لأن بعد الحياة تأتي الظلمة والنسيان لا البعث والنشور. وهناك عدم وضوح في أسفار التوراة تجاه الموقف من اليوم الآخر والبعث والحساب. فبعض الأسفار تعطي اهتماماً بالحياة الأخرى وإيماناً بالبعث والحساب.

ويقول بعض الباحثين أن ذلك دخلها بعد أن لاقى معتنقوا التوراة ما لاقوه، وبعد يأسهم من المجد والنعيم والسعادة الموعدين في الحياة الدنيا، وأضحوا يؤمنون بالبعث (ولكن أمواتك يحيون، وتقوم أجسادهم، فيا سكان التراب استيقضوا وأشدوا بفرح. (اشعيا ١٩/٢٦)[٢].

ومن الملاحظ أن اليهودية تهتم بالأعمال ولا تعنى بالإيمان، وهي في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تعتقد، فالاتجاه الخلقي عند اليهود في التصرفات اليومية أهم من الاعتقاد السليم، وتبعاً لذلك كان الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا[٣].

والديانة اليهودية ليست ديناً تبشيرياً ولا إنسانياً عاماً، وإنما ديانة مقفلة تجعل اليهود شعب الله المختار الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين، وننظر إلى ما عداهم من شعوب الأرض على أنها شعوب وضعيه في سلم الإنسانية، وتضع قوانينها ونظمها وممارستها على هذا الأساس[٤].

والإسرائيلي في التلموذ أفضل من الملائكة عند الله، فإذا ضرب أمي (أي غير إسرائيلي) يهودياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، لأن اليهودي جزء من الله. والفرق بين اليهود وباقي الشعوب

---

(٢) المصدر السابق، ص١٠٧.

(٣) عويدات، حسين، الموت في الديانات الشرقية، مطبعة الأهالي، دمشق، ص٩٣.

(١) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٢) شلبي، أحمد، اليهودية، مصدر سابق، ص١٧٨.

كالفرق بين الإنسان والحيوان. ويشير التلموذ إلى أن كل من ليس يهودياً فهو كافر، وكل الدنيا بما فيها ملك لليهود، ولهم حق السيادة عليها، لأنهم مساوون للعزة الإلهية.

والتلموذ يبيح قتل غير اليهودي وغشه، وانتهاك عرضه وسرقته وأخذ ماله بواسطة الربا، ولا يمكن الوفاء بعهد والبر بقسم لهم، لأن القسم لغير اليهودي قسم لحيوان فلا يعد يميناً[١].

ومن المفيد هنا أن نذكر بعض ما جاء في شريعة موسى (المسماة بالوصايا العشر) وكما جاءت في الإصحاح العشرين:

١- أنا الرب إلهك، الذي أخرجك من أرض مصر، بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

٢- لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت. وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك. غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأضع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي.

٣- لا تنطق باسم الرب، إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً.

٤- اذكر يوم السبت، (ومعنى يوم السبت الراحة) لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك ونزيلك، الذي داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح فى اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.

٥- أكرم أباك وأمك، لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.

٦- لا تقتل.

٧- لا تزن.

٨- لا تسرق.

٩- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠- لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده، ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من قريبك[٢].

يظهر من حقيقة هذه الوصايا أنها تركز على تعزيز التماسك الاجتماعي والتضامن بين بني إسرائيل لما لذلك من عظيم الأثر على مستقبل أمتهم.

---

(٣) مظهر، سليمان، قصة الديانات، مصدر سابق، ص٣٤٢-٣٤٦.

(١) الدملوجي، فاروق، تاريخ الأديان، مصدر سابق، ص٤١٤.

تحث المعتقدات اليهودية على الزواج، وتعد العزوبة أمراً منافياً للدين، وإن الذين يعزفون عن الزواج ويبقون عزاباً يتسببون في أن يتخلى الله عن شعبه إسرائيل، فالزواج فرض على كل إسرائيلي. ويحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، وتعدد الزوجات جائز شرعاً في المعتقدات اليهودية. وليس في الدين حد أقصى لتعدد الزوجات. ويجوز للإسرائيلي الزواج ببنت أخيه وبنت أخته لكن العكس محرم فلا يجوز أن تتزوج المرأة بابن أخيها أو ابن أختها. والطلاق حقاً موضوعاً بيد الرجل وحده، وفي الشريعة اليهودية تحرم المختلية على من اختلت به، وإذا عقد عليها مكلف شرعاً بطلاقها، وأرملة اليهودي الذي مات زوجها ولم ينجب منها، يجب تزويجها لأخيه الأعزب على وجه الإجبار، فإذا أنجب فإن المولود البكر لا يحمل اسمه وإنما يحمل اسم أخيه الميت، وإذا امتنع أخو الميت عن هذا الزواج يخلع من المجتمع الإسرائيلي[١].

وإذا ارتد الإسرائيلي ثم تزوج شرعاً بإسرائيلية صح العقد، وكذلك إذا ارتدت الإسرائيلية ثم تزوجت بإسرائيلي صح عقدها. ومعنى هذا أن الزواج عندهم ليس فرعاً من الإيمان، كما هو عند المسيحيين والمسلمين، بل هو فرع من العصبية العنصرية فالإسرائيلي يبقى كذلك حتى ولو كفر[٢].

تهتم الشريعة اليهودية بالابن البكر، وتجعله خليفة لأبيه في كل شيء. يستولي على السلطة من بعده ويكون هو المتصرف في كل ثروته. وعدل ذلك في الفقه اليهودي المعمول به في الوقت الحاضر، بحيث يكون للولد البكر من الأب مثل حظ الوالدين، فهو مميز بسهم بعلة البكورة، تلافياً لإشعال نار الدسائس والمكائد بين الأخوة.

وفي باب الأموال والممتلكات في الفقه اليهودي، فالربا محرم بين اليهود بعضهم بعض، وعقوبة المخالف التكفير والخلع، بينما مباح الربا مع غير اليهود، ولكن نظراً لما جبل عليه هؤلاء من حب المال فإنهم تحايلوا، حتى على تحريم الربا فيما بينهم. وقصروا ذلك على الضرورات الملحة، وفيما عدا ذلك يمكن أخذ الربا[٣].

بعد أن تم الاستعراض المقتضب للفكر الاجتماعي اليهودي، يمكن القول أن الفكر الاجتماعي بصورة عامة انتقل نقلة نوعية بظهور العقيدة اليهودية لما حملته من أفكار غنية وعميقة

---

(٢) ظاظا، حسن، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، ط١، ١٩٧١، ص٢٣١-٢٣٥.

(١) المصدر السابق، ص٢٣٢.

(2) المصدر السابق، ص٢٣٧.

إلى الدرجة التي رسم معها الخطوط وحدد المعالم التي لازال الفكر الاجتماعي الديني يترسمها حتى اليوم، بصرف النظر عن ما شابها من تحريف.

سادسا:الفكر الاجتماعي في المعتقدات المسيحية.

المسيحية ثاني الديانات السماوية بعد اليهودية، وهي الدين الذي جاء به عيسى بن مريم (عليه السلام) ليكمل شريعة موسى (عليه السلام). وكما قال السيد المسيح: (لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لألغي، بل لأكمل) متي ١٧/٥ وهي تعد وريثة لليهودية، حيث دخلت إلى الوجود وارثة لكتب اليهود المقدسة، وسعت المسيحية إلى تخليص اليهودية مما ران عليها. وتمثل نقلة نوعية جديدة لأنها اختلفت عن الديانة السابقة ليس بالأحكام فقط، وإنما اختلفت عنها في مبدأ مهم ، هو النظر إلى البشر، فاليهودية لا تؤثر إلا بني إسرائيل، ولا تعد شيئاً يستوجب النسبة إلى الله سوى بني إسرائيل. أما الدين الجديد فيتميز بنظرة اجتماعية تتفق ومنهج الحياة، ودعا إلى الحب والتسامح[١].

وتعد الدعوة المسيحية دفعة قوية في أن يحترز المؤمنون بالدين الجديد ويبتعدوا عن الكثير من المظاهر الاجتماعية السلبية في المجتمع اليهودي ومنها النفاق والأنانية والاستعلاء والإسراف في الشهوات والعكوف على الملذات والحرص على الثروات، واستباحة الربا، وأكل المال الحرام، وظلم الضعفاء، واضطهاد الفقراء[٢].

ويعبر هذا المنهج عن تشكيل اجتماعي وأخلاقي جديد يدعو إلى خلق الترابط الاجتماعي، وهدم الوثنية اليهودية التي قسمت المجتمع على أرستقراطية وسوقه وارقاء، وينادي بإله واحد ليس لديه شعب مختار، ولا حظوة عنده في السماء لفريق من الناس دون الآخرين إلا بالإيمان والتقوى وإطاعة أوامره، ولا فضل لا حد على الآخر إلا بالصلاح والإيمان[٣].

تؤمن المسيحية بالله الواحد الآب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح، ابن الله الواحد، نزل من السماء وتجسد في روح القدس وصار إنساناً، والذي يهمنا في هذا المقام نظرة المسيحية إلى الإنسان، المؤكدة أن الإنسان هو خليقة ناطقة من نفس وجسد، خلقه الله على صورته ومثاله وجعله أدنى من الملائكة كمالاً. والله خلق الإنسان من نفس وجسد ومنحه

(٣) الحيني، محمد جابر عبد العال، في العقائد والأديان، مصدر سابق، ص٢٣٩.

(١) الخطيب، عمر عودة. المسألة الاجتماعية، بين الإسلام والنظم البشرية، مصدر سابق، ص٦٧.

(٢) طاهر، خليل، الأديان والإنسان، منذ مهبط آدم حتى الإسلام، دار مأمون للطباعة، ط١، ١٩٧٦، ص٢٩٣.

الضمير الذي بواسطته يتعرف على الخالق ويحبه وبه يطبق في الحياة القواعد الأخلاقية. فالنفس غير قابلة للموت أما الجسد فهو قابل للموت ويمسه الإنحلال[١].

وترى المسيحية أن الإنسان ميال بالوراثة للخطيئة وعمل الشر، لأنه منذ الخليقة الأولى ولد بالخطيئة وما عليه إلا الاعتراف بخطيئته والتكفير عن سيئاته، لأن المسيح عليه السلام دفع حياته واستشهد من أجل خلاص البشرية الخاطئة، وما على الإنسان إلا أن يكون وفياً للرب وابن الرب السيد المسيح[٢].

ويعتقد المسيحيون أن الإيمان بيسوع ما حيا لذنوبهم، لأن صلبه وقتله ودماءه هي الكفارة التي حررت البشرية من جرثومة الخطيئة، وكان مجيء يسوع إنقاذاً للبشرية من وزرها[٣]. وإن الإنسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالإيمان بالكتب المقدسة فقط، وإنما الإيمان بيسوع، ومن آمن بيسوع فسوف تغفر خطاياه، ويحقق له خلاص روحه وجسده[٤]. إن الديانة المسيحية [illegible] بين جنس وعرق وأمة ووطن، وتوحيدهم بروابط معنوية قوية من الأخوة الدينية[٥].

ويتمحور الفكر الاجتماعي المسيحي حول تكوين مجتمع خالٍ من الخطيئة والشر من خلال إعادة الإنسان إلى الحالة الطبيعية التي كان عليها قبل أن يهبط إلى الأرض وينشر فيها الشرور والخطايا، وذلك يحثه الزهد بالحياة وترك اللذائذ الجسمانية ونشر المحبة والأخوة بين الناس وإشاعة التسامح ومكارم الأخلاق. إلا أن هذه الدعوة الروحية المحضة لم تقدم حلولاً جذرية للمشكلات الاجتماعية التي كان يعانيها بني البشر.

ومن خلال استعراضنا في هذا الفصل لمقومات وعناصر الفكر الاجتماعي في الشرق القديم واتجاهاته المختلفة التي سبقت ظهور الديانة الإسلامية تبرز الحقائق التالية:

١- إن هذه التيارات الفكرية والمعتقدات الدينية هي امتداد لبعضها البعض، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مقارنة بسيطة بين معتقدات بلاد ما بين النهرين والمصريين القدماء، وبين

---

(٣) الراوي، مسارع حسن، مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان، مصدر سابق، ص٥٦.

(٤) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت، ص١٧.

(٥) الحيني، محمد جابر عبد العال، في العقائد والأديان، مصدر سابق، ص٢٤٥.

(١) الراوي، مسارع حسن،مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان،مصدر سابق، ص٥٨.

(٢) داود، عبد الأحد، الانجيل والصليب، طبع في القاهرة، ١٣٥١هـ، ص١٠٤.

معتقدات الهنود والصينيين القدماء، فضلاً عن أن المسيحية وريثه الديانة اليهودية، لا بل بعد البعض تياراً إصلاحياً للديانة اليهودية.

٢- إن هذه المعتقدات الدينية امتزجت فيها المعتقدات الإلهية بالوثنية، وكلما تقدم بها الزمن ابتعدت عن مصادرها الأساسية وشابها التحريف لأسباب وظروف مختلفة.

٣- ومن خلال هذا الركام الهائل من المعتقدات الدينية والفكرية والفلسفية تظهر حقيقة لا يمكن طمسها فكلها محاولات لتنظيم حياة المجتمعات ومعالجة مشاكلها.

٤- العلاقة الوثيقة بين النظام الاجتماعي لهذه المجتمعات وما يتفرع عنه من نظم فرعية وبين المنظومة الفكرية والعقائدية التي يؤمن بها أفراد المجتمع. فتصورهم للوجود ومفهومهم للحياة، وتكوين الإنسان ودوره في هذا الكون، وطبيعة علاقته مع من حوله فضلاً عن المنهج الذي يستمده من تلك المنظومة ليحقق السعادة له ولمن حوله. وتلك هي أهم نماذج الفكر الاجتماعي في الشرق القديم، وتستطيع أن نضيف إليها الكثير لخصوبة هذه المنطقة وثراءها الفكري والعقائدي ، ولولا ضيق المقام، وقد يخرجنا الإسهاب عن أهداف بحثنا . إلا أن كل ما يهمنا في هذا الفصل أن نعرض خصوصية هذا الفكر وأهميته بالنسبة لتاريخ

الفكر الاجتماعي بصورة عامة، فضلاً عن كونه توطئة للدخول في دراسة الفكر الاجتماعي الإسلامي.

الفصل الخامس

الإنسان في الفكر الاجتماعي الإسلامي

المبحث الأول : أصل كلمة "الإنسان" ودلالتها .

المبحث الثاني : خلق الإنسان .

المبحث الثالث : طبيعة تكوين الإنسان .

المبحث الرابع : الطبيعة البشرية .

المبحث الأول
أصل كلمة "الإنسان" ودلالتها

الإنسان في الفكر الاجتماعي الإسلامي أسم ومضمون ، فمن ناحية الاسم يأتي لفظه في القرآن الكريم والأحاديث النبوية على وجوه عديدة ، والإنسان لفظ يطلق على الجنس المخصوص، كما يطلق على آدم عليه السلام ، الذي هو أصل الجنس وترادف كلمة الإنسان كلمة البشر[١].

وهناك آراء عديدة في أصل تسمية الإنسان منها :

١. أن أصل كلمة الإنسان مشتقة من إنْسيانُ لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره : أُنيسيانٌ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال ، إنما سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسى. فاشتقاق الإنسان من النسيان واصله : إنسيان على إفعلان ، فحذفت الياء استخفافاً لكثرة ما يجري على ألسنتهم ، فإذا صغروه ، ردوها لأن التصغير لا يكثر[٢].

والنسيان لا يكون إلاّ بعد العلم ، فيسمى الإنسان إنساناً ، لأنه نسي ما علمه[٣]. وهذا ما ذهب إليه "الكوفيون" وبه أخذ "أبو تمام" في قوله :

لا تنسين تلك العهود فإنما سميت إنساناً لأنك ناسي

وأنكر "البصريون" ذلك ، وقالوا : لا حجة فيه ، لأن العرب قد صغرت أشياء على غير قياس .

٢. إن الإنسان مشتق من الأنسُ ، والأُنّس خلاف الوحشة وهو مصدر قولك أنست به أنساً وأنسةً والاستئناس هو التأنسُ . والأُنسَ : البشر ، الواحد إنسيٌّ وأنسيٌّ أيضاً . وقال الفراء في قوله عزّوجل : وأُناسيّ كثيراً ؛ الأناسيُّ جماعٌ ، الواحد إنسيٌّ ، وإن شئت جعلته إنساناً ثم جمعته أناسي ، فتكون الياء عوضاً عن النون . ويقال للمرأة أيضاً إنسان ولا يقال إنسانه. وفي الحديث النبوي : أن الرسول محمد (ﷺ) نهى عن الحمر الإنسية يوم خيبر . يعني التي تألف البيوت / منسوبة إلى الإنس وهم بنو آدم[٤].

---

(١) الأصفهاني ، الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت، ص ٣٧ .

(٢) أبن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ١١.

(٣) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر، مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ١٦٠/١٦.

(٤) أبن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ١٢-١٣.

ويقول الراغب الأصفهاني : "الإنسان قيل سمي بذلك لأنه خلق خلقةً لأقوام إلاّ يأنس بعضهم ببعض ، ولذا قيل : الإنسان مدني بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلاّ ببعض ، و لا يمكن أن يقوم بجميع أسبابه . وقيل سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه[١] . ومن ذلك قول الشاعر :

وما سُميّ الإنسان إلاّ لأنسهِ ولا القلب إلاّ لأنه يتقلبُ[٢].

والإنس الطمأنينة . وفي بعض الكلام : إذا جاءَ الليل استأنس كل وحشي واستوحش كل إنسي . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : قال لي علي (ﷺ) : أن الله تبارك وتعالى خلق الفردوس يوم الخميس وسماها مؤنس . والأنس حديث النساء ومؤانستهن . وجارية آنسةٌ إذا كانت طيبة النفس تحبُ قربك وحديثك . ومكان مأنوس فيه أنس كمأهول فيه أهل[٣].

٣. قد يكون سبب التسمية ، لكونه محساً ، مدركاً خلافاً للجن ، الذين استتروا عن الأبصار ، ولوقوفه على الأشياء بطريقة العلم ، ووصوله إليها بواسطة الرؤية والحواس[٤]. وآنس الشيء : أحسه وعلمه ، وآنس الشيء إيناساً ، أبصره ونظر إليه ، وآنس الشخص واستأنسه : رآه وأبصره ونظر إليه ، وبه فسر قوله تعالى : ﴿**آنس من جانب الطور ناراً**﴾ . وقيل للإنْس إنسُ لأنهم يؤنسون أي يبصرون ، وسمي الجنُّ لأنهم مجتنون عن رؤية الناس أي متوارون[٥].

٤. إن كلمة إنسان مأخوذة من النوس ، وهو نقيض السكون . ويقال ناس الإبل ينوسها نوساً : ساقها . وأناسه حركة ودلاه[٦]. وسمي الإنسان بذلك لتحركه في الأمور العظام وتصرفه في الأحوال المختلفة[٧].

وهذه الآراء في اصل كلمة الإنسان ودلالتها ، ما هي إلاّ تفسيرات وأقول محتملة ، ويرجع الاختلاف في تبيان اشتقاق لفظ الإنسان إلى اختلاف قيمي حول النظرة إلى الإنسان .

---

(١) الأصفهاني ، الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .

(٢) العوا ، عادل "الدكتور" ، الإنسان ذلك المعلوم ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٢٤.

(٣) أبن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ١٤-١٥.

(٤) الجوعاني ، يونس حمش خلف ، ألفاظ خلق الإنسان في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٤ ، غير منشورة ، ص ١١.

(٥) أبن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ١٥-١٦.

(٦) العوا ، عادل "الدكتور" ، الإنسان ذلك المعلوم ، مصدر سابق ، ص ٢٣.

(٧) الجوعاني ، يونس خميس خلف ، ألفاظ خلق الإنسان في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٠ .

فاشتقاق الإنسان من النسيان ، وهو نقيض الذكر ، فهي معنى أن الإنسان هو الكائن المسؤول بالدرجة الأولى ، وفيه إشارة متصلة بحياة الإنسان الأول في الجنة "آدم" (عليه السلام) . وهذا ما ذهب إليه ابن عباس وتبعه الكوفيون من أن الإنسان سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسى.

أما اشتقاق الإنسان من الأنس ، فيه ترجيح لاجتماعية هذا الكائن ليس كونه منتمياً إلى فصيلة الأنس ، وإنما أنسيتهُ فيها ارتقاء إلى الدرجة التي تؤهله للخلافة واحتمال تبعات التكليف ، فهو المخصوص بالعقل والبيان والمختص بالعلم والتمييز ، ويميل الباحث للأخذ بها الاشتقاق لانسجامه مع أهداف البحث وجوهر التكليف . والذي يعدّ الجانب الاجتماعي من التأنس والتآلف من الأهمية بمكان لحمل تلك الأمانة . أما كون الإنسان ، مدركاً ومبصراً ، في ذلك إيلاء أهمية بالغة للحواس وعدّها من أدوات المعرفة الأساسية ، فتكون القيمة الأولى المرموقة آنذاك قيمة الإنسان العارف .

أما فيما يتعلق باشتقاق كلمة إنسان من نوس ، وهو نقيض السكون ، كونه حيواناً ناشطاً وفاعلاً لتحركه في مختلف الأحوال والظروف وتصرفه في جمع الأمور وربما يوافق ذلك بلغة العصر بأن الإنسان حيواناً تقنياً[١].

وترادف كلمة الإنسان في الدلالة كلمة البشر ، وهي تعني الإنسان ويقع على الأنثى والذكر ، واحداً أو جمعاً[٢]، وقد يثنى[٣] ، وفي التنزيل العزيز ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾[٤] .

ولفظ الإنسان في القرآن الكريم يطلق على آدم (عليه السلام) ، وأحياناً يدل على أبناء آدم فقط ، ويرد تارةً أخرى على عموم الجنس البشري[٥] ، وفي الحديث النبوي يطلق على أبناء آدم .

أصل كلمة آدم

قبل أن نبحث في كيفية خلق آدم (عليه السلام)، لا بد من البحث في الأصل الذي اشتقت منه هذه الكلمة ، وما هو مدلولها اللغوي . فكلمة آدم هي وصف مشتق من الأدمة . إذ أنه قد أستل من أديم الأرض . وهذا ما أشار إليه أبن عباس رضي الله عنهما ، بقوله : إنما سمي آدم بهذا الاسم ، لأن الله تعالى ، خلقه من أديم الأرض كلها[٦]. مستنداً في ذلك على حديث الرسول

---

(١) العوا ، عادل "الدكتور" ، الإنسان ذلك المعلوم ، مصدر سابق ، ص ٢٥.

(٢) الأصفهاني ، الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، مصدر سابق ، ص ٣٧.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٦٠ .

(٤) المؤمنون :٤٧.

(٥) الجوعاني ، يونس حمش خلف ، ألفاظ خلق الإنسان في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٢-١٣.

(٦) نفس المصدر السابق ، ص ١٢ .

(ﷺ) "**خلق الله آدم من أديم الأرض كلها ، فخرجت ذريته على حسب ذلك منهم الأبيض والأسود والأسمر والأحمر ، ومنهم بين بين ذلك ومنهم السهل والخبيث والطيب**"[١]. ويرى الثعالبي ، أن سبب التسمية يعود إلى ، أن التراب بالعبرانية آدم ، فسمي آدم باسم المادة التي خلق منها . ويقول الجواليقي أن آدم أسم عربي فأسماء الأنبياء كلها أعجمية ، إلاّ أربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد[٢].

وهناك من يرى بأن الأصل الذي اشتقت منه كلمة آدم : هي السمرة الشديدة ، وقيل هو أدمة الأرض ، وهو لونها ، قال : وبه سميّ آدم أبو البشر[٣].

واختلف في اشتقاق اسم آدم . فقال بعضهم : سمي آدم لأنه خلق من أدمة الأرض ، وقال بعضهم : الأدمة جعلها الله تعالى فيه . ويقول أهل اللغة إن اشتقاق آدم لأنه خلق من تراب ، وكذلك الأدمة إنما هي مشبهة بلون التراب[٤]. ويرجح الباحث الرأي القائل إنما سميّ آدم لأن الله تعالى خلقه من أديم الأرض كلها . لأن هذا الرأي يستند إلى اثر وحديث نبوي . ومهما كان الاختلاف في أصل التسمية ، فإن هناك اتفاقاً على آدم أبي البشر عند أغلب الأديان ، ولا سيما السماوية منها .

---

(١) الحاكم ، محمد عبدالله ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ج٢ ، ص ٢٨٨ ، رقم الحديث ٣٠٣٧.

(٢) الجوعاني ، يونس حمش خميس ، مصدر سابق ، ص ١٣ .

(٣) أبن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج ١٢ ، ص ١١ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ١٢.

المبحث الثاني
خلق الإنسان

يشكل الإنسان محور التفكير عند العلماء والمفكرين بمختلف منظوماتهم الفكرية والعقائدية ، ولكي نبين أصوله التاريخية والاجتماعية لا بد من العودة إلى كيفية خلق الإنسان في مصادر الفكر الاجتماعي الإسلامي .

ورد في آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية أطوار خلق الإنسان الأول ، بأنه خلق من تراب ، وأنه خلق من طين ، وخلق من طين لازب ، وإنه من سلالة من طين ، وإنه من حمإ مسنون ، ومن صلصالٍ كالفخار[١]. وفي هذه المراحل يكمن الإيذان بتحول جديد ، بولادة مخلوق مميز بسمات وملامح الطور الآدمي ، ومكلف بمهمة خاصة خلق من أجلها.

ومادة الخلق الأول وهي التراب يكمن فيها قوة هذا المخلوق وضعفه[٢]، فضلاً عن أنها أساس مبدأ الوحدة بين أبناء البشر . أشار الله تعالى إلى خلق آدم السلام من تراب : ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[٣]. وقال الرسول (ﷺ) " **وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ** [٤]. وقال تعالى : ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ**﴾[٥]. والطين هو التراب الممزوج بالماء ، ويعد الماء الأصل لجميع المخلوقات لقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾[٦]. فآدم خلق من طين خمر بالماء . فالماء مبدأ الخلق الأول والذي وجد قبل كل موجود ، وهو العنصر الأساس في ديمومة الحياة .

وبيّن الله تعالى ، أنه خلق آدم من سلالة من طين : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾[٧]. وهنا وصف للطين الذي خلق منه آدم (عليه السلام) وبأنه استل من سلالة من طين : أي من طين خالص. ونجد الله تعالى يصف الطين وصفاً آخر فقال تعالى : ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ**

---

(١) الجوعاني ، يونس حمش ، ألفاظ خلق الإنسان في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٦.

(٢) الحسن ، إحسان محمد ، "الدكتور" ، الأنبياء وعراقيون ، مطبعة الحضارة ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٩.

(٣) آل عمران : ٥٩ .

(٤) رواه الترمذي ، برقم ٣١٩٣ .

(٥) السجدة : ٧ .

(٦) الأنبياء : ٣٠ .

(٧) المؤمنون : ١٢ .

طِينٍ لازِبٍ﴾[١]. ويقول ابن عباس رضي الله عنهما ، اللازب الطين الحر الجيد اللزج[٢]. وتعدّ مرحلة خلق الإنسان من طين لازب ثالث مراحل خلق الإنسان . ثم يتحول هذا الطين إلى حمإ مسنون فصلصال كالفخار . كما في قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾**[٣]. فالطين الذي خلق منه آدم بعد أن خمرّ بالماء ، اصبح من حيث اللون والرائحة كالحمإ المسنون ، فهو مائل إلى السواد منتن . ثم تُرك حتى جفّ فأصبح من حيث الصلابة والصوت فهو صلصال كالفخار[٤].

تلك المراحل التي مرّت بها المادة التي خلق منها آدم (عليه السلام) . فكان في الأول تراب فمزج بالماء وصار طيناً ووصف هذا الطين بـ "لازب" ثم ترك حتى انتن فصار حمإ مسنوناً، فصوره الله تعالى وتركه حتى جفّ فصار صلصالاً كالفخار[٥]. وبعد أن صور الله تعالى آدم وجعله حسداً ،ولما أراد أن ينفخ فيه من روحه:**﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾**[٦]. فأول ما نفخ فيه الروح دخلت من دماغه ، ثم نزلت في عينية ، والحكمة في ذلك أنه تعالى أراد أن يرى "آدم" (عليه السلام) بدء خلقه وأصله حتى لا يدخل الزهو ولا العجب نفسه ، ثم انتشرت الروح فيه في جسده كله فصار لحماً ودماً وعظماً[٧].

إن قصة خلق آدم في الفكر الإسلامي ، قد تمت بمعجزة إلهية ، وقد أشار بعض المفكرين إلى أن هناك صلة ما بين مادة الخلق وطباع المخلوق ، فقد خُلق الإنسان من تراب ليكون متواضعاً وليكون أشد التصاقاً بالأرض التي خلق منها[٨]. فضلاً عن أن طبيعة تكوينه الملائمة للتفاعل مع البيئة التي يعيش فيها ومنسجمة مع طبيعة تكليفه ليكون خليفة الله فيها . فطبيعته تكون من طبيعة تكوينه ، فكان تكوينه مناسباً لمكونات البيئة[٩]، والمهمة التي خلق من أجلها.

---

(١) الصافات : ١١ .

(٢) الجوعاني ، يونس حمش ، ألفاظ خلق الإنسان في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٦.

(٣) الحجر : ٢٦ .

(٤) الجوعاني ، يونس حمش ، مصدر سابق ، ص ١٦ .

(٥) الرازي ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، المطبعة البهية المصرية ، مصر ، نشر دار الكتب العلمية ، طهران ، ط٢ ، ج١٩ ، ص ١٧٩ .

(٦) السجدة : ٩ .

(٧) العوا ، عادل ، مصدر سابق ، ص ٦ .

(٨) الرازي ، التفسير الكبير ، مصدر سابق ، ج٨ ، ص ٥ .

(٩) محمد ، زعراط ، الإنسان في القرآن الكريم – مرحلة الخلق نموذجاً – ، مجلة الحضارة الإسلامية ، وهران ، العدد الرابع لسنة ١٩٩٨ ، ص ١٥٣ .

وبعد أن خلق الله تعالى آدم ، وهو المخلوق الأول من البشر ، اقتضت إرادته أن يخلق المرأة وهي صنو الرجل ، فكانت حواء ، حيث خلقت من آدم (عليه السلام)[١] : ﴿ **خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً** ﴾[٢]. وأجمع المفسرون على أن النفس الواحدة هي آدم (عليه السلام) .

وأكدت السنة النبوية حقيقة خلق حواء من ضلع آدم (عليه السلام) ، قال الرسول (ﷺ) " **فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ** "[٣] فيه أشار إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم ، وقيل من ضلعه القصير . وقوله (ﷺ) "**إن المرأة خلقت من ضلع ، فيه دليل لما يقوله الفقهاء ، إن حواء خلقت من ضلع آدم**"[٤].

وأشار عدد من المفسرين إن خلق حواء من ضلع آدم كان لحكمة اقتضتها إرادة الله تعالى ، وذلك لكي يطمئن إليها ويأنس بها ، إذ كانت بعضاً منه[٥]. وأكد سيد قطب في "ظلال القرآن" أن في خلق حواء من ضلع آدم (عليه السلام) ، لا فارق في الأصل والفطرة ، وإنما الفارق في الاستعداد والوظيفة . ويشير إلى أن هذه الحقائق الفطرية البسيطة فيها دلائل كبيرة وعميقة جداً ، إنها توحي بأن هذه البشرية صدرت عن إرادة واحدة ، وانبثقت من اصل واحد ، وتنتسب إلى نسب واحد ، تتصل في رحم واحد ، وتلتقي في وشيجة واحدة . لتذكر الناس بأن الفروق التي نشأت في حياتهم كلها طارئة[٦]. وتتجلى لنا بأن الغاية الأساسية من عملية الخلق تلك هو إيجاد توازن قائم على التكامل في الوظائف والأدوار مما يؤدي إلى إيجاد توازن في المجتمع .

---

(١) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور" ، الأنبياء عراقيون ، مصدر سابق ، ص ١٩ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الشافعي ، العسقلاني ، فتح الباري لشرح صحيح البخاري ، حديث رقم ٣٠٨٤.

(٤) النووي ، ابو زكريا، صحيح مسلم بشرح النووي ، شرح حديث رقم ٢٦٧٠ .

(٥) الجوعاني ، يونس حمش ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

(٦) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٧١، ص ٥٧٣.

المبحث الثالث

طبيعة تكوين الإنسان

التعرف على طبيعة تكوين الإنسان والخصائص المميزة له في المنظور الإسلامي، سيعيننا على معرفة دوره في حركة المجتمع وتحليل طبيعته ودوافع سلوكه . والإنسان في الفكر الإسلامي ، أعظم المخلوقات شأناً وأرقاها مكانه . لقد خلقه الله في أحسن تقويم وفضله على كثير ممّن خلق . فاستخلفه في الأرض ليعمرها واستخلافه أمانة كبيرة ومسؤولية . رضي الإنسان بقدرة في حملها ، وزوده الله بما يعينه على أداء تلك الرسالة من طاقات وقدرات جسمية وعقلية .

الطبيعة البشرية في الفكر الإسلامي ثنائية التكوين ، تتألف من عنصرين هما المادة التي خلق منها ، والروح التي نفخها الله فيه ، قال تعالى **﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ۞ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِه﴾**[1].

فالإنسان مكون من عنصرين أساسيين هما الجسد والروح . والجسد هو عبارة عن المحصلة النهائية لما ورثه عن أبويه وأسلافه من مقومات فاعلة ومنفعلة بمتغيرات ظروف البيئة المحيطة به[2] ليتكون بعد ذلك جسم الإنسان الموصوف بأجهزته وأعضائه ، أما الروح فهي جوهر الإنسان وحقيقة الآدمي ، وهي أسمى من الجسد . يتلقاها الإنسان من الله . وتظهر إلى حيز الوجود في اللحظة التي يستعد فيها الجنين لتلقي الروح . وعندما تُنفخ فيه الروح في الرحم تظهر فيه الحياة فيصبح خلقاً آخر ذا سمع وبصر . قال الرسول (ﷺ) "**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه في أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ....**"[3] وهذه الروح التي هي من أمر الله لا يدري ماهيتها إلاّ هو سبحانه وتعالى ، سأل نفر من اليهود الرسول (ﷺ) عن الروح ، فلم يرد عليهم شيئاً فلما نزل الوحي قال : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إلا قَلِيلا﴾**[4].
فالإنسان مركب تركيبة ثنائية معقدة متكاملة الجوانب متداخلة العناصر بشكلٍ متوازن .

الروح والنفس

هناك من يرى بأن الروح والنفس ، هما اسمان مترادفان لمعنى واحد ، وهناك من يرى غير ذلك . فالروح سميت روحاً ، لأن بها حياة البدن ، والروح هي الريح المتردد في مخارق

---

(١) السجدة : ٧-٩ .

(٢) الصالح ، عباس أحمد ، وآخرون ، الوداثة والسلوك ، مطابع جامعة الموصل ، ج١ ، ١٩٨٣ ، ص ٩.

(٣) رواه الترمذي ، برقم ٢٠٦٣ والبخاري ، برقم ٤٣٥٢ .

(٤) الإسراء : ٨٥ .

الإنسان ومنافذه[١]، والنفس سميت نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها[٢]. قال ابن عباس: "في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك ، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه[٣].

وفرّق أبو بكر الأنباري بين الروح والنفس ، فقال الروح التي بها الحياة والنفس التي بها العقل[٤] ، ويرى أبو حيان التوحيدي أن الإنسان بالنفس إنساناً لا بالروح ، وإنما بالروح حي فحسب[٥]. وأشار أبو العلاء المعري إلى أن الروح والنفس شيئان مختلفان ، النفس حادثة بحدوث الجسم فانية بفنائه ، فكأن النفس هذه القوى المحركة للجسم تبدأ ببدئه وتظل معه حتى ينطفئ فتنطفئ بانطفائه ، أما الروح فهي شيء لطيف ليس يدركه عقل ، خفي عن مداركنا ، يحسن الجسم ويرفع من مستوى النفس[٦]. فتولد النفس عند نفخ الروح في الجسد وتموت بخروجها منه . ولقد كان مفهوم النفس الأكثر وروداً في القرآن الكريم ، والذي دارت عليه أغلب المعاني بين الآيات الكريمة والأحاديث النبوية ، الذات البشرية بعامة ، أي الإنسان بمجموع قواه الحسية والمعنوية[٧].

ويخلص ابن القيم[٨] بعد استعراضه الآراء المختلفة والمتضاربة قي مسألة تحديد النفس والروح ، ويقول أن الإنسان هو البدن والروح معاً ، وقد يطلق أسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة . ويشير إلى أن العقلاء كلهم متفقون على أن الإنسان هو صفات لبدنه وصفات لروحه ونفسه الناطقة . ويستشهد ابن القيم بالقرآن الكريم ، بأنه يطلق (النفس) على الذات الإنسانية بجملتها لقوله تعالى﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ** ﴾[٩]. وقوله ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾[١]. وقوله ﴿**يَوْمَ** ﴿**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا** ﴾[٢].

---

(١) صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، مصدر سابق ، ص ٦٢٣ .

(٢) الوتاري ، أيمن ، الألفاظ النفسية في القرآن ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل لعام ١٩٩٤ ، ص ١٧ .

(٣) القرطبي ، تفسير ، صورة الزمر : ٤٢ .

(٤) الوتاري ، أيمن ، مصدر سابق ، ص ١٧ .

(٥) التوحيدي ، أبو حيان ، الأمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، ج٣ ، ص ١١٤.

(٦) صليبا ، جميل ، تاريخ الفلسفة العربية ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ٣٥٣.

(٧) الوتاري ، أيمن ، مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٨) العاني ، نزار ، "الدكتور" ، الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمّان ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص ٧ ، نقلاً عن كتاب الروح لأبن القيم الجوزية .

(٩) النور : ٦١ .

ويطلق لفظ النفس على الروح وحدها من ناحية أخرى ، كقوله تعالى ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾[٣].ولم تطلق الروح على البدن كما يذكر ابن القيم لابانفراده ولا مع النفس .

وترى عائشة عبد الرحمن أن النفس تعني الذات الإنسانية بعنصريها المادي والمعنوي، ومن ثم! يجوز عليها الموت . ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٤]. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[٥]. وهنا لا تكون النفس مرادفة للروح التي هي سر الحياة ولكنها ليست مرادفة للجسد ، بل هي ذات بعامة وليس جزءاً منها[٦].

لا توجد الروح والمادة منفصلين إحداهما عن الأخرى ، وإنما هما ممتزجان معاً في وحدة متكاملة وتتكون من هذا المزيج المتناسق ذات الإنسان . ولما كانت معرفة الروح وماهيتها من الصعوبة بمكان لأنها من الله سبحانه وتعالى لذلك لجأ الكثير من العلماء والمفكرين إلى تحليل النفس ومكوناتها ووظائفها[٧].

فضلاً عن حث القرآن الكريم والسنة النبوية الإنسان على التفكير في نفسه ، ودقة تكوينه ، فمعرفة النفس تؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾[٨].

النفس الإنسانية وإن كانت واحدة في النوع فهي مختلفة في الخواص ، وذكر القرآن الكريم ثلاثة أصناف من النفس الإنسانية ، وكل صنف مختص بخواص متمايزة عن باقي الأصناف الأخرى ، والأصناف الثلاثة هي :

١. **النفس الأمارة بالسوء** ، قال تعالى : ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٩]، وهي التي تستجيب لدواعي الشهوة ، فهي النفس الشهوية[١].

---

(١) النساء : ٢٩ .
(٢) المدثر : ٣٨ .
(٣) الفجر : ٢٧ .
(٤) آل عمران : ١٤٥ .
(٥) آل عمران : ١٨٥.
(٦) عبدالرحمن،عائشة،"الدكتور"،القرآن وقضايا الإنسان ، دار العلم للملايين،بيروت،ط٢، ١٩٧٨ ، ص١٨٥ .
(٧) عبدالعال ، حسن إبراهيم ، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٩٨٥ ، ص ٢٥١ .
(٨) الذاريات : ٢٠-٢١.
(٩) يوسف : ٥٣ .

٢. **النفس المطمئنة** : وهي التي لا تجد الشهوة إليها سبيلاً لقوتها وحكمتها : **﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾**[٢].

٣. **النفس اللوامة** : وهي بموقع وسيط بين الأمارة بالسوء والمطمئنة[٣]، وهي النفس التي هذبها الإيمان وأصبحت لا تستمرئ الانحراف **﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾**[٤]. ويمكن تصور هذه الأصناف الثلاثة للنفس على أنها حالات تتصف بها الذات الإنسانية في مستويات مختلفة من النضج التي تمر بها في أثناء صراعها الداخلي بين الجانبين المادي والمعنوي من طبيعة تكوينها .

فبينما تكون ذات الإنسان في أدنى مستوياتها الإنسانية بحيث تسيطر عليها الأهواء والشهوات والملذات البدنية فإنها تكون في حالة ينطبق عليها وصف النفس الأمارة بالسوء . وحينما تبلغ الذات الإنسانية أعلى مستويات النضج والكمال الإنساني حيث يحدث التوازن التام بين المطاليب الروحية والبدنية ، فإنها تصبح في الحالة التي ينطبق عليها وصف النفس المطمئنة . وبين هذين المستويين مستوى آخر متوسط بينهما ، حيث يحاسب فيه الإنسان نفسه على ما يرتكب من الأخطاء ، ويسعى جاهداً من أجل الامتناع عن ارتكاب ما يغضب الله ويسبب له تأنيب الضمير . ولكنه قد لا ينجح دائماً في مسعاه . فقد يضعف أحياناً ويقع في الخطيئة ، ويطلق على حالة الذات الإنسانية في هذا المستوى النفس اللوامة[٥].

وفي الفكر الإسلامي لا يبلغ الإنسان كمال إنسانيته إلاّ بمجاهدة النفس الأمارة بالسوء وكبح جماحها لأن رغباتها ليس لها حدود وكلما أشبعت رغبة استجدت رغبات ، وهنا سيتحول الإنسان من الحاجاتية إلى الرغباتية والتي ستقوده إلى اتباع الهوى ، وتحرفه عن جادة الحق والصواب .

ووصف الرسول (ﷺ) ذلك بالجهاد الأكبر لما هو من عظيم الأثر على خلق الذات الإنسانية المتوازنة والتي ستساهم بشكلٍ فعّال في خلق المجتمع المتوازن . فبعد أن عاد المسلمين مكللين بالظفر في غزوة بدر ، قال لهم الرسول (ﷺ) : "**لقد رجعتم من الجهاد الأصغر فعليكم بالجهاد الأكبر ، فقالوا له وما هو الجهاد الأكبر ؟ قال لهم إنه جهاد النفس ومحاسبتها**

---

(١) العاني ، نزار ، الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ٧١ .

(٢) الفجر : ٢٧-٣٠ .

(٣) العاني ، نزار ، المصدر السابق نفسه ، ص ٧١ .

(٤) القيامة : ٢ .

(٥) نجاتي ، محمد عثمان "الدكتور"، القرآن وعلم النفس،دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠٨-٢٠٩.

ونهيها عن الهوى واتباع الشهوات"، وهنا يتبين لنا بأن الذات الإنسانية كل متكامل الأجزاء جسماً وروحاً ، نفساً وعقلاً على الرغم من أن هناك قوامة لروح على الجسد وللعقل على النفس .

المبحث الرابع
الطبيعة البشرية

اعتقد معظم العلماء والمفكرون المسلمين في رؤيتهم للطبيعة البشرية ، أن الإنسان يمثل في خصائصه وسماته آخر أفق للكائنات الحية من عالم الحيوان ، من حيث الجسد والحواس ، وإنه يتصل بأول الملائكة من حيث الروح والعقل[١]. وأصله لا يعود إلى الحيوان وإن اتصف بما تتصف به الحيوانات في بعض سلوكه ، إلاّ أن الله خلقه في أحسن تقويم وكذلك أن أصله لا يعود إلى الملائكة ، وإن اتصف ببعض صفاتهم أحياناً.

الطبيعة البشرية تتكون من عناصر متكاملة أساسها الفطرة ، وهي استعداد خلقه الله في النوع الإنساني يهيئه للقيام بوظائفه الحياتية ، والعنصر الثاني هو العقل الذي ميّز الله به الإنسان ليستخدمه في خدمة الفطرة ليرفعها إلى مستوى التكليف والمسؤولية[٢]. و العقل في الفكر الاجتماعي الاسلامي هو مصدر التكليف و التكريم فهو الدليل من الضلال و مصدر يهتدي به الى الحق و حكم يحتكم اليه عند الخصومة و مشعل يسير العاقل بنوره اذا خيم الظلام كما قال تعالى﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ [٣] و الخطاب القرآني الذي هو المصدر الأساس للفكر الاجتماعي لا يذكر العقل بمعنى واحد من معانيه فحسب بل يشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها و خصائصها فهو يخاطب العقل الغريزي (الفطري) المميز المقابل للجنون و الذي هو مناط التكليف كما يخاطب العقل المكتسب المقابل للجهل و عدم الفهم و الذي هو مناط التكريم[٤].

ومن أكثر سمات الطبيعة البشرية ارتباطا بالعقل حبها للجدل والنقاش من أجل الإرشاد للاعتقاد الصحيح . فضلاً عن الضعف الذي فطر عليه الإنسان ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾[٥]، وضعفه يكمن في جسمه ونفسه وفي طول فترة طفولته ، وفي عزمه وهمته ، فهو يستميله

---

(١) الجباوي ، علي عبدالله "الدكتور" ، الفكر الانثربولوجي في التراث الفكري العربي ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ٢٠٦ .

(٢) الجسماني ، عبد علي "الدكتور" ، الشخصية المسلمة حسب المنهاج القرآني ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٠١ .

(٣) الانعام :٢٢

(٤) الكبيسي ، احمد عبيد (الدكتور) ((العقل و القرآن حميمان فرق بينهما الجهل)) بحث منشور في كتاب، مكانة العقل في الفكر العربي مركز دراسات الوحدة العربية – المجمع العلمي العراقي، بيروت ،١٩٩٦،ص ٤٣.

(٥) النساء : ٢٨ .

وشهوته وغضبه يستخفانه[١].إن الطبيعة البشرية فطرت على الظلم والعدوان ، فأنانية الإنسان وأثرته وجهله وغروره وعدوانيته سمات متأصلة في طبيعته ، فضلاً عن اتصافها بالعجلة والهلع والجزع والبخل والبطر وعدم الثبات على المبدأ وقلة الوفاء بالمعروف وحب الدنيا وحب المال ، وتلك الخصائص والسمات ذكرها البيان الإلهي ، وكذلك ورد قسم منها في السنة النبوية :

﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾[٢].

﴿كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٣].

﴿بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾[٤].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾[٥].

﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولا﴾[٦].

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[٧].

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ ﴾[٨]. و قال تعالى ايضاً : **﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾**[٩].

قال الرسول (ﷺ) " **قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ حُبِّ الْعَيْشِ وَالْمَالِ**"[١٠].

قال الرسول (ﷺ) " **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**"[١١].

ومن خلال ما تمّ ذكره ، نلاحظ أن الطبيعة البشرية أقرب إلى الهبوط والانحراف منها إلى الاستقامة ، إذا أخذنا الإنسان على طبيعته دون توجيه ولا تهذيب . وأشار محمد قطب إلى

---

(١) الزحيلي ، وهبة "الدكتور" ، الإنسان في القرآن ، مجلة الحضارة الإسلامية ، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية ، الجزائر ، العدد ٤ ، السنة ١٩٩٨ ، ص ٧٠ .

(٢) الكهف : ٥٤ .

(٣) العلق : ٦ ، ٧ .

(٤) القيامة : ١٤ .

(٥) الأحزاب : ٧٢ .

(٦) الإسراء : ١١ .

(٧) المعارج : ١٩ ، ٢١ .

(٨) يونس : ١٢ .

(٩) إبراهيم : ٣٤ .

(١٠) رواه مسلم ، برقم ١٧٣٤.

(١١) رواه الترمذي ، برقم ٢٤٢٣.

أن الإسلام وصف الطبيعة البشرية محايدة الطاقة مزدوجة الاتجاه ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۞قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا۞وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا۞** ﴾[١]. وأوجب تزكيتها أي تنشئتها تنشئة سليمة ، وجعل ذلك أمانةً في عنق الوالدين وأولياء الأمور ، وجعل أساس هذه التزكية هو التهذيب لا الكبت والحرمان . لأن كل طاقة يشتمل عليها الإنسان هي جزء من كيانه وضرورية له في حياته ، وتعطيلها أو كبتها معناه إهدار هذه الطاقة وتضييع الفائدة المرجوة منها[٢]. فالحاجات الجسمية ينبغي أن تتبع بشكلٍ متوازن لأنها ضرورية لبقاء الإنسان وحفظ ذاته ، وهذا ما تقتضيه فطرة الإنسان ومكانته في الحياة . والتوازن والاعتدال في إشباع الحاجات جوهر المنهج الإسلامي .

الوراثة والبيئة والطبيعة البشرية

الطبيعة البشرية هي حصيلة تأثير العوامل الوراثية والعوامل البيئية طبيعية كانت أم اجتماعية[٣].الوراثة لا تنفرد وحدها في التأثير على حياة الفرد والبيئة لا تستقل في تأثيرها عن الوراثة ، والطبيعة ليست مزيجاً مركباً من تأثيرات الوراثة والبيئة ، بل هي نتيجة التفاعل القائم بينها[٤].

قال الرسول (ﷺ) في أثر البيئة الطبيعية على الإنسان "**مَنْ بَدَا جَفَا وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنْ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا ازْدَادَ مِنْ اللَّهِ بُعْدًا**"[٥].

وفي هذا الحديث أشار إلى تأثير البيئة الصحراوية القاسية على سكانها ، وإنها تجعله جفاة في طبعهم وطبيعتهم ، كما أنه يلمح إلى أثر المهنة التي يمتهنها على طبيعة الإنسان وعاداته ، وقال الرسول (ﷺ) " **السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْإِبِلِ** "[٦].

وفي ذلك دليل واضح على أن طريقة العيش والحياة تعطي الإنسان صفات خاصة وتصبح حياته بأمور تتناسب وطبيعة عمله[٧].

---

(١) الشمس : ٧-١٠ .

(٢) قطب ، محمد ، الطاقة البشرية محايدة ، بين الشر والخير ، مجلة الدين والحياة .

(٣) الراوي ، مسارع حسن "الدكتور" ، مكونات الطبيعة البشرية ، مصدر سابق ، ص ٢٢٧.

(٤) السيد فؤاد البهي "الدكتور" ، الذكاء ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦ ، ص ٤٥ .

(٥) رواه أحمد ، برقم ٨٤٨١ .

(٦) رواه أحمد ، برقم ١٠٩٥٣ .

(٧) رضا ، صالح بن أحمد "الدكتور" ، الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، المجلد الثاني ، مكتبة العيكان ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ١١٣٦-١١٤١ .

أما عن اثر البيئة الاجتماعية على الطبيعة البشرية ، قال الرسول (ﷺ) " **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ**"[١].

فهذا الحديث يبين أثر البيئة الاجتماعية الأسرية على الطفل في تشكيل معتقده الديني والآراء الفكرية وباقي المواقف الاجتماعية والنفسية . وفي ذلك تقرير عن تأثير البيئة الأسرية في تشكيل شخصية الطفل يسبق كل الدراسات الحديثة في ذلك .

الخير والشر في الطبيعة البشرية

أكد العديد من العلماء والمفكرين المسلمين على أن الطبيعة البشرية بفطرتها حيادية فهي ليست خيرة وليس شريرة ، ولها ميل واستعداد للخير وميل واستعداد لتكون شريرة. لا تتغير في طبيعتها في الحالتين ، وإنما يتغير التوجيه . والنفس البشرية وحدها هي التي تعرف الفجور والتقوى ، ويكمن فيها النقيضان ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۞قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا۞وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [٢].

لهذا وجب تزكيتها أي تربيتها وتهذيبها . وجعل ذلك أمانة في عنق الوالدين وأولياء الأمور ، ويعطي الله عليها وما لا يعطي على غيرها .

ويؤكد أبن خلدون إلى أن الشر أقرب إلى طبيعة الإنسان إذا أهمل ولم يجذبه الاقتداء بالرسل والأنبياء . ويلخص ابن خلدون إلى أن الأديان والأنبياء التي بعثت إنما هي ضرورة حضارية تتضمن بعداً تربوياً يستهدف الأخذ بيد الإنسان وتغليب دوافع الخير في تكوينه النفسي على نزعات الشر والضلال والعدوان[٣].

الفردية والاجتماعية في الطبيعة البشرية

وصف العديد من العلماء المسلمين أن الإنسان مدني أو اجتماعي بالطبع ، ومنهم ابن خلدون ، حيث أشار في مقدمته على أن الفرد لا يمكن أن تستقيم حياته من دون الاجتماع مع أبناء جنسه ، وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال شروط وجوده وإشباع حاجاته دون التعاون والتفاعل مع الجماعة[٤].

---

(١) رواه مسلم ، برقم ٤٨٠٣.

(٢) الشمس :٧-١٠

(٣) الراوي ، مسارع حسن "الدكتور" ، مكونات الطبيعة البشرية ، مصدر سابق ، ص ١٩١-٢٢٩ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، الجزء الثاني ، مكتبة الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ ، ص ٥٦٩.

وأكد الرسول (ﷺ) على أن الإنسان السوي اجتماعي بطبعه ، حيث قال "**إن المؤمن يألف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**"[1]. وهذا ما ينسجم مع طبيعة التكليف الإلهي بعمارة الأرض ، فالاجتماع ضرورة إنسانية لا يمكن للإنسان أن يحقق أهدافه ويشبع حاجاته إلاّ من خلاله تفاعله مع المجتمع وتعاونه مع الجماعة التي يعيش في كنفها .

ومما نخلص إليه أن الطبيعة البشرية في التصور الإسلامي تتسم بثنائية أساسية وهي صدى للثنائية الحاكمية الكبرى ، ثنائية الخالق والمخلوق ، وهي ثنائية الجانب المادي والروحي .

---

(١) رواه المستدرك ، برقم ٥٩ .

الفصل السادس

الجماعة في الفكر الاجتماعي الإسلامي

مقدمة تمهيدية :

المبحث الأول : جماعة الأسرة .

المبحث الثاني : جماعة الأقارب .

المبحث الثالث : جماعة الجيرة .

المبحث الرابع : جماعة الأصدقاء .

المبحث الخامس : مظاهر الجماعة في شعائر الإسلام .

مقدمة تمهيدية :

لا غنى للكائنات البشرية لكي تستمر في العيش والبقاء من وجود روابط إنسانية تؤلف بينها وتجمعها في جماعات لإشباع حاجاتها الأساسية . فالجماعة ظاهرة أوجدتها الطبيعة الاجتماعية للإنسان ، فهو لا يستطيع أن يعيش بصورة سوية إلاّ في جماعات تتولى رعايته وتدريبه وتنشئته ويشترك مع أعضائها في أنواع متعددة من النشاط .

حيثما وجد الإنسان فإنه يسعى بالطبع والعقل والغريزة إلى الاجتماع ببني جنسه ، فهو خلق ضعيفاً لا يستطيع العيش دون مساعدة الآخرين ، ولا تكتمل سعادته ولا يصفو عيشه بغير الأنس والتآلف والاجتماع ، وطبيعة هذا الاجتماع تختلف على وفق رؤية الإنسان الكلية للحياة[١].

وجاء الإسلام ليحدد رؤية الإنسان للحياة بمنظار شمولي يشمل جميع جوانب الحياة البشرية بكل أبعادها الروحية والمادية . ونظر الإسلام إلى الإنسان من خلال وجوده الاجتماعي . ودعاه إلى الانخراط في سلك الجماعة المؤمنة . وأحاط هذه الجماعة بكثير من التدابير التي تضمن وحدتها وتصون تضامنها وتكاملها . فالجماعية هي جوهر المنظور الإسلامي ، وهي روح تسري في جميع مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي . ولقد سعى الإسلام إلى كل ما يشيع روح المحبة والألفة بين أفراد الجماعة المسلمة ودعا إلى تجنب كل ما يؤدي إلى الشقاق والفرقة[٢].

وأولى الإسلام الجماعات الاجتماعية الأولية الأربعة "العائلة ، الأقارب ، الجيران ، الأصدقاء" أهمية خاصة لما لها من دور كبير في تحقيق إشباع نزعة الانتماء الاجتماعي وما يترتب على ذلك من تحقيق التوازن الاجتماعي في المجتمع .

---

(١) إمام ، زكريا بشير ، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٣٣.

(٢) عفيفي ، محمد صادق "الدكتور" ، الفكر الإسلامي ، مبادئه ، مناهجه ، قيمه ، أخلاقه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون سنة طبع ، ص ٢٤٥.

المبحث الأول
جماعة الأسرة

تعدّ الأسرة الجماعة الاجتماعية الوحيدة التي خبرتها المجتمعات البشرية من نشأتها (آدم وزوجته حواء وذريتهما) ، وحتى وقتنا الحاضر ، على الرغم من الانحراف الذي رافق بعض المجتمعات في مراحل تاريخية متنوعة ، حيث خبر بعضها انعدام الزواج في نطاقه المشروع كالإباحية الجنسية وتعدد الأزواج وتبادل الزوجات ... الخ ، من الأشكال الشاذة التي يذكرها علماء الاجتماع ، فيما يذهبون إلى وجود بقايا منها في بعض المجتمعات البدائية[١].

وينظر الإسلام إلى الأسرة بأنها جماعة اجتماعية ذات نسق ثابت مرتكز على الزواج ، وتضم في الغالب زوجاً وزوجة وأولادهما وأقارب وذوي الأرحام وهؤلاء يشكلون حجر الزاوية في البناء الاجتماعي للمجتمع الكبير[٢].

الأسرة في ظل الإسلام قد اختلفت في توجيهها وبنائها عن الأسرة في المجتمعات التي سبقت الإسلام . وتمثل دور الإسلام من خلال تغيير صور الولاء القبلي والانتماء للعشيرة ، وتحول مساراته واتجاهاته إلى ولاء لله ورسوله أولاً ، وثانياً ولاء للأسرة المنجبة (الزواجية) فقط . وقد جرى ذلك عن طريق تدعيم دور الوالدين والحث على طاعتهما المرتبطة بطاعة الله تعالى[٣]. والله تعالى يقول :

- ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[٤] ، فربط الإحسان إليهما بعبادته تعالى :
- ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا﴾[٥]،ربط الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه .
- ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[١] ، وقرن الشكر لهما بالشكر له جلّ شأنه .

---

(١) البستاني ، محمود "الدكتور" ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ١٨٨.

(٢) الشرباصي ، أحمد "الدكتور" ، الإسلام وتنظيم الأسرة ، مجموعة أبحاث ومناقشات المؤتمر الإسلامي المنعقد في الرباط ، الاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٦ .

(٣) حطب ، زهير "الدكتور" ، تطور بنى الأسرة العربية ، الجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٦.

(٤) الإسراء : ٢٣ .

(٥) النساء : ٣٦ .

- **﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾**[٢] ، وحثّ الله تعالى من خلال هذه الآية الكريمة على تكريم الوالدين والعناية بهما ورحمتهما .

وقال الرسول محمد (ﷺ) في بر الوالدين :

- **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ)**[٣].
- **(قيل يا رسول الله : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : (الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا) ، قال : ثم أي ، قال : (ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ)**[٤].
- **(بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك)**[٥].

وقال (ﷺ) في رعايتهما :

- **(رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ)**[٦].

وقال (ﷺ) في حسن صحبتهما :

- قال : **(مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)**[٧].

فبعد أن نقل الإسلام دائرة الولاء من القبلية والعشيرة إلى الأسرة ، عمد إلى بناء قاعدة متينة لهذه الجماعة الاجتماعية الأولية ، من خلال ربط انساق العلاقات الاجتماعية فيها بالجانب العقائدي . فضلاً عن رفض الإسلام للتبني وحرمه ، تدعيماً لهذا البناء الأسري بحيث يصبح هذا البناء يستمد أصالته وقوته من مصدر أساسي ألاّ وهو رابطة الدم وصلة الرحم . ويؤكد الرسول (ﷺ) هذه الرابطة الحقيقية ، فقال : **(مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ)**[٨] ، **وقال (لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ)**[٩]. فالأبوة الصحيحة والانتساب السليم ركيزة ضرورية لبناء أسري متماسك .

---

(١) لقمان : ١٤ .

(٢) الإسراء : ٢٤ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، برقم ١٣٣٠٩ .

(٤) رواه البخاري ، برقم ٤٩٦ .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ، برقم ٧٢٤٥ .

(٦) رواه مسلم ، برقم ٤٦٢٨ .

(٧) رواه مسلم ، برقم ٤٦٢٢ .

(٨) رواه البخاري ، برقم ٣٩٨٢ .

(٩) رواه البخاري ، برقم ٦٢٧٠ .

وفي السياق نفسه أقرّ الإسلام مجموعة من الحدود التي من شأنها أن تعزز دائرة العلاقات الاجتماعية في الأسرة ، وأن تصون البناء الاجتماعي لها وللمجتمع من أي اختلالات هيكلية في المستقبل ، منها :

١. حدد دائرة معينة من الأقارب حرم فيها الزواج ، سموا بهذه القرابة ، ووقاية لهذه الدائرة القرابية من المشاكل الاجتماعية التي يمكن أن تنشأ من خلال ممارسة النشاطات اليومية[١]. فقال تعالى : ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[٢].

٢. أقرّ حق الرضاعة والحضانة وأولاهما اهتماماً بالغاً حفاظاً على النشأ والرابطة الأسرية كي تمتد وتزدهر .

٣. أقرّ الإسلام حق الإنفاق والإعالة للأصول على الفروع .

٤. أقرّ الإسلام حق التوارث الذي أقرّه الإسلام بنظام فريد يحفظ لكل ذي قرابة حقه[٣]، مرسياً بذلك قاعدة مادية أساسية وقوية يستند إليها البناء الأسري .

أهداف تكوين الجماعة الاجتماعية الأسرية

للجماعة الاجتماعية الأسرية مجموعة وظائف أو أهداف تسعى إلى تحقيقها منها :

١. الوظيفة الاجتماعية

تكوين الجماعة الاجتماعية الأسرية على أسس سليمة هو السبيل الوحيد لإيجاد الأجواء المناسبة لضمان التنشئة الاجتماعية السوية لأفراد المجتمع ، وتلعب التنشئة الاجتماعية السليمة دوراً في تنمية وتطوير حالة الفرد الأخلاقية والروحية والإنسانية ، وهذا ما يساعده على تحقيق ذاتية الفرد وبناء شخصيته وتطوير قدراته وقابلياته[٤].

---

(١) العسال ، أحمد محمد "الدكتور" ، الإسلام وبناء المجتمع ، دار القلم ، الكويت ، ط٥ ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٤.

(٢) النساء : ٢٣ .

(٣) العسال ، أحمد محمد ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور" ، علم الاجتماع دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ١٨١ .

وقد جاء تأكيد الرسول (ﷺ) على هذه الوظيفة الرئيسية ، الموكلة بالأسرة "الوالدين" في قوله : **(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ)**[١]. وفي هذا الحديث تأكيد بالغ الأهمية على دور الأسرة في عملية التنشئة الدينية والاجتماعية ، حيث تقوم بتلقينهم المعتقدات والأخلاق والقيم والمعايير وأهداف المجتمع الذي نعيش فيه وتتفاعل معه[٢].

٢. الوظيفة النفسية

الزواج هو السبيل الأفضل إلى تكوين الجماعة الاجتماعية الأسرية ، حيث تسكن النفس الإنسانية وتهدء ، وتنبت الثقة والمحبة المتبادلة في جو تسوده المودة ، قال الله تعالى **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٣].

والرسول (ﷺ) أعدّ الزواج بالمرأة الصالحة من أهم مكاسب الحياة الدنيا لكونه يحقق للفرد الاستقرار النفسي والوجداني ، فقال **(الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)**[٤].

.

٣. الوظيفة الجنسية

فإشباع الدافع الجنسي بصوره شرعية ومن خلال الزواج لتكوين الأسرة ، وعلى النحو الذي يصون العفة ويحفظ الأعراض ، فالهدف الأساس حياة اجتماعية تسودها الألفة والمودة ، وليس إشباع غريزة فقط[٥] وعدم إشباع هذه الغريزة بالطريقة المشروعة عن طريق الزواج ، يؤدي إلى الانحراف ، وهتك الأعراض ، ونشر الأوبئة والأمراض .

والرسول (ﷺ) يؤكد على ضرورة اتخاذ الزواج سبيلاً لتهذيب الغريزة الجنسية وإشباعها ، حيث قال :

- **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ)**[٦].
- **(فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا)**[٧].

٤. الوظيفة الإنجابية

---

(١) رواه مسلم ، برقم ٤٨٠٣.

(٢) الحسن ، إحسان محمد ، نفس المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) الروم : ٢١ .

(٤) رواه مسلم ، برقم ٢٦٦٨.

(٥) صقر، عطية الأسرة تحت رعاية الإسلام ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، ج١ ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص١٠٢.

(٦) رواه مسلم ، برقم ٢٤٨٥.

(٧) رواه الترمذي ، برقم ١٠٧٨ .

أكد الرسول (ﷺ) على المؤمنين بأهمية حضور قصدية الإنجاب عند الزواج لتحقيق نمو مستمر لمجتمعهم ، وتأمين تكاثره التدريجي وصيانته من الانقراض ، فقال : **(تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ)**[١].

إن العلاقة الزوجية تؤدي عادةً إلى إنجاب الأطفال ، وهؤلاء تجب رعايتهم وحمايتهم لإيصالهم إلى النضج الجسمي والاجتماعي لما يؤهلهما للتفاعل الناجح مع باقي أفراد المجتمع[٢]. سعى الإسلام إلى تعزيز غريزة الأمومة والأبوة الموجود لدى الأفراد ، فضلاً عن العادات والتقاليد الاجتماعية التي تساهم في تعزيز تلك الوظيفة ، وتعتز بعض الأسر بكثرة الإنجاب ولا سيما ما يعزز مكانتها الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع .

٥. الوظيفة الاقتصادية

تعدّ الوظيفة الاقتصادية من الوظائف الأساسية التي تقوم بها الأسرة لإشباع حاجات أفرادها من مأكل وملبس ومأوى ، وأعدّ الإسلام تلك الوظيفة من الوظائف الأساسية للأسرة ، وتكون مهمة الأب ولا سيما ومن يهمل ذلك فقد ارتكب إثماً ، فقال رسول الله (ﷺ) **(كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ)**[٣]، وقال أيضاً : **(إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً)**[٤]. وكما قال : **(مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ)**[٥].

وفي ذلك الحديث إشارة إلى من قام برعاية بنتين أو أختين فأنفق عليهما وأحسن أدبهما جعله الله يوم القيامة بجوار الرسول (ﷺ) في الجنة وتلك منزلة متقدمة .

تلك هي أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة والتي أعدّها الإسلام الغايات والأهداف الأساسية من تكوينها .

مراحل تكوين الجماعة الاجتماعية الأسرية في الإسلام

---

(١) رواه أبي داؤد ، برقم ١٧٥٤ .

(٢) العاني ، عبداللطيف عبدالحميد "الدكتور" ، ومليحة عوني ومعن خليل عمر ، المدخل إلى علم الاجتماع، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، بلا سنة طبع ، ص ٢٠٩ .

(٣) رواه أبي داؤد ، برقم ١٤٤٢ .

(٤) رواه مسلم ، برقم ١٦٦٩ .

(٥) رواه الترمذي ، برقم ١٨٣٧ .

بعد أن تناولنا بشكلٍ مقتضب الوظائف الرئيسة للجماعة الاجتماعية الأسرية لا بد من التأكيد على أسس ومراحل تكوين هذه الجماعة ، حيث وضع الإسلام نظاماً لتكوين هذه الجماعة ، آخذاً بالاعتبار الوظائف الأساسية المرجوة منها .

بحيث تكون ركيزة راسخة ونواة فاعلة في بناء المجتمع الإسلامي . وعبر مراحل تكوين الأسرة من الاختيار إلى الزواج والإنجاب والرعاية والتنشئة حتى تصل إلى النهاية . لكن مرحلة الاختيار في الإسلام موسومة بخطورة كبيرة لأنه تعتمد عليها كل الخطوات اللاحقة . فيرشد الرسول (ﷺ) على أن اختيار المرأة يكون ما على جمالها أو لمالها أو لنسبها أو لدينها ، وأوصى الرسول (ﷺ) اختيار ذات الدين لما له من أثر في التوجيه وغرس خشية الله في القلب . وينبه إلى إتمام ذلك بأن تكون المختارة ودوداً ولوداً بكراً .

قال الرسول (ﷺ) :

- **(تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)**[1].
- **(فَقَالَ تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ ....)**[2].
- قال (ﷺ) لجابر **(هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ)**[3].

ومن هنا نلاحظ أن الاختيار مرتبط بمهمة عبادية أساساً ، دون إهمال الجوانب النفسية والفسيولوجية والعاطفية . فالمؤمن حقيقةً متوازن نفسياً واجتماعياً .

واشترط الإسلام في الاختيار اجتناب المحرمات تلافياً لعدم التوافق الأسري بسبب الدين أو العفة أو القرابة ، والمحرمات في الإسلام أربع فئات :

١. تحريم المشركات : لقوله تعالى : **﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾** [4].

٢. تحريم المقيمات على الزنا : **﴿ وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**[5].

٣. تحريم قرابة النسب : **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ**

---

(١) رواه البخاري ، برقم ٤٧٠٠.

(٢) رواه أبو داؤد ، برقم ١٧٥٤ .

(٣) رواه البخاري ، برقم ، ٢٧٤٥ .

(٤) البقرة : ٢٢.

(٥) النور : ٣ .

تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١].

٤. تحريم قرابة الرضاعة ، فالإسلام يحرم بسبب الرضاعة ما يحرم النسب .

والمرحلة الثانية هي الخطبة تقع بين التفكير والاختيار ، وبين عقد الزواج والخطبة في الإسلام ليست لها إجراءات معينة[٢] وهي أن يتقدم رجل لأهل فتاة يطلب الزواج منها ، ويستحسن أن يراها من غير أن يجلس معها في خلوة . فإنه يروى في ذلك أن المغيرة ابن شعبة خطب امرأة ، وأراد أن يتزوجها ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أنظرت إليها ؟ قال : لا ، فقال النبي (ﷺ) : **(انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا)**[٣].

واشترط الإسلام في الخطبة عدة شروط منها :

- أن تكون المرأة ممن يحل زواجها للرجل وقت الخطبة ، فلا تصح خطبة متزوجة .كما لا تصح خطبة امرأة مطلقة لم تنته عدتها ، وكذلك امرأة توفى عنها زوجها دون إكمال عدتها .
- ويشترط في الخطبة أيضاً ألاّ تكون المرأة مخطوبة ولم يعلن رفض خطبة الخاطب الذي سبق إليها . لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى النزاع بين المسلمين[٤]. قال الرسول (ﷺ) **(الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ)**[٥].

والخطبة ليست ملزمة لأي من الطرفين ، فللرجل أن يعدل عن خطبته إذا رأى ما يشين ، وللمرأة أن تعدل عن قبوله كذلك[٦] وذلك لأن حرية الزواج يجب أن تكون مكفولة له مما يجعل من الزواج في المستقبل يؤدي إلى حياة سعيدة وتكون مثمرة .

والمرحلة الثالثة : مرحلة التعاقد والزواج ، وتمثل بداية الحياة الزوجية المشتركة . وفي هذه المرحلة تتبلور مراكز وأدوار جديدة يترتب عليها حقوق وواجبات متبادلة . وتمثل هذه

---

(١) النساء : ٢٣.

(٢) صقر ، عطية ، الأسرة تحت رعاية الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٢٦١.

(٣) سنن الترمذي ، كتاب النكاح ، رقم الحديث ١٠٠٧ .

(٤) أبو زهرة ، محمد ، تنظيم الإسلام للمجتمع ، دار الفكر العربي ، بلا مكان طبع ولا سنة ، ص ٧١.

(٥) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، رقم الحديث ٢٥٣٦.

(٦) أبو زهرة ، محمد ، تنظيم الإسلام للمجتمع ، مصدر سابق ، ص ٧١.

المرحلة بداية تكوين الجماعة الاجتماعية الأولية "الأسرة" ، حيث تبدأ العلاقة المباشرة بين الزوجين على كافة المستويات ، جنسياً ونفسياً واقتصادياً وعبادياً.

والإسلام نظّم هذه العلاقة بشكلٍ متوازن ، وجعلها ذات طابع تعاوني وإيثاري ، فحق لأي منهما يعتبر واجباً لازم الأداء على لآخر . والأصل في العلاقات الأسرية أن تقوم على التفاهم والمودة والرحمة . وتبين الأحاديث التالية لنا كيفية الموازنة بين أطراف العلاقة الأسرية :

- قال الرسول (ﷺ) **(إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ)**[١].
- **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ)**[٢].
- **(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا)**[٣].
- **(خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)**[٤].
- **(إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق)**[٥].

إن الأحاديث النبوية التي أشارت إلى القوامة ودرجة القوامة في الأسرة ليست درجة رئاسية ، إذ لا يوجد في هذه الجماعة الاجتماعية رئيس ومرؤوس ، بل هي مسؤولية لا بد أن تناط بأحد الزوجين . والقوامة والطاعة تشير إلى الإدارة والتوجيه الذي لا بد وأن تراعى فيه المصلحة الأسرية المشتركة ، فعلى المرأة إطاعة زوجها لما فيه مصلحة الأسرة ، وعلى الرجل طاعة الله في أهله ورعايتهم[٦] .

وأما مرحلة الإنجاب ، فإن الإسلام وضع لها منهج متكامل ، تبدأ من مرحلة انعقاد النطفة إلى مرحلة الحمل إلى الولادة فالرضاعة ، ثم مرحلة الطفولة فالمراهقة والبلوغ .

ولعل كل الأهمية التي أولاها الإسلام للأسرة في المراحل السابقة الهدف منها تهيئتها للقيام بالواجب الكبير الملقى على عاتقها ، ألاّ وهو تربية أجيال مؤمنة يكون لها دور فاعل في بناء المجتمع وعمارة الأرض .

---

(١) رواه أحمد ، برقم ١٥٧٣ .

(٢) رواه الترمذي ، برقم ١٠٨١ .

(٣) رواه البخاري ، برقم ٨٤٤ .

(٤) رواه أبن ماجة ، برقم ١٩٦٧ .

(٥) رواه احمد ، برقم ٢٣٢٩٠ .

(٦) الصابوني ، عبدالرحمن ، نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٣٥ .

المبحث الثاني

الأقارب

جماعة الأقارب قامت على أساس صلة القرابة ، وهي علاقة اجتماعية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة[١]. لقد اكتسبت جماعة الأقارب أهمية اجتماعية كبيرة في الفكر الاجتماعي الإسلامي ، بحيث قرنت هذه العلاقة بالجانب العبادي "قاطع الرحم" تتقطع صلته بالله تعالى .

إنما يتبع ذلك من كونها صلة الوصل الأساسية لتشكيل قاعدة الهرم الاجتماعي التي تربط جماعة المواجهة الأولى من حيث النسب "أب ، أم ، أولاد" . مع جماعة المواجهة الثانية من حيث النسب "أعمام ، أخوال"[٢]. وتلعب صلة الرحم دوراً حيوياً وفعالاً في تنشئة الأفراد والمحافظة على تضامن لجماعة وتوازنها الاجتماعي[٣]، فبمقدار قوة هذه الرابطة ونمط تنظيم هذه الصلة يتحقق التوازن الاجتماعي في المجتمع.

فإذا كانت "الأسرة" تعدّ الجماعة الاجتماعية ذات الأهمية الأولى في الفكر الاجتماعي، فإن جماعة الأقارب تليها من حيث سلم الأهمية . وسعى الإسلام إلى تنظيم أولويات هذه الجماعة لتأخذ مستويات متنوعة . فالإسلام يلغي مفهوم التعصب القبلي الذي يحكم هذه الجماعة لما يرافقها من قيم سلبية يبنى عليها سلوك اجتماعي خاطئ . فالإسلام يؤكد على أن الله جعل الناس شعوباً وقبائل من أجل التعارف والتفاعل الاجتماعي المثمر وليس من أجل التعصب والإحساس بالعلو والتكبر .

الإسلام لا يحظر حب الإنسان لقومه شريطة ألاّ يجد الإنسان شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين . ومن ثمّ نجد أن الإسلام قد استثمر هذه العاطفة في توظيفها لمبادئ الخير[٤]. فقد حاول الإسلام امتصاص هذه العاطفة وإبدالها بعاطفة أخوة الإيمان . وهذا فيما يتصل بجماعة الأقارب من امتداداتها الواسعة على مستوى القبلية والعشرة . أما من حيث امتداداتها الضيقة

---

(١) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور" ، دور العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠٠١ ، ص ١٩ .

(٢) البستاني ، محمود "الدكتور" ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ .

(٣) عمر ، معن خليل "الدكتور" ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٧٥ .

(٤) البستاني ، محمود "الدكتور" ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ١٩٤ .

على مستوى الأقارب من الدرجة الأولى نجد أن الفكر الاجتماعي الإسلامي منحها فرصاً بالغة الأهمية وسعى لإدامتها لما لها من عظيم الأثر في تنامي الألفة والمودة بين أبناء المجتمع .

وأعد الإسلام قطيعة الرحم في مقدمة الكبائر من الذنوب لها عظيم الأثر الذي تتركه على وحدة الجماعة وتماسكها . قال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** ﴾[1]. وحذر من قطيعة الرحم ، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾[2].

وورد عن رسول الله (ﷺ) مجموعة من الأحاديث تؤكد على أهمية صلة الرحم في الدنيا والآخرة منها :

- **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)**[3].
- **(قَالَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)**[4].
- **(إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ)**[5].
- **(قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ)**[6].
- **(إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ وَلَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)**[7].

ونجد في هذه الأحاديث النبوية الشريفة ، أنها ترتب جزاءات في الحياة الدنيا ، فضلاً عن الجزاءات الأخروية على قاطع الرحم ، لما لتلك صلة من أهمية بالغة على النسيج الاجتماعية في المجتمع . كأن يترتب على صلة الرحم في الدنيا مثلاً زيادة في العمر والرزق، بالإضافة إلى إدامة ذكره بين الناس حتى بعد وفاته . ويكشف لنا تعجيل جزء من العقوبة في الحياة الدنيا مدى عظم الأهمية التي أضفاها الإسلام على صلة الرحم ، لما لها من أهمية بالغة في إشاعة المودة والآلفة بين الجماعة القرابية وتعزيز عملية التضامن الاجتماعي من خلال

---

(١) النساء :١ .

(٢) محمد : ٢٢ .

(٣) رواه البخاري ، برقم ١٩٢٥.

(٤) رواه أحمد ، برقم ١١٥٠ .

(٥) رواه البخاري ، برقم ٥٥٢٩ .

(٦) رواه الترمذي ، برقم ١٨٣٠.

(٧) رواه أحمد ، برقم ٦٢٣٨ .

دورها الفاعل في امتصاص التوترات التي قد تحدث بسبب إرهاصات الحياة اليومية من منافسة وتعارض المصالح أحياناً ، بحيث تنمي عملية الاندماج الاجتماعي وتقلل العزلة وتعزز عملية التوازن الاجتماعي والعبادي .

المبحث الثالث
جماعة الجوار

لاحظنا في المبحثين السابقين كيف أن الإسلام اعتمد أقرب الجذور إلى الذات البشرية ألاّ وهو النسب . حيث عمد إلى استثمار هذا الجذر القرابي في إنتاج علاقات اجتماعية تفاعلية لتحقيق التوازن الاجتماعي المطلوب .

وفي هذا المبحث نتناول عنصر آخر سعى الإسلام إلى اعتماده لتعزيز آصرة الترابط الاجتماعي للجماعات المحلية(*) وهو عنصر المكان . فوحدة المكان هو اقرب الخطوط لربط جماعة المواجهة الثانية (جماعة الجيران) بعد ربط جماعة المواجهة الأولى عن طريق النسب وهي الأسرة(١).

إن شبكة العلاقات الاجتماعية التي يسعى الإسلام إلى نسجها ، والتي تبدأ من الأقرب إلى الأبعد فالأبعد ، تبدأ من دائرة الجوار ثم تتسع لتشمل المجتمع كله .

فمتى ذكر الإحسان إلى الأقارب ، ذكر معه الإحسان إلى الجار في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ**﴾ (٢).

والمقصود بالجار ذي القربى هو الجار من الأقارب ، أما الجار الجنب ، فهو الذي يجاور في منزل أو زراعة دون رحم يربط بينه وبين جاره إلاّ صلة الجوار ، والصاحب بالجنب هو الرقيق في الطريق أو المجاور في جلسة(٣).

ولقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قسم الجيران إلى ثلاثة أقسام :

(*) الجماعة المحلية : مجموعة من الأسر تقطن مكاناً معيناً تتميز بدرجة من الترابط الاجتماعي قائمة على أساس دائرة المكان وعاطفة الجماعة .

(١) اليستاني ، محمود ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ١٩٧.

(٢) النساء : ٣٦ .

(٣) شلبي ، أحمد ، الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٢٩٤.

أولاً. جار ذو رحم مسلم ، له حق الإسلام ، وحق الرحم ، وحق الجوار .
ثانياً. جار ذو رحم غير مسلم ، له حق الرحم ، وحق الجوار .
ثالثاً. جار ليس ذا رحم وليس مسلماً ، له حق الجوار[١].

إن المفهوم الاجتماعي للجار في الفكر الاجتماعي الإسلامي يأخذ بعداً جغرافياً ليشمل الجماعة المحلية ، تحديد جماعة الجيران بأربعين جاراً[٢]. يحيط بالجار عشرة من كل جانب من الجوانب الأربع ، يوضح لنا هدف الإسلام في خلق شبكة من العلاقات الاجتماعية لتغطية الجماعة المحلية (المحلة) تقوم على أساس التكافل الاجتماعي ، مما يجعلها جماعة متعاونة متآزرة .

لقد أوصى الرسول (ﷺ) برعايته الجار من خلال مجموعة من الأحاديث الشريفة ، منها:

- **(مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)**[٣].
- وقال أيضاً :

قَالَ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ)*[٤].

- **(قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)**[٥].
- **(إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدَكُمْ جَارُهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ فَلَا يَمْنَعْهُ)**[٦].
- **(ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ... وَرَجُلٌ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ وَيَحْتَسِبُهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ ....)**[٧].
- **(الْجَارُ أَحَقُّ بِشُفْعَةِ جَارِهِ يُنْتَظَرُ بِهَا وَإِنْ كَانَ غَائِبًا إِذَا كَانَ طَرِيقُهُمَا وَاحِدًا)**[٨].

---

(١) أبو زهرة ، محمد ، تنظيم الإسلام للمجتمع ، مصدر سابق ، ص ١٦٧ .
(٢) البستاني ، محمود ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ١٩٨.
(٣) رواه البخاري ، برقم ٥٥٥٦ .
(*) البوائق : الشرور والمصائب .
(٤) رواه البخاري ، برقم ٥٥٥٧ .
(٥) رواه مسلم ، برقم٦٦.
(٦) رواه الترمذي ، برقم ١٢٧٣.
(٧) رواه أحمد ،برقم ٢٠٥٥٠ .
(٨) رواه أبو داؤد ، برقم ٣٠٥٣.

- **(جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بِالدَّارِ وَقَالَ الْجَارُ أَحَقُّ بِسَقَبِهِ)**[١].
- **(وعن أبي ذر قال : إِنَّ خَلِيلِي (ﷺ)أَوْصَانِي إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ)**[٢].
- **(قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ هِيَ فِي النَّارِ)** [٣].
- **(قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ)**[٤].
- **(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ اذْهَبْ فَاصْبِرْ فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ)**[٥].

ونجد في هذه الأحاديث النبوية تبيان للعديد من الأساليب والمواقف التي لا بد من اعتمادها من أجل جيرة سوية ، فضلاً عن أنها إشارة إلى المكانة الكبيرة التي أولاها الإسلام للجيرة ، حيث قرن الإحسان إلى الجار بالإيمان . وذلك حث على ضرورة مبادرة الجار بمساعدة جاره والأخذ بيده إلى طريق الخير والفلاح ، ومساعدة الجار لجاره إنما تأخذ عدة مجالات منها المساعدة المادية التي يمكن أن يقدمها الجار الميسور لجاره الفقير والمحتاج ، ومنها المساعدة الاجتماعية التي تأخذ شكل الحفاظ على سمعة الجار واحترامه وصيانة شرفه وكرامته وحمايته من الأخطار التي قد يتعرض لها ، ومشاركة أفراحه وأتراحه[٦]. فضلاً عن الصبر على أذاه .

ونجد أن الرسول (ﷺ) اتبع أسلوباً نفسياً اجتماعياً عملياً في كف أذى الجار المؤذي عن جاره ، حيث طلب من الرجل الذي اشتكى جاره الصبر على جاره مرة ومرتين وثلاثة ، وفي حالة عدم الكف ، طلب منه أن يطرح أمتعته في الطريق فإذا سأله الناس . أخبرهم عن أذى جاره فلان له ، وهنا يتكون رأي عام مناهض للجار المؤذي ، حيث يقوم الناس باللوم والتوبيخ والتقريع

---

(١) رواه الترمذي ، برقم١٢٩١.

(٢) رواه مسلم ، برقم ٤٧٥٩ .

(٣) رواه أحمد ، برقم ٩٢٩٨ .

(٤) رواه أبو داؤد ، برقم ٤٤٨٦.

(٥) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور" ، علم الاجتماع الديني ، دراسة تحليلية حول العلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية والمجتمع ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص ١٩١ .

(٦) الأسمر ، أحمد رجب ، النبي المربي ، مصدر سابق ، ص ٢٢٢ .

فينكشف أمر الجار المؤذي ويضيق عليه الأمر ، مما يدفعه إلى الإسراع لإرضاء جاره ويتعهد ألاّ يعود إلى أذاه.

ومن الجدير بالملاحظة أن التكافل الاجتماعي بين الجيران يعتمد على طرفي العلاقة ، فعملية الأخذ والعطاء على صعيد الجيرة يقوي العلاقات الاجتماعية بين الجيران ويجعلها حميمية مما ينمي التضامن الاجتماعي في المجتمع المحلي ويعزز وحدته[١].

ومما نخلص إليه في هذا المبحث أن تخطيطياً اجتماعياُ واقتصادياً إسلامياً قد رسم بدقة من أجل خلق نموذج من العلاقات الاجتماعية الحميمة بين الجيران وامتصاص أي توتر فيما بينهم من أجل خلق مجتمع محلي متكافل متضامن يكون نواة فاعلة في بناء المجتمع الإسلامي .

(١) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور" ، علم الاجتماع الديني ، مدر سابق ، ص ١٩٢ .

المبحث الرابع

جماعة الأصدقاء

انتقل الإسلام بعد جماعة الجوار إلى جماعة أعم وأشمل ، ألاّ وهي جماعة الأصدقاء وهذه الجماعة تقوم على رابطة العاطفة . والتي هي من أقرب الجذور إلى الذات البشرية ، وتغطي هذه الرابطة مساحة المجتمع ، لأن لكل مرحلة عمرية أقرانه وزملائه وأصدقائه الذين يشترك معهم في الميول والرغبات . فجماعة الأصدقاء تشترك في عواطف وأهداف متماثلة يتحقق من خلالها قدر من التوازن الاجتماعي .

ولقد عمد الإسلام إلى استثمار البعد العاطفي وتوظيفه عبادياً ، من خلال تجسيد العلاقات العبادية من حب وألفة وتعاون وتواصل لتحقيق الإشباع العاطفي وتجسيد المسؤولية العبادية[١].

وحث الرسول (ﷺ) على كسب الأصدقاء وإلى مصاحبة الأخيار من أهل العفة والصدق والأمانة . ويقول الرسول (ﷺ) (أن المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)[٢]. فالمؤمن يصاحب ويصادق ويألف الناس ويألفونه ، وذلك نابع من إيمانه أولاً ، وفضلاً عن أنه السبيل إلى تحقيق أغراضه وأهدافه في الحياة ، حيث أشار علماء الاجتماع إلى أن هناك ثلاثة طرق يتبعها الأفراد لتحقيق أغراضهم ، هي :

١. أن يسعى الناس لتحقيق أغراضهم متضامنين وعلى أساس تعاوني ، بحيث يسهم كل منهم بطريقة ما في تحقيق أغراض أقرانه .
٢. أن يعملوا مستقلين ، بأن يحاول كل فرد أن يسلك سبيله دون أن يفكر في أقرانه أو في أعمالهم .
٣. أن يحقق الناس أغراضهم في الحياة عن طريق الصراع بعضهم مع البعض بأن يحاول كل منهم أن يغتصب من الآخرين ما يرى أنه ذو قيمة كبيرة بالنسبة له[٣].

---

(١) البستاني ، محمود "الدكتور" ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٢٠١ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ، برقم ٥٩ .

(٣) ماكيفر ، د. م. وشارلز بيدج ، المجتمع ، ترجمة السيد محمد العزاوي وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، ج١ ، ١٩٧١ ، ص ١٩ .

ولقد عدّ الإسلام الأسلوب الأول هو المنهج السليم لتحقيق التوازن الاجتماعي في المجتمع . ولهذا حث الإسلام على تكوين الأصدقاء ، وأعد ذلك مسؤولية عبادية . قال النبي (ﷺ) **(خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ...)**[١].

أما المنهج الثاني لم يحث عليه ، لكنه يمكن أن يكون مقبولاً عند الضرورة لأن المسلم ينبغي أن "**لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً**" كما قال رسول الله (ﷺ)[٢].

(فالوحدة خير من جليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة ، وإملاء الخير خير من السكوت ، والسكوت خير من إملاء الشر) أو كما قال النبي (ﷺ)[٣].

لكن الإسلام نهى عن المنهج الثالث لأنه يتنافى مع مبادئ الإسلام في الحق والعدل .

ودعا الإسلام إلى دعم شبكة العلاقات الاجتماعية عن طريق تشكيل جماعة الأصدقاء ورسم طرائق للتعامل لتتعزز الألفة والمودة فيما بينهم .

ونجد ذلك من خلال الأحاديث النبوية الآتية :

- **(قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ)**[٤].
- **(إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ)**[٥].
- **(إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ)**[٦].
- **(من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه)**[٧].
- **(إن حسن العهد من الإيمان)**[٨].
- **(مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)**[٩].
- **(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)**[١٠].

---

(١) رواه الترمذي ،برقم ١٨٦٧.
(٢) رواه الترمذي ، برقم ١٩٣٠ .
(٣) الحاكم ، المستدرك ، رقم الحديث ٥٤٦٦.
(٤) رواه الترمذي ،برقم ٢٣١٢.
(٥) رواه الترمذي ، برقم ٢٣١٥.
(٦) رواه أبو داؤد ،برقم ٤٤٥٩ .
(٧) الحاكم ، المستدرك ، رقم الحديث ٧٢٩٥ .
(٨) الحاكم ، المستدرك ، رقم الحديث ٤٠ .
(٩) رواه مسلم ، برقم ٤٦٥٨.
(١٠) رواه البخاري ، برقم ١٢ .

- **(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)**[1].
- **(الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ...)**[2].
- **(ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ)**[3].
- **(مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ)**[4].
- **(مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ** ** **وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً)**[5].

وفي هذا الحديث دعوة لمصاحبة الأخيار والنهي عن مجالسة ومخالطة الأشرار ، فمصاحبة الأخيار تجلب الخير ، وهي أدعى إلى الاقتداء بهم والتأسي بأقوالهم وأفعالهم . لذلك يضع الرسول الكريم (ﷺ) أسس هذه الصحبة ويحث عليها في الأحاديث سابقة الذكر . يؤكد لنا أهمية هذه الجماعة في ميدان التوازن الاجتماعي والعبادي .

على الرغم من البعد العبادي هو المطلوب الأول في أية علاقة اجتماعية إسلامياً . إلاّ أن البعد العاطفي يظل وسيلة لتحقيق ما هو عبادي واجتماعي على حدٍ سواء .

والنسق الاجتماعي الإسلامي تبدو ملامحه واضحة جلية ، وهو بناء منطقي ويقوم على أسس منطقية واقعية تعتمد على مسلمات تنبثق من أعماق الذات البشرية والانطلاق بها إلى آفاق اجتماعية رحبة لتحقيق التوازن العبادي والاجتماعي .

ومن يتأمل ما ذكر من آيات وأحاديث نبوية في هذه المباحث الأربعة يلاحظ أن الإسلام دعا إلى إقامة شبكة من العلاقات الاجتماعية من خلال ربط النسيج الاجتماعي لهذه الجماعات ، وتمتين خطوطها ، ورسم طرائق متنوعة وأساليب مختلفة لتنظيمها ، بحيث تتكفل هذه الطرائق والأساليب بترسيخ عملية التكامل الاجتماعي فيما بينها ، وجعلها ذات طابع تعاوني وإيثاري . ومن ثمّ استثمارها في عملية تعزيز عملية التوازن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي . فضلاً عن أننا نلاحظ بأن هناك تخطيطاً اجتماعياً قد رسم بدقه من أجل امتصاص التوتر وخلق توازن عبادي اجتماعي ونفسي للذات المؤمنة .

---

(١) رواه الترمذي ،برقم ٢٣٠٠ .

(٢) رواه أبو داؤد ، برقم ٤٤٦٢.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ، برقم ٢٩ .

(٤) رواه الترمذي ، برقم ٢٤٢٩.

(**) يحذيك : يعطيك .

(٥) رواه البخاري ، برقم ٥١٠٨.

المبحث الخامس

مظاهر الجماعة في شعائر الإسلام

لقد سعى الإسلام إلى تثبيت دعائم الجماعة ، فهي جوهر المنظور الإسلامي ، وهي روح تسري في جميع مفاصل الكيان الاجتماعي . ولم يترك الإسلام وسيلة من وسائل الحث على الجماعة في نظمه وشعائره إلاّ وتبناها على أساس هذه الجماعية .

لهذا نجد أن كل الشعائر الدينية تساهم في تكوين الجماعة والحث عليها والتمسك بها تعميقاً للأساس العبادي وتنمية لروح الألفة والتآلف بين أفراد المجتمع .

الصلاة والجماعة

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام . أولاها الإسلام منزلة خاصة من بين أركانه الخمسة . وقد جعل إقامتها أول عمل بعد الإيمان بالله وبرسوله . فرضت خمس مرات في اليوم ، يتجدد فيها التذكر والخشية ، وفيها إعداد تربوي ونفسي وخلقي ، تنمي الأخوة في الجماعات وتحث على وحدة الصف والنظام وتعزيز الإخاء والمساواة[١].

لقد حثّ الإسلام على صلاة الجماعة ، وفضلها على صلاة الفرد . قال رسول الله (ﷺ) **(صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)**[٢]. ودعا الرسول (ﷺ) إلى التزام الجماعة ، فقال :

- **(....مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ ...)**[٣].
- **(...عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ)**[٤].
- **(...مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)**[٥].
- **(...مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ..)**[٦].
- **(...وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ..)**[٧].

---

(١) عفيف ، محمد صادق "الدكتور" ، الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ١١٣.

(٢) رواه البخاري ، برقم ٦٠٩ .

(٣) رواه الترمذي ، برقم ٢٠٩١ .

(٤) رواه النسائي ، برقم ٨٣٨ .

(٥) رواه البخاري ، برقم ٦٥٣١.

(٦) رواه الترمذي ، برقم ٢٧٩٠ .

(٧) رواه الترمذي ، برقم ٢٠٩٣ .

فلو تصورنا أن جماعة ما تلتقي يومياً خمس مرات لأداء مناسك عبادية في مكان طاهر وهو المسجد ، وحينما ينتظم الناس في صفوف منسقة ، يستقبلون بوجوههم القبلة ، يؤمهم واحد من المتميزين عبادياً حينئذٍ فإن الإحساس بوحدة الجماعة المصلية يكون على أشده ، ويسهم في تعميق الإحساس بوحدة المجتمع والأمة الإسلامية[١].

وصلاة الجمعة من كل أسبوع ، وصلاة العيدين ، وصلاة الجنازة ، وصلاة الاستسقاء، حيث يلتقي المسلمون في تلك الصلوات الجامعة ، ويتفقد بعضهم البعض ، فيتواصلوا ويتراحموا ويتعاونوا مما يساعدهم في تعزيز وحدتهم وتماسكهم .

الزكاة والصدقة والروح الجماعية

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام . وهي دعامة أساسية من دعائم الجماعة الإسلامية . وهي فرضت على كل مسلم ذكر أو أنثى ، مالك المقدار معين من المال مضى عليه الحول وهو في ملك صاحبه . والحكمة الأولى من الزكاة وهي تعزيز التكافل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء من المسلمين[٢]. والزكاة والصدقة تطهر الذات البشرية من واحد من أهم أمراضها ، وهي النزعة إلى اكتناز الأموال وادخارها والاحتكار التي تساهم في بذر بذور الفرقة بين الجماعة الاجتماعية .

والترغيب في الإنفاق والتوسع في العطاء وبذل الخير والمعروف هي سمة من سمات العقيدة الإسلامية لترسيخ التكامل والتكافل لتعزيز وحدة الجماعة وتنمية الألفة والمودة بينهم[٣].

ووضع الإسلام آداباً للزكاة والصدقة لكي تتحقق الحكمة الأساسية من فرضها كونها وسيلة لتحقيق التكامل وتعزيز التماسك والتضامن بين أفراد الجماعة المسلمة ، منها :

١. ينبغي أن يكون العطاء مبرءاً ، من شبهة المن والأذى والازدراء عند تقديمه لمستحقه ، بل يجب أن يصاحب ذلك المودة والرحمة . قال سبحانه : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾**[٤].

---

(١) البستاني ، محمود "الدكتور" ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٢١٤ .

(٢) عفيف ، محمد صادق ، الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ١٢٠ .

(٣) إمام ، زكريا بشير ، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ٥٥ .

(٤) البقرة : ٢٦٤.

٢. ينبغي أن يكون خالصاً لوجه الله ، مبرءاً من أي غرض دنيوي كالجزاء والشكر . قال سبحانه: **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾**(١).

٣. أن لا يكون العطاء علنا إلاّ لحكمة ، وألاّ تصاحبه الدعاية الكاذبة ، وإنما ينبغي أن تكون طي الكتمان(٢)، بحيث يتحقق حديث رسول الله (ﷺ) **(وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ)**(٣). وهذا يدل دلالة واضحة على جماعية هذه الفريضة، فهي سلوك اجتماعي ، فضلاً عن أنها عبادة .

الصوم والروح الجماعية

إن تعزيز الروح الجماعية وتقويتها هي أحد الأهداف الأساسية التي من أجلها شرع الصيام . فضلاً عن دوره في تهيب النفس وتعزيز إرادة الإنسان في تحمل أعباء الحياة اليومية وصعابها . فضلاً عن الإحساس بما يعانيه الفقراء والمحتاجين من وطأة الجوع والحرمان .

فتجود النفس وتقتدي بالرسول الكريم في رأفته ورحمته على الفقراء المساكين ، حيث كان (ﷺ) أجود ما يكون في شهر رمضان .

وهذه الفريضة تعزز روح الجماعة وتسهم في تعميق إحساس الجماعة بوحدتها وتسهم في تحقيق التوازن الاجتماعي والعبادي بشكل ملحوظ .

وكذلك الحج فهو أيضاً يساهم في تعزيز وحدة الجماعة ، لكن هدفه الأسمى هو وحدة الأمة ، حيث يتوجه المسلمون من كل حدب وصوب إلى بيت الله الحرام ، مرتدين زياً موحداً، ينتظمون في قوافل ، يمارسون مناسك متماثلة ، فيكون حينئذٍ الإحساس بوحدة الأمة من أبرز المعطيات الاجتماعية لهذه الفريضة .

وما يمكن أن نخلص إليه في هذا الفصل ومن خلال مباحثه الخمس أن تكوين الجماعة على أسس سليمة هو جوهر المنظور الإسلامي ، وإن الجماعية هي روح تسري في كل مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي . فكل شعائر الإسلام ونظمه تسعى لترسيخ وتعزيز هذه الروح الجماعية وتهذيب الذات الإنسانية من أنويتها والتي هي مصدر كل خطيئة أو أثم .

---

(١) الدهر : ٨-٩ .

(٢) عفيفي ، محمد صادق ، الفكر الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ١٣٢.

(٣) رواه البخاري ،برقم ١٣٣٤.

الفصل السابع

المجتمع في الفكر الاجتماعي الإسلامي

مقدمة تمهيدية

المبحث الأول : الفرد والجماعة في المجتمع الإسلامي .

المبحث الثاني : البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي .

المبحث الثالث : خصائص المجتمع الإسلامي وسماته .

مقدمة تمهيدية

المجتمع لغة مكان الاجتماع ، واصطلاحاً موضوع علم الاجتماع[١]، ويعرف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تكون في حالة اتصال دائم ، ولها أهداف ومصالح مشتركة متبادلة[٢]. وكما يعرف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة ومعترف بها وتتمسك بمجموعة من المبادئ والمفاهيم والقيم والروابط الاجتماعية والأهداف المشتركة التي أساسها اللغة والتاريخ والمصير المشترك الواحد[٣]. ويعتبر المجتمع أنموذجاً خاصاً لجماعة تتميز بنسق اجتماعي شامل ينطوي على جميع المؤسسات الاجتماعية الأساسية اللازمة لمواجهة الحاجات الإنسانية الضرورية[٤]. ويعرف المجتمع أيضاً بأنه نماذج معقدة وشائكة من الممارسات السلوكية والضوابط الخلقية والقيمية التي يعترف بها المجتمع وجاءت نتيجة صلاحيتها وفاعليتها في تمشية المجتمع والحفاظ على كيانه وتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة[٥].

والمجتمع على وفق المنظور الإسلامي تجمع بشري يؤمن بمنظومة عقائدية وفكرية تحدد طبيعة نظامهم الاجتماعي الذي يشكل سلوكهم ويصون كيانهم ويحقق أهدافهم القريبة والبعيدة.

ويميز الإسلام ثلاثة أنواع من المجتمعات على وفق موجهاتها العقائدية والفكرية ، وهي :

١. **المجتمع المؤمن** : وهو المجتمع الذي يؤمن بالله وملائكته ورسله ويمثل المجتمع الإسلامي.
٢. **المجتمعات الضالة** : وهي المجتمعات التي ضلت طريقها من خلال تحريف عقائدها ، وهي المجتمعات التي تفسر الدين تفسيراً غير صحيحاً .
٣. **المجتمعات الملحدة** : وهي المجتمعات الجاحدة لوجود الله وتؤمن بقانون الطبيعة والفلسفة المادية تمثل بعض المجتمعات الغربية والمجتمعات الوثنية .

وفي هذا الفصل نتناول ثلاثة مباحث ، في المبحث الأول نتناول العلاقة بين الفرد والجماعة في المجتمع الإسلامي ، أما المبحث الثاني فنتناول فيه المؤسساتية في المجتمع الإسلامي في مراحله الأولى ، وفي المبحث الثالث نتناول خصائص المجتمع وسماته وفق المنظور الإسلامي .

---

(١) مدكور ، إبراهيم وآخرون ، معجم العلوم الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص .
(٢) ميشيل ، ديتكن ، معجم علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٣٣٠ .
(٣) الحسن ، إحسان محمد ، موسوعة علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٥٥٠.
(٤) غيث ، محمد عاطف ، قاموس علم اجتماع ، مصدر سابق ، ص ٤٥٢ .
(٥) الحسن ، إحسان محمد ، موسوعة علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٥٥١ .

المبحث الأول

الفرد والجماعة في المجتمع الإسلامي

من المُسَّلم به أن الإنسان أصل الجماعة ، وأن وجود الإنسان كفرد يسبق وجوده كعضو في جماعة ، ويأخذ الإنسان دوره في الحياة ، فالخطاب الإلهي يوجه في البداية إلى الإنسان فرداً ، وعهد التكليف بالخلافة إلى الفرد أولاً ، ثم إلى النوع كجماعة ثانياً. فالمنظور الاجتماعي الإسلامي يرى الفرد من خلال وجوده الاجتماعي ، فالجماعية هي جوهر المنظور الإسلامي ، وهي روح تسري في جميع مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي .

فالنظام الاجتماعي الإسلامي يقوم على الجماعية في كل شيء ، ولكن هذه الجماعية ليست على حساب الفرد ، فهي لا تلغي خصوصيته ولا تؤثر على امتلاكه زمام المبادرة وتحمل المسؤولية في تدبير شؤونه كلها ، فهي لا تؤثر إلاّ تأثيراً إيجابياً على نموه وتمتعه بكافة حقوقه[١] .

وفي هذا المبحث نتناول العلاقة بين الفرد والجماعة في المجتمع الإسلامي ، وكيف عني الإسلام بتوجيه الفرد لصيانة وحدة الجماعة وتماسكها ، ثم الاحتفاظ بشخصيته والجماعة من خلال التوازن والاعتدال .

الفرد والوجود الفردي في المجتمع الإسلامي

لو ترك الإنسان يمارس الحياة على طبيعته ويواجه أحداثها دون أن يلتزم بتوجيه معين لسار حتماً إلى غاية لا يتخلف عنها أبداً ، وهي أن يسعى لصالح نفسه فقط . وفي تصوره أو ذاته مركز هذه الحياة ، وكل ما فيها ينبغي أن يكون له وحده دون غيره . ونتيجة أنانيته هذه يسيطر عليه الخوف من أن يفلت شيء من يده ، ويخاصم غيره أشد الخصام على امتلاك متع الدنيا .

إذن عيشته تصبح خوف وحزن ونزاع وصراع وحياته قلق واضطراب لا طمأنينة فيها[٢] .

---

(١) إمام ، زكريا بشير ، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص ٦٠-٦١ .

(٢) البهي ، محمد ، الإسلام في حياة المسلم ، مصدر سابق ، ص ٢٤٩ .

وهذه مظاهر تحكّم الفردية في سلوك الإنسان والتي لا يرضاها الإسلام . حيث كان أساس دعوته تهذيب أنانية الإنسان وتحريره من سطوة شهواته . ويؤكد المنهج الإسلامي أن الإنسان أبن عقيدته ، فالعقيدة السليمة والإيمان الحقيقي له قدرة فائقة على تغيير النفوس[١]، وزرع الإيثار فيها بدلاً من الأثرة ، قال تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٢].

فالمؤمن بالله هو من أمن على نفسه الخوف ، وحال بينها وبين الهم والحزن ، وجنبها الخصومة والنزاع ، وهو المطمئن في سعيه ، وقال الرسول (ﷺ) (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**)[٣]، وقال (ﷺ) أيضاً (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)[٤]، وقال تعالى ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[٥].

وفي هذه الآية الكريمة وتلك الأحاديث النبوية تأكيد على قدرة الإيمان في عتق الذات البشرية من انويتها ، بحيث يكون همها الأساس تقوى الله فيما يودي ويجنب ما يضر مادياً كان أم معنوياً .

ومكانة الفرد في الإسلام تتناسب طريداً مع تقواه ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٦]، أي أن مكانته تتعلق بمستوى إيمانه وما يتبعه من سلوك ، وبمدى ما يتأصل في نفسه من مبادئ الإسلام وقيمه ويتصرف طبقاً لها ، فكلما كانت مبادئ الإسلام وقيمه راسخة في أفعاله وأقواله كلما كان متفوقاً على غيره في تكريم الله إياه[٧].

وما يؤكده الواقع أنه ليس لأي عامل من العوامل التي جاءت بها الحركات الاجتماعية مهما بلغت من الدقة والتنظيم والإحكام أثر أقوى وأشد فاعلية في توجيه البشر من الإيمان بالله،

---

(١) الجندي ، أنوار ، الإسلام والعالم المعاصر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٣٢٥.

(٢) الحشر : ٩ .

(٣) رواه البخاري ، برقم ١٢ ورواه الترمذي ، برقم ٢٤٣٩ .

(٤) رواه الترمذي ، برقم ١٤ .

(٥) التوبة : ٢٤ .

(٦) الحجرات : ١٣.

(٧) البهي ، محمد ، الإسلام في حياة المسلم ، مصدر سابق ، ص ٣٣٦ .

وإن كل العوامل التي أحلها البشر محل ذلك واعتبرها ذات أثر في حركات الأفراد والجماعات إنما تتفاوت من حيث القوة والضعف ، بمقدار ما بينها وبين الإيمان من المشابهة[١].

الإسلام يؤمن بالفرد وبوجوده الفردي ، ويسعى إلى تهذيب الفردية لتجنيب الفرد والجماعة والمجتمع ، مخاطرها والتي تتمثل بالخوف الدائم والتوتر والقلق وما ينجم عن ذلك من صراع . ودور الإسلام هو توجيه الفرد وتهذيب فرديته ، فهو يعترف بمالها من ميول ورغبات ولا يحاول إنكارها أو تجاهلها ، كما لا يحاول الإسلام العمل على خفاءها – لأن ليس وظيفته تبديل خلق الله ، وتحويل خصائصه ، وإنما هدفه توجيهها وتهذيبها عن طريق الإقناع والإيمان – على أن تحقق في حياتها الخير والسلام[٢].

لهذا يقر الإسلام ميل الإنسان إلى التملك والجماع والاجتماع ، وحب المعرفة والإطلاع ، ويحث على إشباعها ، لكن على وفق شروط تضمن التوازن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي .

الجماعية في المجتمع الإسلامي

إن فكرة الجماعة من القوة والصلابة في الفكر الاجتماعي الإسلامي ، بحيث لا يمكن تصور المسلم إلاّ عضواً في جماعة المسلمين . ولم يترك الإسلام وسيلة من وسائل الحث على تلك الجماعية ولا شعيرة من شعائره إلاّ وبناها على أساس هذه الجماعية ، فهي روح تسري في كل مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي[٣].

فالنظام الاجتماعي الإسلامي يقوم على الجماعية في كل شيء ، ولكن هذه الجماعية ليست على حساب الفرد ولا تؤثر إلاّ تأثيراً إيجابياً على نمو الفرد وتمتعه بحقوقه كافة[٤]. لقد قامت الجماعة في الفكر الاجتماعي الإسلامي على أصرة أخوة العقيدة والإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٥].

---

(١) الخطيب ، عمر عودة ، المسألة الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .

(٢) البهي ، محمد ، الإسلام في حياة المسلم ، مصدر سابق ، ص ٣٣٤ .

(٣) إمام ، زكريا بشير ، أصول الفكر الاجتماعي في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٥٢ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٦٠-٦١ .

(٥) الحجرات : ١٠ .

وعندما يصدر التوجيه للفرد والجماعة من منظومة عقائدية فكرياً وسلوكياً تكون غايتهما واحدة – فغاية حياة الفرد في الإسلام ، إنما هي غاية الجماعة بعينها – مما يؤدي إلى ظهور توافق اجتماعي عالٍ بينهما .

ولقد صاغ المنهج الإسلامي التوافق بين الفرد والجماعة صياغة روحية ونفسية وسلوكية ، وأقامه على قواعد راسخة من المبادئ والأحكام من خلال التشريع والتنظيم **(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه)**[١].

ركزّ الإسلام توجيهه وعنايته لتنمية شعور الأفراد بحق الجماعة وتمكينه من نفوسهم فهو السبيل الأمثل لخلق التوازن الاجتماعي ، فكلما تمكن الشعور بالجماعة من نفوس الأفراد، أعطى هؤلاء من أنفسهم وعملهم وتفكيرهم قسطاً يختلف في السعة لصالح جماعتهم ، وعلى وفق حجم ذلك في نفوسهم . فرعاية حق الغير – الآخر – هو المظهر الواضح لتمكن الشعور بمعنى الجماعة في نفوس أفرادها . فإذا راع الغني الفقير ووقر الصغير الكبير وعطف الكبير على الصغير ، وراع العمال حق أصحاب العمل ، وراع التجار حقوق المتعاملين معهم ، وراع الحاكم حقوق الأفراد وتمكن العدل أن يسود بين الجماعة ، قال الرسول (ﷺ) **(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)**[٢].

وكلما كانت الجماعة راعية لحقوق الأفراد ، ومؤمنة لهم على حرماتهم وحقوقهم ، كلما كان لهذه الرعاية أثرها في شعور الأفراد بجماعتهم ومجتمعهم . وتلك سنة كونية لنمو الجماعة ونجاحها[٣].

أما إذا ضعف شعور الأفراد بجماعتهم ، وطغت روح الفردية على نفوسهم وسيطر حب المنفعة الذاتية على تصرفاتهم وتوجيههم في الحياة ، ولم ترعَ حرمات الآخرين – نفر بعضهم من البعض ونما الخصام والنزاع وساد الصراع وتفرقت الجماعة .

لم يذهب الفكر الاجتماعي الإسلامي مذهب الذين أفنوا الفرد في المجتمع ولا الذين بالغوا بالفردية فأعطوا الفرد الاهتمام بلا حدود . وإنما يؤمن الإسلام بالاعتدال والتوازن بين الفردية والجماعية في طبيعته الإنسانية ... ويرى بأن هناك ترابطاً وثيقاً بين النزعتين وتفاعل مثمر ويتحركان معاً في توازن يحقق النفع ، ويدفع حركة المجتمع نحو البناء والتقدم[٤].

---

(١) رواه البخاري ، برقم ١٢.

(٢) رواه البخاري ، برقم ٨٤٤ ومسلم ، برقم ٣٤٠٨.

(٣) البهي ، محمد ، الإسلام في حياة المسلم ، نصدر سابق ، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) الخطيب ، عمر عودة ، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص ١٨٥.

فلا بد من إنسان متوازن في فرديته ، ومتوازن في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها وحينئذٍ يصبح المجتمع مكون من أشخاصاً حقيقيين لهم وجود واقعي ، متساندين.

آلية تهذيب الذات وتعزيز دور الجماعة

لأجل الخروج من دائرة "الذات" في التفكير ، والسلوك والإحساس إلى دائرة الاعتراف بالغير والتعاطف بين الناس وتبادل المصلحة بينهما . لا بد من إتباع ما يأتي :

١. تنمية الميل الاجتماعي في الطبيعة البشرية من خلال وحدة العقيدة وترسيخ الإيمان مما يخفف من حدة الأنانية وطغيان الذات . لأن الإيمان الحقيقي بالله ينقل الإنسان من مخالب الحياة المادية وتشابكها مع الذات إلى قيم عليا هي القيم الإنسانية في أرفع مستواها **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾**(١).

٢. من خلال العبادات والشعائر الإسلامية ، وهي تركز على الجماعية في أدائها وتسعى إلى تنمية روح الجماعة (صلاة – صوم – زكاة – حج) والتقليل من سلطة وسيادة الأنانية في النفس الإنسانية .

٣. إقامة الحدود الإسلامية التي ترمي إلى تحرره ومساعدته للقيام بدوره الفعّال وإلزامه سياسة التآخي والتآلف وعدم الإضرار بالآخرين ، ولم يكن القصد من إقامة الحدود والقهر والتشفي ، بل شرعت من أجل الحياة **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**(٢).

وهذا ما يمكن وصفه بآلية بناء الجماعة . أما عن آلية صيانة الجماعة والمحافظة عليها ، يمكن تقسيمها على محورين :

أولاً. صيانة الجماعة الاجتماعية من الضغوط الخارجية التي تستهدف عقيدتهم ووحدتهم ، قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾**(٣).

ثانياً. صيانة الجماعة الاجتماعية من الداخل ، وهي كما يأتي :

---

(١) الحشر : ٩ .

(٢) البقرة : ١٧٩ .

(٣) البقرة : ١٩٠ .

آ. تعزيز الولاء والإخلاص وتوثيق الروابط الاجتماعية بينهم ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

ب. تسوية الخلافات وفض النزاعات بين أفراد الجماعة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي. قال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[2].

ومما نخلص إليه هو أن الجماعية مظهر أساس من مظاهر الفكر الاجتماعي الإسلامي ، وهي العنصر الأساس في التوازن الاجتماعي وصيانة وحدة الجماعة وضمان تماسكها في مختلف أزمات الحياة وشدائدها .

---

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) الحجرات : ١٠ .

المبحث الثاني

البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي

لكل مجتمع بشري بنى ونظم اجتماعية أساسية تشكل هيكله وإطاره الخارجي وتحدد علاقات وممارسات وتفاعلات أعضائه وترسم نموذجاً جوهره الداخلي وعناصره المثالية والروحية التي تسبب تماسكه وديمومته ونموه وتطوره[١] وبنى ونظم المجتمع تكون على أشكال مختلفة تبعاً لطبيعة الأيديولوجية السائدة فيه ، والوظائف التي تقدمها للفرد والمجتمع .

ويعني اصطلاح البنية الاجتماعية العلاقات المتداخلة بين المراكز والأدوار الاجتماعية، وأن التفاعل الذي يقع بين الأفراد داخل النظام الاجتماعي إنما يعبر عنه من خلال المراكز والأدوار الاجتماعية التي يشغلونها ، لذا يمكن اعتبار الادوار الاجتماعية بمثابة الوحدات البنائية لتكوين المؤسسة ، والمؤسسات الاجتماعية ، والوحدات البنائية لتكوين البناء الاجتماعي[٢].

فالمنظور الإسلامي للمجتمع يولي الجانب العقائدي أهمية خاصة ، حيث تتأسس في كنفه القيم والمعايير الاجتماعية وتتحدد الأدوار التي تتكون منها المؤسسات الاجتماعية .

فهناك تلازم بين التصور الاعتقادي وطبيعة البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي. **(الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)**[٣]. فالمؤمن يتلقى موجهاته الفكرية والسلوكية من خلال العقيدة التي يؤمن بها . فتتأسس على ضوئها وانطلاقاً من مقولاتها التوجهات الفكرية والممارسات السلوكية في مجات الحياة المختلفة .

سنتناول في هذا المبحث بشكلٍ مقتضب القيم والمعايير الاجتماعية والأدوار الأساسية التي تتكون منها المؤسسات البنيوية في المجتمع الإسلامي .

أولاً. المؤسسة الدينية

المؤسسة الدينية ركناً مهماً وأساسياً من أركان البناء الاجتماعي ، لا بل يمكن القول بأنها المؤسسة التي تنظم بقية الأركان التي يتكون منها البناء الاجتماعي ، فهي المؤسسة التي تنظم الأسرة وعلاقات القرابة والزواج ، وتنظم الحياة الاقتصادية وتنميها لصالح الفرد والمجتمع ، وترسم معالم الحياة الثقافية في المجتمع ، وترسخ مبادئ الدين وقيمه وتعاليمه عند الأفراد

---

(١) الحسن، إحسان محمد "الدكتور"، البناء الاجتماعي والطبقية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٩.

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١١ .

(٣) رواه البخاري ، برقم ٤٥٩ .

والجماعات[١] ، فضلاً عن أن المؤسسة الدينية تنظم الحياة السياسية والعلاقة بين الحاكم والمحكوم على أسس ومبادئ الدين الحنيف .

ومن أول أشكال المؤسسة الدينية في المجتمع الإسلامي هو المسجد .

المسجد

ويعد المسجد المؤسسة البنيوية الأولى في البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي ، فهو مركزاً دينياً لممارسة الشعائر وأداء العبادات ، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحاتها المسلمون ، وتدار في باحاتها الندوات ، وتلقى على منبرها التعاليم والتوجيهات ، وهو دائرة سياسية عسكرية لتوجيه علاقات المجتمع في الداخل والخارج ، وهو مؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة[٢]، وتعزز انسجامهم الروحي والأخلاقي ، مما يؤدي إلى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ووحدتهم[٣].

كان بناء المسجد الخطوة الأولى على طريق بناء المجتمع الإسلامي ، فهو أداة لصهر المسلمين في وحدة عقائدية وفكرية وسلوكية . حينما يجتمع الناس في المسجد لعدة مرات في اليوم ، يؤدون شعائر واحدة ، ينتظمون في صفوف منسقة متراصة ، يؤمهم أحد المتميزين عبادياً **(أَقْـرَؤُهُمْ لِكِتَـابِ اللَّـهِ)**[٤]، يعمق هذا التجمع إحساسهم العبادي أولاً ، وثانياً يسهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية وتعميق إحساسهم وحدة الصف بكونهم كبناء مرصوص ، وتلك من أبرز المعطيات الاجتماعية للمسجد ، المتصلة بكيان المجتمع وبنائه الاجتماعي وبالشعور الجمعي الذي ينبثق من أداء هذه الشعائر .

ونهى الرسول (ﷺ) عن كل ما من شأنه أن يشتت انتباه المسلمين ويحول اهتمامهم عن الجوانب العبادية والاجتماعية خلال اجتماعهم في المسجد ، حيث نهى عن ما يلي :

- البحث عن الضالة في المسجد ، قال رسول الله (ﷺ) **(مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا)**[٥].

---

(١) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور" ، علم الاجتماع الديني ، مصدر سابق ، ص ٥١ .

(٢) خليل ، عماد الدين "الدكتور" ، دراسة في السيرة ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، ط٧ ، السنة ١٩٨٣ ، ص ١٤٩ .

(٣) الحسن، إحسان محمد "الدكتور"، علم الاجتماع الديني ، مطبعة الرسائل ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص ١٨٨.

(٤) رواه مسلم ، برقم ١٠٧٨ .

(٥) رواه مسلم ، برقم ٨٨٠ .

- عن البيع والشراء في المسجد ، قال رسول الله (ﷺ) : **(إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ)**[١] لأن في ذلك صرف القلوب عن الغاية الأساسية التي أنشأت من أجلها المساجد .
- نهى عن إقامة الحدود في المسجد خوفاً من أن تتحول المساجد إلى دور للتغرير والضرب وأماكن لتأديب المخطئين ، فهذا لا يتفق مع دورها العظيم في حياة المجتمع[٢]، قال رسول الله (ﷺ) : **(لَا تُقَامُ الْحُدُودُ فِي الْمَسَاجِدِ)**[٣].
- نهى الرسول (ﷺ) عن الزخرفة والتصاميم المبالغ فيها للمساجد ، وإنما حث على أن تعمر المساجد بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، قال الرسول (ﷺ): **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ)**[٤] ، خوفاً من الانشغال في حسن البناء وروعة الهندسة ودقة النقوش والزخرفة وإهمال رسالتها الأساسية .

وأمر الرسول (ﷺ) بتنظيف المساجد وتطييبها وإزالة كل ما يؤذي المصلين ، وجعل هذه المهمة لكل مسلم ، قال (ﷺ) : **(عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنْ الْمَسْجِدِ)**[٥].

وكان المسجد يؤدي الوظائف التي تؤديها القصور الرئاسية وقصور المؤتمرات ، حيث الرسول (ﷺ) يستقبل في المسجد الوفود التي ترد عليه لأغراض مختلفة ، مثل : لإعلان الإسلام ، ، أو عقد معاهدة ، أو طلب العلم ، أو طلب المعونة أو نحو ذلك من الأغراض .

تلك هي وظائف المسجد كان جامعاً لأمور الدين ، وجامعة لشؤون الدنيا . وكان بحق المؤسسة التي لها الدور الفاعل في بناء الأمة وتخريج أعظم قادتها.

ثانياً. المؤسسة الأسرية

على الرغم من أننا تناولنا الأسرة في فصل سابق ، لا بد لنا من تناولها ولو باقتضاب كونها واحدة من أهم المؤسسات البنيوية في المجتمع . وهي ركن أساس في أي بناء اجتماعي ، ولا مفر من الاعتراف بقيمتها ولا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال .

---

(١) رواه الترمذي ، برقم ١٢٤٢.

(٢) القرني ، عائض بن عبدالله "الدكتور" ، مجتمع المثل ، دار ابن حزم ، الرياض ، ط٢ ، السنة ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٦.

(٣) رواه أحمد ، برقم ١٥٠٢٧ .

(٤) رواه أبو داؤد ، برقم ٣٧٩ ، ورواه أبن ماجه ، برقم ٧٣١.

(٥) رواهه الترمذي ، برقم ٢٨٤٠ ، ورواهه أبي داؤد ، برقم ٣٩٠ .

فالمؤسسة الأسرية هي نواة المجتمع ، وهي الحاضن الطبيعي الذي ينمو فيه الأطفال روحياً ونفسياً وجسدياً وعقلياً . فهي حجر الأساس الذي يستند عليه الكيان الاجتماعي . لذا أولاها الإسلام أهمية خاصة ، ووضع نظاماً دقيقاً متكاملاً لبناء الأسرة آخذاً بنظر الاعتبار الأسس النفسية والفسيولوجية والصحية والعاطفية للزوجين لخلق أجواء أسرية سليمة تنصهر فيها الأثرة والأنانية ، ويعمها الألفة والسكينة والمودة والرحمة[١].

وقال تعالى : **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٢].

ومن أهم القواعد الأساسية لبناء المؤسسات الأسرية في المجتمع الإسلامي هي :

آ. العدالة والمساواة : المتمثلة في قوله تعالى **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوف﴾**[٣]، وقوله :**﴿ وعَاشِروهُنَّ بالمَعرُوفِ فإن كَرِهتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**[٤]. فالعدالة والمساواة أساس أي علاقة اجتماعية سليمة ويكفل لها الدوام والاستمرار ويرسخ أواصر المحبة وما أحوج المؤسسة الأسرية لهذا الأساس لتقوم بواجباتها على أكمل وجه .

ب. التكافل والتعاون على مواجهة أعباء الأسرة وتحمل مشاق الحياة من تربية الأطفال والإنفاق عليهم ، حيث جعل ذلك الإسلام جهاد . لقوله (ﷺ) **(الساعي على أبويه وعلى زوجته ، وعلى ولده وخادمة ، وعلى أخيه المؤمن كالمجاهد في سبيل الله).**

ت . المودة والرحمة : وهي أساس العلاقات الزوجية القويمة ، حيث تجعلهما يعيشان حياتهما في حب ووئام[٥]، ومن فلسفة هذه القواعد الثلاثة تنبثق الأحكام المتعلقة ببناء المؤسسة الأسرية وتنظيم الأدوار الاجتماعية فيها وتحديد الحقوق والواجبات لكل طرف من أطراف الحياة الأسرية .

---

(١) أيوب ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط ، لسنة ١٩٩٦، ، ص ١٧٩ .

(٢) الروم : ٢١ .

(٣) البقرة : ٢٢٨ .

(٤) النساء : ١٩ .

(٥) الخياط ، عبدالعزيز ، المجتمع المتكافل في الإسلام ، دار السلام ، القاهرة ، ط٣ ، لسنة ١٩٨٦ ، ص١١٦ .

الحقوق والواجبات الأساسية في الأسرة

أولاً. حقوق الزوج والزوجة

بعد أن حدد الإسلام الأدوار الأساسية لكل من الزوج والزوجة على وفق ما زود بهما من طاقات وقدرات واستعدادات بايولوجية ونفسية ، حدد حقوق كل منهما على الآخر ، وفيما يأتي إيجاز لذلك :

آ. حقوق الزوجة على زوجها

جعل الإسلام للزوجة على زوجها حقوقاً منها ماهو مادي ومنها ما هو معنوي،ومنها :

١. الحقوق المادية

تتعدد الحقوق المادية للزوجة ابتداءً من الالتزام بالمهر ، قال تعالى : ﴿**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾[١]. وكسوة الزوج وإشهار الزواج ، وتوفير المسكن المناسب بحسب حالة الزوج المادية ، وتجهيزه بالمستلزمات الأساسية وبما يتناسب ومقتضى الحال لقوله تعالى : ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ** ﴾[٢]. فضلاً عن النفقة عليها وعلى أولادها في الغذاء والكساء والعلاج وإلى غير ذلك ، ولا تكلف المرأة شرعاً بأي نفقة على منزل الزوجية ، إلاّ متبرعة متطوعة ، ولا يحق للرجل أن يتنصل عن أداء تلك الحقوق مهما كانت ظروفه ، ويؤكد الرسول (ﷺ) هذه الحقوق في العديد من الأحاديث منها قوله :

- **(أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ)**[٣].
- **(وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)** [٤].
- **(كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ)**[٥].

٢. الحقوق المعنوية

من أهم الحقوق المعنوية للزوجة على الزوج اللطف بها والإحسان إليها بالمعاملة الطيبة والكريمة الخالية من كل عنف **(وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)**[٦]. وحسن المعاشرة

---

(١) النساء : ٤ .

(٢) الطلاق : ٦ .

(٣) رواه البخاري ، برقم ٢٥٢٠.

(٤) رواه البخاري ، برقم ٨٤٤ .

(٥) رواه أبي داؤد ، برقم ١٤٤٢ ، وأحمد ، برقم ٦٢٠٥ .

(٦) رواه الترمذي ، برقم ١٠٨٢ .

﴿ **وعَاشِروهُنَّ بالمَعرُوفِ** ﴾[1]. ومن حسن المعاشرة البشاشة وطلاقة الوجه مع زوجته ، وأن يشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولادها . ومن الحقوق المعنوية أيضاً تعليمها ما تحتاج إليه من العلم مما لا بد لها من أحكام العبادات وتثقيفها بما يحقق قوامة دينها ودنياها. فضلاً عن الصبر عليها وأن يغض عن بعض مساوئها ما لم يكن إثماً وأن لا يظلمها ، وأن لا يهجرها .

ب. حقوق الزوج على زوجته

وبعد أن استعرضنا حقوق الزوجة على الزوجة ، وأدركنا مسؤولية الزوج الأدبية والمادية عن زوجته ، وأن عليه أن يهيئ لها المال والمسكن ووسائل الراحة المادية ، كما أن عليه أن يحسن عشرتها ويكرم صحبتها ، ويوفر لها أسباب الراحة النفسية والاستقرار والبهجة والسرور وغيرها من الأمور المعنوية ، وهذا مطلوب من الرجل شرعاً وعقلاً وعرفاً اجتماعياً[2]. وفي الوقت ذاته حدد الإسلام واجبات الزوجة تجاه زوجها لما يوفر أجواء سليمة للعيش والسكينة والاستقرار وتنشئة الأطفال في أجواء من المودة والألفة والرحمة .

١. حقوق الزوج على زوجته

للزوج على زوجته حقوق أساسية أقرها الشرع ، منها :

آ. إطاعة الزوج فيما يرضي الله ، قال (ﷺ) **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ)**[3]. فالزوجة التي تطيع زوجها وتحسن عشرته تكسب ثقته ، وفي ذلك دوام للمحبة والألفة ، وكثيراً ما تحل المشاكل المعقدة بالأسلوب المهذب والخضوع اللين[4].

ب. أن لا تكلفه من النفقة ما لا يطيق ، وأن تنفق من ماله بالمعروف إن كان ذو سعة من غير سرف ولا تقتير ، قال (ﷺ) لهند بنت عتبة في بيعة النساء : **(خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ)**[5].

ت . أن لا تجحد نعمته ، ولا تدخل عليه غماً ، ولا تؤذيه بلسانها ، ولا ترفع صوتها على صوته ، لأنه أعظم الناس حقاً عليها . فسألت عائشة رسول الله (ﷺ) **(أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها ، قلت : فأي الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال : أمه)**[6]. وهنا

---

(١) النساء : ١٩ .

(٢) أيوب ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٩٧.

(٣) رواه الترمذي ، برقم ١٠٨١ .

(٤) أيوب ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٢٠١.

(٥) رواه البخاري ، برقم ٦٦٤٤ .

(٦) رواه الحاكم في المستدرك ، برقم ٧٢٥٧ .

تبادل جميل في توزيع الحقوق والواجبات ، فبينما زوجها أعظم الناس حقاً عليها ، إذا بها أعظم الناس حقاً على أبنها ، وهكذا العدل الإلهي المطلق[١].

ث . أن تتزين له ، فالزوجة التي يراها زوجها متزينة له ، وتستقبله ببسمتها ، وترطب وجدانه بحلاوة مقابلتها ، وتمسح متاعبه بعطفها وحنانها وحسن تصرفها ، وتهيئ له الجو الأسري الهادئ ، إن مثل هذه الزوجة متاع الدنيا ، قال (ﷺ) : **(الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)**[٢]، وصفات المرأة الصالحة فسرت في حديث آخر بأنها التي **(إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ)**[٣].

حقوق الآباء والأبناء

سعى الإسلام لبناء المؤسسة الأسرية على أساس متين لا يعتريه وهن ، فنظم العلاقة بين الآباء والأبناء بشكلٍ دقيق ، عرف الآباء بالواجبات المفروضة عليهم نحو أبنائهم ، ويدرك الأبناء ما يجب عليهم نحو آبائهم . وتجنباً للتكرار سنتناول حقوق الآباء والأبناء باقتضاب ، لأن في الفصل السابق تمّ تناول أنساق العلاقات الاجتماعية في الأسرة بشكلٍ مفصل .

بر الوالدين أمر مفروض على الأبناء ، تقرر ذلك في قوله تعالى ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا** ﴾[٤]. وقوله تعالى : ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا ۞وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾[٥]. وتدعو تلك الآيات إلى الإحسان إليهما وإكرامهما والقيام بحقوقهما . فمن حق الآباء على الأبناء ما يأتي :

١. الطاعة في غير معصية .
٢. الإنفاق عليهما ، ولو كانا غنيين .
٣. خدمتهما وإحسان صحبتهما حتى يبلغ في ذلك رضاهما ولو كانا مشركين .
٤. أن لا يرتفع صوته فوق صوتهما ولا يجهر لهما بالكلام ولا يفعل أي شيء يؤذيهما.

---

(١) أيوب ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٢٠٠.
(٢) رواه مسلم ، برقم ٢٦٦٨ .
(٣) رواه ابن ماجة ، برقم ١٨٤٧. .
(٤) العنكبوت : ٨.
(٥) الإسراء : ٢٣ ، ٢٤.

٥. أن يرعى حقهما بعد مماتهما بإحسان دفنهما وتكريم أصدقائهما ووصل أرحامهما والدعاء لهما والاستغفار[١]. ففي الحديث الشريف : **(إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْمَرْءِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ)**[٢]. وقال **(يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَالَ نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)**[٣].

وتظهر حقوق الأبناء على الآباء فيما يأتي :

من شدة اهتمام الإسلام بالأولاد وزيادة الاعتناء بهم وحرصه على تكوينه النفسي والعقلي والبدني والخلقي ، بين لهم أصول وعوامل وأحكام حتى قبل الولادة سواء قبل الزواج أم بعده التي تؤثر على الولد ، ومنها :

١. اختيار الزوجة المناسبة ، إن الإسلام يندب إلى اختيار الزوجة الصالحة لأنها ستكون أم أولاد الرجل ، وهذا الاختيار يكون وفق ما يأتي[٤]:

آ. أن تكون ذات دين وخلق لقوله (ﷺ) **(تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)**[٥] لأن صاحبة الدين تكون الأوفى والأجدر بحمل مسؤوليات العائلة وتربية الأطفال .

ب. أن تكون ودودة ولودة لقوله (ﷺ) : **(تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ ...)**[٦] لأن الودود تغمر زوجها وأولادها وتتقن تربيتهم بما يكسبهم حب الخير[٧].

٢. أن يتخيروا لهم الأسماء الحسنة ، لقوله (ﷺ) **(إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ)**[٨].

٣. أن يقوموا بالإنفاق عليهم ورعايتهم حتى يبلغوا مبلغ الرجال .

---

(١) الخياط ، عبدالعزيز "الدكتور" ، المجتمع المتكامل في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٢١.

(٢) رواه أبي داؤد ، برقم ٤٤٧٧ .

(٣) رواه أبي داؤد ، برقم ٤٤٧٦ .

(٤) الباليساني ، أحمد الشيخ محمد ، واجب الآباء والأمهات تجاه الأبناء والبنات في الإسلام ، مطبعة شفيق، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٣ .

(٥) رواه البخاري ، برقم ٤٧٠٠ .

(٦) رواه البنائي ، برقم ٣١٧٥ .

(٧) الباليساني ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٨) رواه أبي داؤد ، برقم ٤٢٩٧ .

٤. أن يحسنوا تربيتهم وتأديبهم وتعويدهم العادات الإسلامية والآداب الحميدة ، وأن يعرفوهم على أداء الفرائض والطاعات منذ صغرهم .

٥. أن يعدلوا بينهم في كل الأمور ، قال (ﷺ) **(أعدلوا بين أولادكم في العطية)**[١].

٥. يستحب الرفق والرحمة بالأولاد ، وأن يعلموهم علماً ينتفع به ، أو حرفة صالحة ، وأن يدعو الآباء للأبناء بالخير لأن دعاء الآباء للأبناء مستجاباً[٢].

تلك هي أهم القواعد والأسس التي يمكن أن تبنى عليها المؤسسة الأسرية في الإسلام. وكذلك أهم الأدوار التي يمكن أن يؤديها الأفراد ، فضلاً عن تحديد الحقوق والواجبات لكل منهما مما يؤهل تلك المؤسسة أن تكون القاعدة المتينة لمجتمع متكامل متعاون .

ثالثاً. المؤسسة الاقتصادية

الجانب الاقتصادي في الإسلام لا ينفصل عن التصور العبادي للحياة . وبما أن الوظيفة العبادية في الإسلام تشكل الهدف الأساس لكل نشاط اجتماعي للمسلم ، **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾**[٣]، فإن الجانب الاقتصادي يظل وسيلة إلى تحقيق الهدف العبادي .

لا يمكن أن تستقيم الحياة البشرية إلاّ من خلال إشباع الحاجات الأساسية والضرورية التي لا غنى عنها ، ومن هنا تأتي أهمية الجانب الاقتصادي لأنه يأخذ هذه الحاجات بنظر الاعتبار ويهدف إلى إشباعها بالقدر الذي يتكفل بتحقيق الهدف العبادي[٤].

إذن النظام الاقتصادي في الإسلام محكوم بمقاصد عديدة أهمها الآتي :

١. تحقيق الحياة الطيبة للمسلم ، ومن أهم مقومات الحياة الطيبة توفير متطلبات الحياة لأن فقدانها يؤدي إلى قهر الحاجة وذل الفقر وهوان العوز ، فضلاً عن أن النظام الاقتصادي في الإسلام أحل الطيبات وحرم الخبائث ، وحلل كل ما هو نافع وحرّم كل ما هو ضار **﴿ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ﴾**[٥].

---

(١) رواه البخاري في باب الهبة للولد ، بلا رقم .

(٢) الخياط ، عبدالعزيز ، المجتمع المتكامل في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

(٤) البستاني ، محمود "الدكتور" ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

(٥) الأعراف : ١٥٧ .

٢. تحقيق الغاية العبادية : من الجوانب الأساسية في النشاط الاقتصادي في الإسلام لا بد أن تكون النية خالصة لله تعالى ، وهنا سيتحقق النفع للنفس وللآخرين وسترتفع وتيرة الإنتاج وكفاية العمل وإتقانه ، وسيشعر المسلم برضا واقتناع وسرور ، فيحقق ثنائية المنفعة : المنفعة العاجلة بتقدير عمله وإخلاصه ومكافأة جهده ، والمنفعة الآجلة برضا الله تعالى ورضا رسوله (ﷺ) .

٣. تحقيق أخلاقية الإسلام في الاقتصاد ، إذ يؤكد الإسلام ضرورة التزام كل نشاط اقتصادي بمكارم الأخلاق ، لأنه ما من عمل متحد وتعاون فعّال وتفاعل اجتماعي إيجابي مع انعدام الثقة وضعف الأمانة وقلة الصدق والإخلاص وانتشار الغش والخداع والتزوير، لهذا يعدّ الإسلام الفضائل أساس كل نشاط اقتصادي نافع مع ذلك :

- لا ملكية لمن يمتلك مال بأسلوب غير أخلاقي ، سرقة ، غصب ، تحايل .
- رفض إنتاج أو ترويج أي سلعة تضر بالأخلاق ، كالخمور ، والمخدرات ، وأفلام الجنس. وقد لعن رسول الله (ﷺ) في الخمر عشرة : **(عَشْرَةً عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُشْتَرِي لَهَا وَالْمُشْتَرَاةُ)**[١].
- النهي عن الإسراف في استهلاك الحلال في غير ما طائل ، قال الرسول (ﷺ) **(لَهُ فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِهِ وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ)**[٢].
- نهى عن كنز المال وحجبه عن مجال الإنتاج والتداول[٣].

٤. تحقيق التكامل الاقتصادي : لا تعارض بين ملكية الفرد وملكية المجتمع في الإسلام ويأخذ الإسلام بتكامل الجهود الفردية والجماعية لتحقيق النفع العام ، لهذا يبيح الملكية الجماعية "للدولة" والملكية الفردية ضمن حدود منها :

- أن تكون الملكية الجماعية لما لا يجوز أن ينفرد به الأفراد كدور العبادة والأوقاف وغيرها.
- أن تكون ما ينشأ للنفع العام كالمستشفيات ودور العلم ومراكز البحوث والطرق والجسور والموانئ والسدود .
- الثروات الوطنية كالمناجم والأنهار والبحيرات .

يعدّ الإسلام مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الأفراد ولكن بالحق والعدل[٤].

---

(١) رواه الترمذي برقم ١٢١٦ .

(٢) رواه مسلم ، برقم ٣٨٨٦.

(٣) الأسمر ، أحمد رجب "الدكتور" ، النبي المربي ، مصدر سابق ، ص ٤٤٨ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٤٩ .

ويظل البعد الاقتصادي في الإسلام موسوماً بالأهمية ، إلاّ أن أهميته مرتبطة بكونها وسيلة لما هو أهم وهو الجانب العبادي .

إن التصور الإسلامي للحاجات ينطلق من مبدأ عام هو "الإشباع بقدر الحاجة" أي الكفاف في مجال الاستهلال ، أما في مجال الإنتاج فالمسلم مدعو إلى زيادة الإنتاج إلى أكبر قدر تسمح به طاقته لما يحقق الصالح العام .

ونخلص مما تقدم ، أن الإسلام رسم خطوطاً واضحة لممارسة النشاط الاقتصادي باعتباره الوسيلة الفعّالة لإشباع الحاجة الأساسية والتي لا غنى عنها لإدامة حياة الإنسان وممارسة نشاطه العبادي .

رابعاً. المؤسسة السياسية

إن التصور الإسلامي للمؤسسة السياسية ينطلق من مبادئ عبادية كونها الهدف الأسمى ، وحينئذٍ يكون المجال السياسي وسيلة لتحقيق ذلك الهدف . طبيعة الحياة الاجتماعية تفرض على المجتمعات أن تسيطر عليها مؤسسة تضطلع بتنظيم شؤونهم ، فالمؤسسة السياسية "الدولة" تصبح مبدأً اجتماعياً لا مناص منه لقيام المجتمعات واستمرارها ، لا يكتمل بناء المجتمع إلاّ بعد قيام سلطة شرعية فيه تحفظ كيانه[١]. فلا يتم تكوين المجتمع إلاّ بعد بلوغ مرحلة الدولة وقيام كيان للسلطة فيه "فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" وقبل قيام السلطة يكون الأفراد جماعة أو هم مجتمع ناقص تنقصه المؤسسة السياسية التي تعبّر عن قيمه ومثله ومصالحه وآماله[٢].

وتتكون المؤسسة السياسية في الإسلام من جانبين : الأول هو المذهب السياسي المحدد بالشريعة الإسلامية ، وهو ثابت لا يناله التغيير ، فالعدل والشورى والمساواة والحقوق والحريات والحرمات والحدود ثابتة ، وهي ثوابت عادلة تتوافق مع كل فكر قويم .

أما الجانب الثاني فهو النظام السياسي ، وهو مجموعة التدابير والإجراءات والأساليب والقواعد والوسائل والتنظيمات التي يقوم بها المسلم لتسيير حياته السياسية ، فتمثل جهداً بشيراً مفتوحاً له مطلق الحرية شريطة الالتزام بالمذهب الذي تحدده الشريعة[٣].

وتهدف المؤسسة السياسية في الإسلام لحراسة الدين ، والسياسة الدنيا بهذا الدين أوسع من النظام الديمقراطي لأن أهدافه البعيدة روحية وأخلاقية ويعمل بكل السبل لتحقيق مصالح

---

(١) البستاني ، محمود ، الإسلام وعلم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٢٢١ .

(٢) إمام ، زكريا بشير ، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن ، مصدر سابق ، ص ٢٣٣ .

(٣) الأسمر ، أحمد رجب "الدكتور" ، النبي المربي ، مصدر سابق ، ص ٣٥٤ .

الناس وتلبية احتياجاتهم الروحية والمادية[1]. والشورى في الإسلام تتصل بمنظومة القيم الأخلاقية والمثل العليا التي يمكن إيجازها بما يأتي :

١. الإيمان بأن الناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلاّ بالتقوى . قال رسول الله (ﷺ) **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى)**[2]. وفي ذلك المساواة الإنسانية في الأصل والمنشأ وفي الكرامة الإنسانية ، وهي أصل من أصول الفكر الاجتماعي في الإسلام .

٢. ليس لأحد أن يدعي أن رأيه دائماً هو الأفضل أو أنه معصوم من الخطأ ، بل الكل يخضع رأيه ويرضى وسماحه للبحث والتمحيص والمداولة والنقد ، فكل رأي هو وجهة نظر ، حتى يثبت أنه صواب ، والحق بالنظر والتمحيص مفتوح لكل من يهمهم الأمر .

٣. لا بد أن يقبل الجميع بمبدأ المحاسبة والمراجعة والمساءلة عن الرأي ما هي شواهده وأدلته وبراهينه ، وإذا ما استجد خلاف فالحكم كتاب الله وسنة رسوله : **﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾**[3].

فضلاً عن العلماء الذين لهم القدرة على استنباط الأحكام من أصولها الشرعية[4] فالشورى هي الركن الأساس في نظام الحكم في الإسلام ، وفضلاً عن مبدأ المساواة ومبدأ العدالة .

ومن أبرز ما يميز المؤسسة السياسية في المنظور الإسلامي هو نمط العلاقات القائمة على التعاون بين الدولة ورعاياها ، فالحكم في الإسلام تكليفاً لا تشريعاً ، فكانت إنجازاً مدنياً أقامه البشر ، وإسلامياً لأن حاكميتها هي الشريعة[5]. ومن مسلمات المذهبية السياسية في الإسلام التي تعدّ هي الضابطة لحركة نظامه السياسي ، أهدافاً وغايات وتخطيطاً وتنفيذاً أو تقويماً ، وهي ما يأتي :

---

(١) إمام ، زكريا بشير ، مصدر سابق ، ص ٢٣٥.

(٢) رواه أحمد برقم ٢٢٣٩١ .

(٣) النور : ٥١ .

(٤) إمام ، زكريا بشير ، مصدر سابق ، ص ١٣٧ ، ص ٢٣٦.

(٥) عمارة ، محمد "الدكتور" ، الإسلام والسياسة ، دار السلام ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٣.

آ. المرجعية الحاكمة

وفي الإسلام تعدّ المرجعية الحكمية كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿**وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾[١] وقوله : ﴿ **وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾[٢]. وحاكمية الشريعة تعني التزام كل ما أمرت به واجتناب كل ما نهت عنه ، لذلك لا يجوز لأي نظام إسلامي أن يتنكر لاي أمر جاء فيها أو أن يرتكب أي نهي نهت عنه . والرسول (ﷺ) يؤكد مرجعية كتاب الله وسنته الحكمية في كل أمر من أمور المسلمين ، فيقول : **(كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)**[٣].

ب. الوحدة

المنطلق الثاني للنظام السياسي الإسلامي هو وحدة الأمة لأن فيها كل أشكال القوة المادية والمعنوية . ولقد سعى الرسول (ﷺ) طوال حياته على ترسيخ مفهوم الوحدة سواء كانت وحدة الأمة أو وحدة الدولة أم وحدة القيادة أم وحدة الموقف . وقال : **(فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ)**[٤].

ت. الشورى

والمنطلق الثالث للنظام السياسي الإسلامي هو الشورى ، والشورى تعني أن يستشار الناس في تصريف أمورهم وإدارة شؤونهم العامة[٥]. ونظام الشورى في الإسلام فليس الهدف منه إشباع لنزعة الحاكم في السيطرة والجاه والمكانة والثروة ، بل يستهدف من خلال ذلك تحقيق مبادئ خلافة الإنسان في الأرض امتثالاً لأمر الله تعالى[٦].

ومما نخلص إليه في هذا المبحث أن هناك ترابطاً عضوياً واعتمادية متبادلة بين كافة المؤسسات الاجتماعية في البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي . دينية كانت أم سياسية أسرية أو اقتصادية لأنها تتفرع عن أصل واحد وهو العقيدة الإسلامية ، ويظهر لنا ذلك بوضوح مقدار التلازم بين التصور الاعتقادي وطبيعة البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي .

---

(١) المائدة : ٤٩ .

(٢) الحشر : ٧ .

(٣) رواه البخاري ، برقم ٦٧٣٧.

(٤) رواه مسلم ، برقم ٣٤٤٢.

(٥) الأسمر ، أحمد رجب ، مصدر سابق ، ص ٣٧٣ .

(٦) البستاني ، محمود ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .

المبحث الثالث

خصائص المجتمع الإسلامي وسماته

لقد نشأ الإسلام في أرض لا سلطات لإمبراطورية ولا لملك عليها ، ونشأ في مجتمع بدوي قبلي ليست فيه أنظمة أو قوانين من نوع ما كان سائداً في الإمبراطورية الرومانية . وكان هذا انسب وضع لهذا الدين في نشأته الأولى ، ليتولى إنشاء المجتمع الذي يريده بلا عوائق حقيقية ، ويضع له قوانينه ونظمه ، ويتولى في الوقت ذاته ضميره وروحه ، كما يتولى سلوكه ومعاملاته ، ويجمع بين الدنيا والدين في توجيهاته وتشريعاته ، فهو يعيش في ضمير الفرد ، كما يعيش في واقع الجماعة ، ولا ينفصل فيه النشاط العملي عن الوازع الديني ، جوهره واحد وإن اختلفت مظاهره ومسالكه .

لقد نشأ الإسلام في أنسب بيئة ليزاول طبيعته كاملة ، ويبلور حقيقته في صورة واقعية منذ اللحظة الأولى[1]. فالنظرة الإسلامية للمجتمع أخذت شكلاً واضحاً ، يتميز بنظمه وقوانينه ، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة تتشكل في كنفها العادات والتقاليد وتتصهر في بودقتها القيم والأعراف الاجتماعية بعد أن يهيمن يقينياً ووجدانياً على كيان المجتمع .

في هذا المبحث نتناول بإيجار خصائص المجتمع الذي خلقه الإسلام ورباه رسول الله (ﷺ) ، فكان مجتمعاً نموذجاً ، الناس فيه أسرة واحدة ، والجميع سواسية ، لا فضل فيه لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي إلاّ بالتقوى ، لا يوزن الناس فيه بالأحساب والأنساب، وإنما بالأعمال الصالحة ، أفعالاً وأقوالاً . وهو مجتمع عالمي ، لا عنصري ، لا قومي ، ولا طبقي ولا يعرف التعصب ، مجتمع مفتوح لجميع بني البشر ، مجتمع متوازن في بنائه ووظائفه وفي جانبيه العبادي والاجتماعي .

أولاً. عالمية المجتمع الإسلامي

المجتمع الإسلامي مجتمع عالمي ، بمعنى أنه مجتمع مفتوح لجميع بني البشر ، أي أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي ولا طائفي ولا طبقي ، وكذلك دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة ، بل حتى دون النظر إلى دين أو عقيدة ، لأنه مبني على العقيدة الإسلامية ، وهي رسالة عالمية ، فالرسول (ﷺ) بعث للناس كافة ، ففي الحديث : **(وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً**

(١) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، درا الشروق ، القاهرة ، ط١٠ ، لسنة ٢٠٠٢ ، ص ١١.

وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)[1]. وقال تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾**[2]، وأيضاً **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** [3].

فهذه الدعوة موجهة إلى الناس كافة ، لأن الناس في حكم الإسلام أخوة : أصلهم واحد وأبوهم واحد ، لا يتفاضلون إلاّ بالتقوى[4].

فالمجتمع الإسلامي ليس مجتمعاً مغلقاً ، وإنما هو مجتمع مفتوح ، تقوم العلاقات الاجتماعية على أساس إنساني ، ومن مبدأ أن الناس كلهم عيال الله وأنهم سواء أمام خالقهم، وإنهم لا يتفاضلون إلاّ بالتقوى والعمل الصالح[5].

قال تعالى : **﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾**[6]. وفي الحديث **(لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى)**[7]. وكذلك في الحديث : **(لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ)**[8]. ولقد سمع النبي (ﷺ) – يدعو ويقول :**(أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ)**[9].

وبهذا استطاع الإسلام أن يقتلع جذور العصبية . فالجنس البشري كله مستخلف في هذه الأرض لعمارتها وإنمائها ، دون التخصص لجنس أو لعنصر . ومن خلال ذلك استطاع الإسلام أن يبني مجتمعاً عالمياً ذا صبغة إنسانية ، بعيد كل البعد عن العنصرية على مختلف أشكالها ، وصار الناس سواسية[10] لا اختلاف ولا تفاوت على أساس الأحساب والأنساب، أما التفاضل الحقيقي بين الناس يقوم على أساس أداء الواجب والكفاية في العمل وما يقدمه الإنسان لربه ونفسه ولخير العامة .

---

(١) رواه البخاري ، رقم ٤١٩ .
(٢) سبأ : ٢٨.
(٣) الأنبياء : ١٠٧.
(٤) الخطيب ، محمد عبدالله ، المجتمع الإسلامي : خصائص وحقائق ، دار المنار ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠، ص ١٤-١٥.
(٥) عبدالحميد ، محسن "الدكتور" ، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، الرشيد للطباعة والنشر ، بغداد، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ٣١ .
(٦) الحجرات : ١٣ .
(٧) رواه أحمد ، برقم ٢٢٣٩١.
(٨) رواه أبو داؤد ، برقم ٤٤٥٦ .
(٩) رواه أبو داؤد ، برقم ١٢٨٩ .
(١٠) الخطيب ، محمد عبدالله ، المجتمع الإسلامي ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

فعالمية المجتمع الإسلامي تعطينا انطباعاً واضحاً عن الهدف الذي سعى الإسلام إلى تحقيقه ، وهو أن يتعرف الناس إلى ربهم ، وأن يستمدوا من هذه الصلة ما يسموا بأنفسهم لاستبعاد كل ألوان التعسف والعنف والقهر والاستغلال الذي تسفك فيه الدماء في كل حين .

ثانياً. مجتمع العدالة الاجتماعية

لقد تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات بحرصه على مراعاة العدالة الاجتماعية واعتمادها في تنظيم شؤون المجتمع ، وتحديد العلاقات والممارسات بين الأفراد والتوازن بين القوى والمتغيرات التي تؤثر في مسيرة المجتمع وتفاعل الأفراد والجماعات وعمل المؤسسات[١] حتى أصبح أنموذجاً يحتذى به في ذلك .

إن العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي هي عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة ومقوماتها لأنها مستمدة من طبيعة النظرة الإسلامية الشمولية للألوهية والكون والحياة والإنسان . والمجتمع الإسلامي يسير في تحقيق العدالة الاجتماعية على أسس ثابتة ، ويحدد لبلوغ أهدافها وسائل معينة .. فلن تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ، ولن يضمن لها التنفيذ والاستمرار ما لم تستند إلى شعور داخلي باستحقاق الفرد لها ، وبحاجة الجماعة إليها ، وبعقيدة ترشد إلى أنها تؤدي إلى طاعة الله والى تحقيق واقع اجتماعي أفضل[٢]. ولا يمكن أن تتحقق العدالة الاجتماعية ما لم يهيئ لها الواقع الميداني من خلال التحرر الوجداني للفرد ، والتكافل الاجتماعي للجماعة ، والمساواة الإنسانية في المجتمع .

وقد بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من الخضوع لغير الله ، عند ذلك تنتفي الوسائط بين الله وعباده ، بحيث يتصل كل فرد بصلة مباشرة بخالقه ويستمد منه القوة ، ويشعر برحمة الله وعنايته ، فيشتد إيمانه وتقوى معنويته ، فإذا تحرر وجدان الفرد ، وامتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله ، تحرر من الشعور بالخوف على الحياة ، أو الخوف على الرزق ، أو الخوف على المكانة .. لأن ذلك الخوف يدعوه إلى قبول الذل والى التنازل عن كثير من حقوقه . لهذا حرص الإسلام على أن يحقق للناس العزة والكرامة ، وأن يبث في نفوسهم الاعتزاز بالحق والمحافظة على العدل ، ليضمن بذلك كله ، علاوةً على التشريع عدالة اجتماعية مطلقة لا يفرط فيها الإنسان[٣].

وبعد أن سعى الإسلام إلى تحرير النفس البشرية من عبودية القداسة ، ومن عبودية الخوف على الحياة أو الرزق أو المكانة ، قد تتأثر تلك النفس بعبودية القيم الاجتماعية ، قيم

---

(١) الحسن ، إحسان محمد "الدكتور" ، علم الاجتماع الديني ، مصدر سابق ، ص ١٦٢ .

(٢) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٢٣ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢ ، ص ٣٦ .

المال والجاه والحسب والنسب ، فإذا استشعر الوجدان عبودية لأية قيمة من هذه القيم ، فلن يملك حريته كاملة إزاءها ، ولن يشعر بالمساواة الحقة مع أصحابها ، لهذا تصدى الإسلام لهذه القيم جميعاً ، فوضعها في موضعها الحقيقي بلا إغفال ولا مغالاة ، ويرد القيم الحقيقية إلى أمور معنوية ذاتية ، كامنة في نفس الفرد أو واضحة في عمله . وبذلك يضعف تأثير تلك القيم المادية ، وتضاؤل آثارها النفسية ، فيكون هذا بجانب ما يكفله الإسلام من ضمانات معيشية وتشريعية وسيلة للتحرر الوجداني الكامل للفرد[١]، وبعد ذلك قد تتحرر النفس البشرية من عبودية القداسة ومن عبودية الخوف وعبودية الاعتبارات والقيم الاجتماعية ، ثم تبقى أسيرة لذاتها ، مستذلة لغرائزها وشهواتها ، فيأتي لها القيد من داخل حيث تنفلت منه من خارج فلا تبلغ التحرر الوجداني الكامل الذي يريده الإسلام لها ، ليتحقق لها العدالة الاجتماعية.

والإسلام لا يغفل هذا الخطر الكامن على التحرر الوجداني ، فيلقي إليها التفاته لطيفة، تشهد بعنايته بكوامن النفس البشرية وسبر أغوارها ، وتدل على رعايته لكل استعداداتها ودوافعها .

فجمع في آية واحدة أغلب المطامح والرغائب ونقاط الضعف في النفس البشرية ليضعها في كفة والإيمان في كفة : **﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**[٢].

والنفس التي تحرر من هذه الرغائب هي النفس التي يطلبها الإسلام ، ويدعو إلى تكوينها ، لأنها تمتلك قيادة أمرها ، وفي ذلك دعوة للتحرر من ضعف الشهوات والغرائز ، ثم لا ضرر بعد ذلك من الاستمتاع بالحياة حين يملكها الإنسان وتملكه[٣].

وأخيراً فلقد يتحرر المرء من كل ذلك ، ولكن يحتاج إلى اللقمة فيذل ، فليس أشد من الحاجة إذلالاً . وهنا يتولى الأمر بالتشريع لمنع أسباب الحاجة ، فيجعل للفرد حقه في الكفاية مفروضاً على الدولة وعلى القادرين في الأمة ، لدفع الحاجة وحفظ كرامة الإنسان . وذلك كله يدفعه إلى التحرر الوجداني الكامل ، لكن ذلك التحرر يعدّ الركن الأساس لبناء العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي[٤].

---

(١) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

(٢) التوبة : ٢٤ .

(٣) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٣ .

أما الركن الثاني للعدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي وهو التكافل والذي يقرّه الإسلام في كل صوره وأشكاله ، فهناك تكافل بين الفرد وذاته ، وبين الفرد وأسرته ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الأمة والأمم ، وبين الجيل والأجيال المتعاقبة كذلك . هناك تكافل بين الفرد وذاته ، فهو مكلف أن يمتع نفسه في الحدود التي لا تفسد فطرتها ، وأن يزكيها ويطهرها ، وأن يسلك بها طريق الصلاح والنجاة ، ولا يُلقي بها إلى التهلكة ، وأن يمنحها حقها من العمل والراحة فلا ينهكها ويضعفها[١]. وهناك تكافل بين الفرد وأسرته ، وهو قوام الأسرة الذي يرسخ وحدتها ويعزز تماسكها ، ومن مظاهر التكافل الأسري في الإسلام التوارث المادي للثروات على وفق نظام دقيق أساسه العدل بين الجهد والجزاء[٢].

والتكافل بين الفرد والجماعة ، وبين الجماعة والفرد ، يرتب الإسلام على كل منهما واجبات وتبعات ، ويعطي لكل منهما حقوقاً ، والإسلام يبلغ في هذا التكافل حد الجزاء والعقاب في حال تقصير أيهما في النهوض بتبعاته في شتى مناحي الحياة المادية والمعنوية . مثلاً فكل فرد مكلف أن يحسن عمله الخاص ويتقنه ، لأن ثمرة ذلك العمل ملك للجماعة : ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [٣]، وكل فرد مكلف برعاية مصالح الجماعة ، وليس هناك من هو معفى من رعاية المصالح العامة ، فكل فرد راعٍ ورعيته في المجتمع . والجماعة مسؤولة عن حماية الضعفاء فيها ، ورعاية مصالحهم وصيانتها . وفي حديث **(السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**[٤]، وهي مسؤولة عن فقراءها ومعوزيها أن ترزقهم بما فيه كفايتهم . فقال رسول الله (ﷺ) **(وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى)**[٥]. وقال أيضاً : **(...وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ)**[٦].

ووصف الإسلام الأمة المسلمة في تكافلها وتضمانها وتماسكها كالجسد الواحد ، وهي الصورة التي رسمها الإسلام للمجتمع والتي سبق فيها علماء الاجتماع في تشبيه المجتمع بالكائن العضوي ، وكذلك تشبيه المجتمع الإسلامي بالبناء المرصوص ، والذي يبين لنا مقدار الاعتمادية المتبادلة بين أفراد المجتمع والتساند الوظيفي فيما بينهم . حيث يصف الرسول (ﷺ)

---

(١) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٥٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٣) التوبة : ١٠٥ .

(٤) رواه البخاري ، برقم ٤٩٣٤ .

(٥) رواه أحمد ، برقم ٤٦٤٨.

(٦) رواه مسلم ، برقم ٣٢٥٨.

ذلك التكامل ، فيقول : **(إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)**[١]، وفي حديث آخر قال: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[٢]. وذلك أسمى ما يمكن من التعاون والتكافل في حياة المجتمعات الإنسانية.

ولكي تعم العدالة الاجتماعية ، جاء الإسلام بركنها الثالث المساواة الإنسانية ، فبعد أن سعى إلى تحرير وجدان الإنسان من كل العبوديات ، وسعى إلى ترسيخ وحدة الجماعة وتعزيز تماسكها وتضامنها من خلال التكافل الاجتماعي بين كل مكوناتها على مختلف مستوياتهم ، حرص على أن يكون مبدأ المساواة النابع من الضمير المؤمن والمصون بالتشريع .

قبل أربعة عشر قرناً ، وفي الوقت كانت بعض الملل والنحل تفرق الشعوب إلى طبقات ، بعضها خلق من رأس الإله فهي مقدسة ، وبعضها خلق من قدميه فهي منبوذة . وفي الوقت الذي كان الجدل يدور حول المرأة : أهيّ ذات روح أم لا روح فيها ، وفي الوقت الذي كان يباح فيه للسيد أن يقتل عبيده ويعذبهم ، لأنهم من نوع آخر غير نوع السادة ، وفي هذا أكّد الإسلام وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير ، في المحيا والممات ، في الحقوق والواجبات ، أمام القانون وأمام الله ، في الدنيا والآخرة ، لا فضل إلاّ العمل الصالح ، ولا كرامة إلاّ للأتقى[٣].

وفي ذلك نموذجاُ للمساواة الإنسانية لم يصل إليه أبداً ، فهم جميعاً من أصل واحد "كلهم بنو آدم وآدم من تراب"[٤]. فالناس أخوة في النسب ، وهم متساوون في الأصل والنشأة : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾**[٥]، فليست هذه الشعوب والحضارات لتتصادم وتتناحر وتتقاتل وإنما ذلك منهج الطغاة والمتجبرين ، بل لتتعارف وتتألف وتتعاون لعمارة الأرض ، وكلهم عند الله سواء ، لا تفاضل بينهم إلاّ بالتقوى .

ولقد برأ الإسلام من العصبية القبيلة والعنصرية ، إلى جانب براءته من عصبية النسب والأسرة ، **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ﴾**[٦].

---

(١) رواه البخاري ، برقم ٤٥٩ .

(٢) رواه مسلم ، برقم ٤٦٨٥ ، ورواه أحمد ، برقم ٧٦٤٨.

(٣) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٤٤ .

(٤) رواه الترمذي ، برقم ٣٨٩٠.

(٥) الحجرات : ١٣.

(٦) المؤمنون : ١٠١ .

ما فتأ القرآن يذكر الناس أن محمد (ﷺ) بشر كسائر البشر ، وما يفتأ محمد (ﷺ) ذاته يكرر هذا المعنى ، إذ يقول لقومه : **(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه)**[1].

وأما بين الجنسين ، فقد كفل الإسلام للمرأة مساواة تامة مع الرجل من حيث الجنس والحقوق الإنسانية ، فهما متساويان من الناحية الدينية والروحية ، وكذلك من ناحية الأهلية للملك والتصرف الاقتصادي . قال تعالى : **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[2]، **﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾**[3].

وأخيراً فإن للجنس البشري كله كرامته ، التي لا يجوز أن تستباح ، فقال تعالى : **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾**[4]، وللناس جميعاً في المجتمع المسلم حرماتهم والتي لا يجوز أن تنتهك[5]،**﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾**[6].

وهكذا يتتبع الإسلام كل ناحية من حياة الناس الوجدانية والاجتماعية ، ليؤكد فيها معنى العدالة الاجتماعية في أسمى معانيها وأوضح صورها ، عدالة اجتماعية مطلقة لتكون نظاماً لتربية روح الفرد وضميره وتقويم سلوكه ، ولتكون نظام لتكوين الأسرة وتكافلها ، ولتكون نظاماً للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي . مما استحق هذا المجتمع أن يوصف بأنه مجتمع العدالة الاجتماعية الأول .

ثالثاً. مجتمع متوازن

وهذه خاصية أخرى من خصائص المجتمع الإسلامي ، والتوازن هو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين ، بحيث لا ينفرد إحداهما بالتأثير ويأخذ أكثر من حقه ، ويطغى على

---

(١) رواه البخاري ، برقم ٣١٨٩ .

(٢) النحل : ٩٧ .

(٣) النساء : ٣٢.

(٤) الإسراء : ٧٠ .

(٥) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية ، نفس المصدر السابق ، ص ٤٦ ، ص ٥١ .

(٦) الحجرات : ١٢ .

مقابله . وأمثلة ذلك التوازن عديدة منها ، الموازنة بين الروح والمادة ، والفردية والجماعية ، والمثالية والواقعية ، الثبات والتغيير ، الدنيا والآخرة .

واحد أهم الحقائق الذي يكتشفها من يستقرئ واقع الحركات الفكرية والاجتماعية في المجتمعات المعاصرة ، وكذلك من يقرأ التاريخ يدرك عجز الإنسان عن إنشاء نظام اجتماعي وفكري وأخلاقي متوازن بلا لإفراط أو تفريط ، وهذا ديدن أي منهج أو نظام يبتكره بني البشر أفراد أو جماعات . وذلك ناجم عن محدودية العقل البشري مهما يكن يملك من عبقرية ، فضلاً عن تأثير ميوله ونزعاته الشخصية ، الأسرية والحزبية والإقليمية أو العنصرية وغلبتها عليه من حيث يشعر أو لا يشعر[١].

فظاهرة التوازن الاجتماعي والعبادي في المجتمع الإسلامي ، هي جزء من التوازن والاعتدال في الكون كله ، ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ** ﴾[٢].

وظاهرة التوازن والاعتدال في المفهوم الإسلامي ، ليس بالمعنى الأرسطي الذي يجعل الفضيلة وسطا يتوسط رذيلتين ، متصوراً وجود مسافة عن يمين الفضيلة ، وعن يسارها متساوية تفصل بينهما ، وإنما بمعنى اشتمال الموقف الوسط على محاسن القطبين النقيضين التي يمكن جمعها والتأليف بينها[٣]. ففي وسطية الإسلام توازن واعتدال في الاعتقاد والتصور ، وفي التعبد والتنسك . وفي الآداب والأخلاق وفي التشريع والنظام ، وفي مصادر المعرفة من غيب وشهود ، والتوازن بين الجانب الروحي والمادي في المجتمع وتلك هي أبرز مظاهر التوازن والاعتدال في المجتمع الإسلامي .

لقد وجد عبر تاريخ المجتمعات البشرية ، أن هناك جماعات وأفراد كان همهم وشغلهم الشاغل التركيز على الجانب المادي للحياة وإغفال وإهمال دون التفات إلى الجوانب الأخرى ﴿**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾[٤]، ووجد آخرون ، نظروا إلى الحياة الدنيا ، نظرة احتقار ، فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها ، وعطلوا طاقاتهم وقواهم من الإسهام في تنمية وتطور الحياة الاجتماعية .

وبين هاتين النزعتين جاء الإسلام يدعو معتنقيه إلى أن يوازنوا بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة . وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا ، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل

---

(١) القرضاوي ، يوسف "الدكتور" ، الخصائص العامة للإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠، لسنة ٢٠٠١ ، ص ١٢٧ .

(٢) الملك : ٣ .

(٣) عبدالحميد ، محسن "الدكتور" ، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، مصدر سابق ، ص ٩٦ .

(٤) الأنعام : ٢٩ .

أهل الآخرة . وكان الرسول (ﷺ) حريصاً على توجيه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم ، وبين حظ أنفسهم وحق ربهم ، وبين متعة البدن ونعيم الروح[١]. فقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر ، والتزم الثاني أن يقوم فلا ينام ، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبداً ، قال لهم : **(أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)**[٢].

فالتوازن والاعتدال قائم في التشريع الإسلامي ونظامه القانوني والاجتماعي ، والإسلام أحل كل طيب ونافع ، وحرّم كل خبيث وضار . وفي النظام الاجتماعي الإسلامي تلتقي الفردية والجماعية في صورة متوازنة رائعة ، ولقد تناولنا ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل ، حيث تتوازن حرية الفرد ومصلحة الجماعة ، فيقرر للأفراد من الحقوق ما يكافئ واجباتهم ، ويلبي حاجاتهم ، ويحفظ كرامتهم ، ويصون إنسانيتهم ، وفي ذات الوقت يحافظ على وحدة وتماسك كيانهم الاجتماعي ، ومن هنا قرر الإسلام ما يأتي :

١. حرمة الدم ، فحفظ للفرد حق الحياة ، ولكن إذا اقتضى ظرف المجتمع المسلم بذلها لحمايته وجب على الفرد أن يقدمها راضي النفس . وكذلك إذا اعتدى على حق فرد آخر كقاتل العمد، أو على حق المجتمع في الأمن والاستقرار ، كقاطع الطريق ، أو خروج على دينه وفارق الجماعة كالمرتد ، فقدت حياته ما لها من عصمة .
٢. حرمة المال ، فصان للفرد حق التملك ، لكن ذلك الحق مقيد بأن يأخذ المال من حلال وينفقه في محّاله . فإن للجماعة في مال الفرد حقوقاً لا بد أن يؤديها كالزكاة والصدقة[٣].

٣. حرية الاعتقاد ، فلا يجوز أن يكره على ترك دينه ، واعتناق دين آخر : **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾**[٤]، **﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾**[٥]، لكن ذلك مقيد برعاية أخلاق المجتمع وعقائده ومثله العليا ، فليس معنى حرية الاعتقاد إذاعة الكفر بالله ورسوله وكتابه وباحة الطعن على الإسلام وأهله .

---

(١) القرضاوي ، يوسف "الدكتور" ، الخصائص العامة للإسلام ، مصدر سابق ، ص ١٤٤.
(٢) رواه البخاري ، برقم ٤٦٧٥.
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٥٣ .
(٤) البقرة : ٢٥٦ .
(٥) يونس : ٩٩ .

٤. وقرر الإسلام المسؤولية الفردية ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾[١]، ﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾[٢]، وأقرّ أيضاً مسؤولية الفرد عن الجماعة ، من خلال الأمر بالمعروف والنهي والنهي عن المنكر ، وفي ذلك مسؤولية الفرد عن المجتمع على وفق طاقاته وإمكانياته وقدراته : " **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** "[٣].

ومن خلال ذلك أقام الإسلام نظمه الاجتماعية بتوازن واعتدال منظور فيه إلى كل جوانب الكينونة البشرية ، ومنظور من خلاله إلى توازن هذه الجوانب وتناسقها وانسجانها مع كل أطوار الحياة الاجتماعية وظروفها .

---

(١) البقرة : ٢٨٦

(٢) الإسراء : ١٥ .

(٣) رواه مسلم ، برقم ٧٠ .

الفصل الثامن

منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام

مقدمة تمهيدية

المبحث الأول : عوامل التغيير الاجتماعي

المبحث الثاني : طبيعة التصور الإسلامي للتغيير الاجتماعي

المبحث الثالث : منهج التغيير الاجتماعي في التصور الإسلامي

المبحث الرابع : أهداف التغيير الاجتماعي في الإسلام

المبحث الخامس : مسار عملية التغيير الاجتماعي في الإسلام

مقدمة تمهيدية

التغير في ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها كل مظاهر الكون و شؤون الحياة ، وهو أكثر وضوحاً في الحياة الاجتماعية لأنها في تغير دائم و تفاعل مستمر . و هذا ما حدا ببعض العلماء الى القول بان ليس هناك مجتمعات و لكن الموجود تفاعلات و علاقات اجتماعية في تغير دائم و آثار متبادلة.[١]

و التغير هو قانون الوجود ، و الجمود و الثبات موت و عدم هذا ما أكده الفيلسوف اليوناني هيراقليطس Heraclitus (٥٤٠-٤٧٥ ق.م.) و مثل فكرة التغير بجريان الماء فقال (أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فان مياها جديدة تجري من حولك أبدا)[٢] و التغير في اللغة هو التحول و التبدل ، فغير الشيء يعني حوله و بدله كأنه جعله غير ما كان . و كلمة تغير توحي بان ذلك يتم تلقائيا بدون مؤثر خارجي ، بينما يتحقق التغيير بفعل مؤثر خارجي و بوجود إرادة و قدرة على الفعل[٣].

و التغير الاجتماعي هو التحول و التبدل الذي يقع فيه التنظيم الاجتماعي ، سواء في تركيبه و بنيانه ، او في وظائفه[٤] . وكما يعرف أيضا بأنه كل تحول يقع في مجتمع من المجتمعات و يصيب تركيبه و بنيانه او نظمه الاجتماعية او القيم و المعايير السائدة بين أفراده و جماعته خلال فترة زمنية محددة[٥].و يعد الإسلام التغير الاجتماعي من السنن الاجتماعية العامة ، وهو ليس أمرا عرضيا طارئا ، إنما هو صفة الوجود و قانون الحياة ، حيث لا يبقى شيء على حاله (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**)[٦].

لقد حدد الإسلام الأسس و المسارات العامة لحركة التغير الاجتماعي في مجمل الظواهر الاجتماعية ، و ترك مجال للاجتهاد و العمل في الجزئيات و التفاصيل التي تحددها حركة الحياة لكي يأخذ الإنسان دوره الطبيعي في ظل قوانين الحركة التي أودعها الله في الوجود.

---

(١) الخشاب ، مصطفى ، الدكتور ، علم الاجتماع و مدارسه ، المدخل الى علم الاجتماع ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩٤.

(٢) الرشدان،عبد الله ،الدكتور،علم اجتماع التربية،مجلة الاكاديمية ، الهلال العربية للطباعة والنشر،العدد ١١ لسنة ١٩٩٤ ،ص٧٤.

(٣) الدجاني ،احمد صدقي ،افكار في التغيير ، مجلة الاكاديمية ، الهلال العربية للطباعة و النشر، العدد ١١ لسنة ١٩٩٤ ، ص ٧٤.

(٤) الرشدان ، عبد الله ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩.

(٥)الرشدان،عبد الله،الدكتور،المصدر السابق،ص٢٦٩ نقلا عن مصطفى الخشاب،دراسة المجتمع ، ص١٨٨.

(٦) الرحمن :٢٦.

ان التصور الأكثر عمقا و امتدادا لحركة التغير الاجتماعي ، هو ان التجربة البشرية منذ لحظات تشكلها الأولى ... الى لحظة نهاية التاريخ ، التي فيها يرث الله الأرض و من عليها . انما هي تجربة تتعدد فيها الخيارات و تتنوع فيها الانتماءات و تتباين من خلالها الأهداف و الغايات ، قانونها التنوع و الاختلاف لا الوحدة و أسلوبها التغير لا الثبات ، و تلك سُنَّة إلهية أزلية في ميادين الاجتماع البشري و شؤون الحياة]**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞** [[1] و الرؤية المؤمنة للتغير في حدود الطبيعة و ضمن إطار الثوابت الإسلامية هو الذي يمنح التاريخ البشري ليس فقط تفرده و خصوصيته انما قدرته على الصيرورة و الفعل الجاد المؤثر.

فاختلاف الألسن و الألوان و تعدد الأعراق وتغاير الثقافات و التعارف و التثاقف فيما بينها هو احد العوامل الأساسية التي تساهم في دفع عجلة الحياة نحو التقدم و تخطي مواقع الركود و مواطن الخلل و منح القدرة و الفعالية من خلال التنافس بين القوى البشرية الراشدة لتحقيق المجتمع المؤمن.

ومن يقرأ عصر الرسالة يتبين له كيف أحدث الإسلام تغيرا عميقا و تطورا اتسم باليسر وملائمته للفطرة و سنن الكون(**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**)[2].

وسعى الرسول( ) بعد ان حدد يثرب (المدينة المنورة) كنقطة انطلاق مسار التغير لإحداث التحولات المجتمعية و التي تهدف الى تفتيت مظاهر الجاهلية و خلق المجتمع الإسلامي النموذج . وان انحصار هذا النهج في وقتنا الحاضر ليس قصورا فيه بل هو بسبب تقصير القائمين عليه . وفي ذلك سنة كونية يتولى السير من خلالها الى لحظة نهاية التاريخ.

يتكون هذا الفصل من خمسة مباحث وهي عوامل التغيير الاجتماعي و طبيعة التصور الإسلامي للتغيير الاجتماعي و مناهج التغيير في التصور الإسلامي فضلا عن أهداف التغيير الاجتماعي في التصور الإسلامي و مساره.

---

(١) هود :١١٨-١١٩.

(٢) رواه مسلم برقم ٣٢٦٢.

المبحث الأول
عوامل التغير الاجتماعي

التغير الاجتماعي ظاهرة اجتماعية شديدة التعقيد و التنوع من حيث مكوناتها و تفرعاتها ومن حيث مسبباتها . ومن ثم ليس بالامكان تفسير هذه الظاهرة استنادا الى عامل واحد من العوامل المؤثرة في حركة التغير وانما لابد من الاحاطة بمجمل العوامل ذات الصلة بتلك الظاهرة.

ولكن يمكن القول بانه يحدث نتيجة لعدة عوامل ، قد يكون لأحد هذه العوامل الهيمنة على العوامل الأخرى ، و تختلف أهمية تلك العوامل باختلاف الظروف و المجتمعات المدروسة[١].

و يتفق اغلب علماء الاجتماع على ان عوامل التغير الاجتماعي لا تخرج عن العوامل التالية :-

١- العامل البيئي او الجغرافي .
٢- السكان و الكثافة السكانية.
٣- العلم و التقدم التقني.
٤- العامل الاقتصادي .
٥- العامل الديني و الايدولوجيا.
٦- الاحتكاك و الانتشار الثقافي.
٧- القيادة الملهمة.

اما المنظور الإسلامي لظاهرة التغير الاجتماعي يعطي الهيمنة للعقيدة الدينية على العوامل الأخرى .وهنا في هذا المبحث سيتم تناول تلك العوامل من خلال المنظور الإسلامي:-

١-العامل الديني و الايدولوجيا.

مما لا شك فيه ان التغير في الأصول الفكرية والمذهبية يؤدي الى تغير بعيد الأثر في النظم والأوضاع الاجتماعية. فللدين اثر كبير في توجيه الإنسان نحو المثل العليا والكمال الخلقي من خلال ما يزود به الأفراد من معتقدات يكون لها بالغ الأثر في تغيير أفكارهم ومفاهيمهم[٢] .

---

(١) مطر، سيف الاسلام علي ، التغير الاجتماعي دراسة تحليلية من منظور التربية الاسلامية ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، المنصورة ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ص ١٥.

(٢) مطر، سيف الاسلام علي ، التغير الاجتماعي ، مصدر سابق ، ص ١٧٧.

لقد أحدث الدين الإسلامي تغييرا اجتماعيا متناميا في الجزيرة العربية . لقد شهد البناء الاجتماعي للمجتمع وقتذاك تراتبا طبقيا و تمييزا عنصريا و انقساما اجتماعيا ، حيث كان المجتمع منقسما على ذاته ، اذ مزقت الصراعات الداخلية بين القبائل روح الوحدة الاجتماعية واتسعت الفروق الاقتصادية تبعا لذلك ، فجاء الإسلام ليقوم بعملية تغيير كبيرة حولت القبائل المتناحرة الى دولة كبرى نقلت للبشرية أرقى نهضة علمية و أعظم حضارة إنسانية[١].

ان الإسلام يتولى تنظيم الحياة الإنسانية بجميع جوانبها لان له تصورا شموليا متكاملا عن الألوهية و الكون و الحياة و الإنسان ، يضمن ذلك التوازن العبادي و الاجتماعي في المجتمع.

لقد برء الإسلام من العصبية القبلية و العنصرية الى جانب برائته من عصبية النسب **(وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)**[٢]فبلغ ذلك مستوى لم تصل اليه الحضارة الغربية الى يومنا هذا. و تعقب الإسلام مظان التفاوت و التفاضل الا بالتقوى و العمل الصالح ، في كل صورها و ملابساتها و اسبابها ، ليقضي عليها جميعا[٣].

و بالعودة الى معطيات الفكر السوسيولوجي نجد تاكيد فيبر M. Weber في هذا السياق على دور الدين في احداث التغير الاجتماعي ، و تعد مقالاته عن الاخلاق البرتستانتية و روح الراسمالية احد الاسهامات الهامة في هذا المجال . فقد حاول فيبر في هذه المقالة ان يناقش العلاقة بين المعتقدات الدينية و الأنظمة الاجتماعية السائدة في المجتمع[٤] ومن يدرس التطور الحضاري عبر التاريخ يجد ان الدين عامل فعال في توجيه و رسم ملامح الحياة الاجتماعية فيها .

٢- العامل البيئي او الجغرافي.

نقصد بالبيئة الطبيعية كل ما يتعلق بالمكان الذي يعيش فيه الإنسان من حيث التكوين و الموقع الجغرافي و التضاريس وما يحيط بها من ظروف طبيعية و مناخية وما يشمل عليه باطن الأرض من مواد اولية . فقد لعبت هذه العوامل دورا اساسيا في الحياة الاجتماعية منذ فجر قيامها و شكلتها الى حد ما وفقا لمقتضياتها[٥] . فغنى بعض المناطق بالموارد الطبيعية و فقر الأخرى يعد عاملا مهماً من عوامل النمو و التغير الاجتماعي ، فاستقلال الإنسان لبيئته

---

(١) الخشاب ، احمد ، علم الاجتماع الديني ، مصدر سابق ، ص ١٧٧.

(٢) رواه الترمذي ، برقم ٢٨٦٩.

(٣) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، مصدر سابق ، ص ٤٦.

(٤) بيوفي ، احمد محمد ، علم الاجتماع الديني ، ط١ ، ص ١٤٦.

(٥) الخشاب ، مصطفى ، الدكتور ، المدخل في علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ١٥١.

الطبيعية ، و استغلاله لقدرته و طاقاته في تسخير تلك البيئة و توجيهها لصالحه عامل اساسي في تحقيق التقدم و الرقي.

اولى الإسلام العامل البيئي اهمية خاصة كونه مسرح مناشط الإنسان اليومية و حاول استغلال هذا العامل في مجالات التغير كافة . فالبيئة الطبيعية في الفكر الإسلامي هي اية و بينة و دلالة وهي كذلك نعمة و رحمة وخير للانسان و جعل بينه و بينها وشيجة الالفة و الانسجام **]مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى[**(١).

لقد سعى الخطاب القراني الى تنبيه العقل البشري و توجيهه الى النظر في البيئة الطبيعية ليصل بذلك الى ان للكون الواسع المحيط به صانعا واجب الوجود عالما حكيما قادرا.

وفي هذه الدعوة اول معالم التغير ، فالمطالبة بالايمان بالله ووحدانيته من خلال الدليل العقلي و الفكر الانساني و الاستدلال و تامل فيما يجري حوله من ظواهر طبيعية(٢) و ذلك يفتح الباب واسعا امام ذهن الإنسان للاستدلال و النظر و التامل و يحثه على استنباط العبر الدالة على قدرة الخالق ووحدانيته ، و اتخاذ ذلك منهج في الحياة و سبيلا في التفكير والعمل . وفي عملية الاستدلال تلك المعلم الاساس للتغيير الاعتقاد و الفكر و الذي يستتبعه تغيير السلوك.

قال تعالى : **]آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُون ۞ [**(٣).

و الخطاب القرآني قد جعل من سنن الله في الطبيعة المتمثلة في القرى المؤتفكة ، و الرسوم الدارسة ، والآثار الصامتة دلائل و بينات ناطقة من اجل الاعتبار و الاتعاظ ، تلفت نظر الإنسان و تحثه على الإيمان . وفي ذلك دعوة الى الاعتبار بمن سبق من الاقوام و التفكير في مصيرهم ، فلا ينحرف اذا تبصر عن شريعة الله ، ولا عن الطريق الذي ارتضاه(٤).

---

(١) طه ،٥٥.

(٢) الزبدي ، كاصد ياسر ، الطبيعة في القران الكريم ، دار الرشيد للنشر ، ط١ ، ١٩٨٠،ص٢١٢.

(٣) النمل : ٥٩-٦٢.

(٤) الزبدي ، كاصد ياسر الطبيعة في القران الكريم ، مصدر سابق ، ص ٢١٣.

]أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ)[1]. وقال تعالى (**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ[**[2].

وفي ذلك دلائل بينة على سنن التغير في الحضارات و الاقوام السالفة ، و التي لم تتبع سبيل الهداية و الرشد الذي يحقق التوازن في عملية التغير و النمو فرغم قوتهم و جبروتهم صاروا الى الهلاك و الدمار و بقت اطلالهم شاهدة للاعتبار. واستخلاف الله للانسان في الأرض ، و تكليفه بحمل الامانة ، سخر له مقابل ذلك كل ما فيها لخدمة تلك الرسالة وهي عمارتها. قال تعالى : **]سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ[**[3] ومعنى تسخيرها انه تعالى خلقها جميعا للانتفاع بها. وقد توصل الباحثين الى ان استخلاف الله للانسان في الأرض و تسخير له كل ما فيها ينطوي على معنى ان الله تعالى اناط بالانسان مسؤوليته عن تغيير نفسه وانه اودع في الناس القابلية لذلك و حمله مسؤولية ما قد يكونون فيه او يصيرون اليه . و السبب في ذلك ان الله تعالى منح الإنسان العقل الذي هو اداة التفكير و التغيير[4] .

واولى الرسول (□) البيئة الطبيعية اهمية فائقة و اكد ان المحافظة عليها امر واجب و استثمار ما فيها لخير جميع الكائنات الحية التي تعيش عليها ، ونهى عن تلويثها او الاسراف و التبذير باستخدام ما فيها لما يلحق ذلك من خلل في التوازن الطبيعي فيها.

فالبيئة الطبيعية هي المحيط الحيوي و الموطن الوحيد لجميع انواع الكائنات الحية المعروفة بما في ذلك الإنسان، وان هذا المحيط الحيوي سيبقى صالحا للعيش الى ان يفقد هذه الخاصية في نهاية المطاف[5].

٣-السكان.

---

(١) فاطر : ٣-٤.

(٢) آل عمران:١٣٧.

(٣) لقمان : ٢٠.

(٤) الملاح ، هاشم يحيى ، الدكتور ، المفصل في فلسفة التاريخ ، المجمع العلمي العراقي ،ط١، ٢٠٠٥ ، ص ١٢٣.

(٥) الدجاني ، احمد صقي ، الدكتور ، الانسان و مستقبل الحضارة ، وجهة نظر اسلامية ، كتاب المؤتمر العام التاسع ، عمان ، ١٩٩٣، ص ٦٩.

تعد القوى البشرية العنصر الاساس الفعال وراء كل تغيير وهي المحركة له و المدعمة لجوانبه المختلفة ، و يتعلق ذلك بخصائص التركيب العمري و النوعي للسكان و انماط التوزيع الجغرافي لهم و معدلات نموهم .

و هناك ارتباط واضح بين حجم السكان و توزيعهم و خصائصهم النوعية و عملية التغير الاجتماعي فيرتبط نسبة الولادات و الوفيات و نسب المنتجين و المستهلكين من افراد المجتمع و نسب المهاجرين من الايدي العالمة و الخبرة في مجال الانتاج من مجتمع الى مجتمع اخر يعد احد اهم عوامل التغير الاجتماعي[١].

وقد اولى الإسلام القوى البشرية اهمية خاصة كونها غاية التغيير و وسيلته فهم حملة الوية التغيير فقد دعى الرسول (□) الى زيادة معدلات النمو السكاني **(تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ)**[٢].

و دعا كذلك تحسين خصائصهم النوعية من خلال ترسيخ عقيدة الإسلام و تهذيب عاداتهم و تقاليدهم و نشر قيم و معايير جديدة و أولى التعليم أهمية خاصة لما له من بالغ الاثر في تحسين خصائص السكان و كذلك دعا الى احتراف المهن و إتقانها كما في ذلك من خدمة للمجتمع الإسلامي و تطوره و تقدمه.

وفي الوقت الذي دعا فيه الإسلام الى زيادة النسل ، دعا الى تحسين النوع ، مما جعله يطالب بان يكون انتخاب الزوجين قائما على سمات (الايمان ، و الاخلاق ، و الاستواء النفسي ، و الابتعاد عن زواج الاقارب) فضلا عن انه يطالب بتحسين النسل في مرحلة الحمل و الرضاعة ، فضلا عن مرحلة الطفولة و الرشد وذلك من خلال التنشئة الاجتماعية و التعليم مما يضمن تحسين النسل عباديا و اجتماعيا[٣].

٤-العلم و التقدم التقني.

للتقدم العلمي و التطور التكنولوجي علاقة مباشرة بعملية التغيير الاجتماعي ، وكلما زادت قدرة الإنسان على الاستخدام العلمي و تطبيقاته العلمية زادرت سرعة التغير الاجتماعي[٤]وما يشهده العالم اليوم من تنامي المخترعات بسرعة مذهلة و تزايد المكتشفات و المبتكرات وما يصاحب ذلك من تغير في كل مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية . فقد تحول العالم من اصقاع مترامية الاطراف الى ما يسمى بـ (القرية

---

(١) مطر سيف الاسلام علي ، التغير الاجتماعي ، مصدر سابق ، ص ١٦.

(٢) رواه ابو داؤد ، برقم ١٧٥٤.

(٣) البستاني ، نمحمود ، الدكتور ، الاسلام و علم الاجتماع ، مصدر اسبق ، ص ١٧١.

(٤) الرشدان ، عبد الله ، الدكتور ، علم اجتماع التربية ، مصدر سابق ، ص ٢٧٣.

الكونية) لا بل يحلو لبعض العلماء ان يسموه بـ(البيت الزجاجي الشفاف) فثورة الاتصالات وما ترتب عليها من ثورة معلوماتية ساهم بشكل كبير في تسارع عملية التغير الاجتماعي بشكل يفوق كل التصورات. وذلك يؤثر بشكل مباشر على اساليب التفكير و انماط العلاقات الاجتماعية و تنظيم المجتمع.

ولما للعلم و الحكمة و المعرفة من اثر في تغيير المجتمعات و تقدمها فقد اعدها الإسلام الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها ، وجعل العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة ، وجعل المعرفة شرطا من شروط الايمان[١].

فامر الرسول(□) بنشر العلم و المعرفة لينقذهم من الضلال و يرشدهم الى طريق الحق . واعد الإسلام ساعة يقضيها العالم في مخبره و الباحث بين كتبه عبادة ، ترقى الى مرتبة الجهاد في سبيل الله او تزيد لذلك جعل الرسول مداد العلماء في منزلة دم الشهداء .

٥-العامل الاقتصادي.

يذهب العديد من المفكرين الاجتماعيين الى ان العامل الاقتصادي هو احد العوامل المهمة في احداث عملية التغير الاجتماعي. لا بل يذهب قسم منهم وعلى راسهم كارل ماركس الى ان العامل الاقتصادي هو العامل الحاسم في التغير وقد وضع نظرية في تطور المجتمعات ترى ان طريقة الانتاج في الحياة المادية هي التي تحدد الصفة العامة لاسلوب الحياة من النواحي الاجتماعية و السياسية و الروحية.

و تشير الدراسات التاريخية و الثقافية المقارنة التي اجريت على العلاقة بين الاقتصاد و المجتمع الى ان الانشطة و العلاقات الاقتصادية لها اهمية اساسية في الحياة الاجتماعية[٢].

لقد اولى الإسلام الجانب الاقتصادي اهمية بالغه ففيه تنعكس تصوراته عن المال و العمل و العدالة و المساواة و الرحمة و التكافل بصوره الناصعة[٣] تتشكل كلها في نظام متشابك مع الانظمة الأخرى بصوره المتكاملة يقود الى تنظيم الحياة الإنسانية تنظيما دقيقا يؤدي الى تحقيق التغيير الاجتماعي المتوازن الذي يحقق الامن و السلام و السعادة.

٦-الاحتكاك و الانتشار الثقافي.

---

(١) عفيفي ، محمد الصادق ، الدكنور ، الفكر الاسلامي ، مبادئه ، منهجه ، قيمه ، اخلاقياته ، مصدر سابق ، ص ٢١٠.

(٢) الرشدان ، عبد الله الدكتور ، علم الاجتماع التربية ، مصدر سابق ، ص ٢٧٤.

(٣) امام ، زكريا بشير ، اصول الفكر الاجتماعي في القرءان الكريم ن مصدر سابق ، صس ٢٠٩.

احتكاك الثقافات المختلفة و الاتصال فيما بينها يؤدي الى انتقال الكثير من عناصر الحياة الاجتماعية و بالتالي يؤدي الى احداث عملية تغير اجتماعي في مناشط الحياة المختلفة.

ان التطور الكبير في وسائل الاتصال في الوقت الحاضر سهل عملية الاتصال بين الشعوب مما اثر بشكل مباشر على سرعة عملية التغير الاجتماعي من خلال انتقال الافكار و العادات و التقاليد.

و الإسلام جعل الاحتكاك و الاتصال الحضاري بين الشعوب و الثقافات سنة من سنن الله في خلقه **]يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا[**(١) فحضارة الإسلام لم تكن حضارة منغلقة على نفسها ، بل كانت حضارة منفتحة على حضارات شعوب العالم لانها رسالة إنسانية عامة فضلا عن ان الإسلام اعد الانفتاح عامل اساس للثراء و التطور الحضاري فجعل **(الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا)**(٢).

وقد قبل الإسلام جوانب كثيرة من حضارات الامم السابقة و يعود ذلك الى سببين:(٣)

اولهما : ان هذه الحضارات فيها جانب من الحق و الفضيلة و حب الخير و بعض القيم الصحيحة التي بذرها الانبياء و المرسلون الذين جاءوا عبر التاريخ الإنساني و بذروا مبادئ الدين الحق في مجتمعاتهم. **(وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ)**(٤)ولان رحمة الله في الإنسان لم تخص جماعة دون جماعة اخرى.

ثانيهما : ان هذه الحضارات كانت ثمرة لجهود الإنسان ، الخليفة المكلف المسؤول من لدن الخالق – ففطرة الإنسان وواقعيته الحيوية دفعته للسير في الأرض واكتشاف قوانين الحياة.

٧-القيادة الملهمة:

ظهور بعض الشخصيات القيادية الملهمة في أي ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية المختلفة يؤثر بشكل فاعل في حركة المجتمع . فالقيادة ظاهرة اجتماعية عامة لا يخلو منها أي مجتمع ، فلا توجد جماعة دون ان يكون هناك نوع او اخر من القيادة لذا كان القائد على امتداد حقب التاريخ ضرورة اساسية لتنظيم المجتمع(٥).

---

(١) الحجرات :١٣.

(٢) رواه الترمذي ، برقم ٢٦١١.

(٣) عبد الحميد ، محسن ، الدكتور ، مذهبية الحضارة الاسلامية و خصائصها ، مصدر سابق ص٦٦.

(٤) فاطر :٢٤.

(5)Jack Rothman. Planning and Organization For Social Change. Colombia university Press New York. 1974P.451.

منح الإسلام القيادة اهمية كبيرة في قيادة عملية التغير و التنظيم الاجتماعي قال الرسول (□) (**اذا كنتم ثلاث أمّروا أحدكم**)[١] فالقيادة امرا ضروريا لانها هي المسؤولة عن توزيع الادوار داخل الجماعة الاجتماعية.و ركز الإسلام على وحدة القيادة و مركزيتها و عدها امرا ضروريا للمحافظة على وحدة الجماعة و تحقيقها لاهدافها[٢].

وفي هذا الاطار كانت قيادة الرسول (□) هي القيادة المركزية للمجتمع الإسلامي ، والتي تتجلى فيها كل سمات الشخصية القيادية الملهمة . والتي كان لها عظيم الاثر على عملية التغيير و التحول الاجتماعي فضلا عن صحابته الكرام الذين كانوا بمثابة المساعدين و المنفذين للسياسات التي كانت يرسمها رسول الله.

كان الرسول (□) القائد و المعلم و المربي الذي يدعو الى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة ، فكان المثل الاعلى و القدوة النموذج لاصحابه و لعامة المسلمين حتى قيام الساعة.

تلك هي اهم العوامل الأساسية للتغير الاجتماعي التي اكد عليها الدين الإسلامي على الرغم من انه اعطى العقيدة الدينية الأولوية و العوامل الأخرى يزداد تاثيرها بمقدار اقترابها من العامل الاول.

---

(١) رواه البخاري بلا رقم.

(٢) النعيمي ، نضال عيسى كريف، المضامين الاجتماعية للحديث النبوي ، مصدر سابق ، ص١٤٠.

المبحث الثاني
طبيعة التصور الإسلامي للتغير الاجتماعي

بداية التاريخ البشري اقترنت بنزول (آدم) ( ) الى الأرض ، و بدا الحياة الادمية عليها . و تولى بعد ذلك نزول الشرائع الالهية التي امر بني ادم باتباعها لضبط سلوكهم الاجتماعي و تحقيق وجودهم الحضاري و اداء واجبهم العبادي.

ومن هنا جاز لنا ان نربط اطوار التغير الاجتماعي بحسب ظهور هذه الشرائع و مراحل تطورها. فتكون قمة مرحلة التطور الاجتماعي و العبادي هي المرحلة التي تلي ظهور تلك الشرائع و تبدا بالانحدار بعد ذلك لتنتهي عند ظهور غيره من الشرائع.

فمثلا قمة مرحلة التغير الاجتماعي و العبادي المسيحي تبدا بانتهاء مرحلة التغيير الاجتماعي و العبادي اليهودي و تنتني بابتداء مرحلة زمن التغير الاجتماعي و العبادي الإسلامي ، و زمن التغير الاجتماعي و العبادي الإسلامي الذي سينتهي بنهاية التاريخ كونه خاتم الاديان .

وان اطوار التغيير الاجتماعي و العبادي ليست درجة واحدة وانما هي درجات فوق بعضها البعض فتكون مرحلة التغير الاجتماعي و العبادي اللاحق اعلى مرتبة من الزمن السابق الذي يطويه بتصويب منهجه والزيادة عليه.

وما يهمنا في هذا المبحث هو طبيعة التصور الإسلامي للتغير الاجتماعي وما هي مراحل سيره.

لقد وضع الإسلام الخطوط العريضة و المبادئ العامة و القواعد الشاملة للتغيير التي لا تخرج اطوار الإنسان في النهاية عن حدودها ، و ترك التطبيقات لتطور الزمن و بروز الحاجات في إطار ذلك ، ولم يحدد حركة الحياة بتفصيلات جزئية مقيدة الا في المسائل التي لا تتغير حكمتها ، والتي تؤدي اغراضها كاملة في كل بيئة ، و التي يريد الله تثبيتها في الحياة البشرية لانها ضمان للخصائص التي يرتضيها لهذه الحياة[1].

و التغير الذي ينبغي ان يحدث اولا وفق التصور الإسلامي هو التغير الذي جعله مهمة القوم وواجبهم و الذي يتساوق مع الامانة و المسؤولية التي اوكلها الله لبني ادم وهي الخلافة في الأرض.

---

(١) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، مصدر سابق ، ص ١٨.

فكانت اول معالم التغيير ، تغيير الافكار و اصلاح النيات لان الافعال التابعة لها مولدة من خلالها **(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)**[١] وذلك اعظم ما جاء به الانبياء ونزلت من اجله الكتب.

سنن التغير الاجتماعي في التصور الإسلامي:

التغير الاجتماعي في التصور الإسلامي ، ظاهرة اجتماعية عامة دائمة الحدوث مستمرة . تقع كلما اكتملت ظروفها و حصلت مقدماتها و اشراطها. وهي ظاهرة ليست عشوائية كما انها ليست حتمية او تحكيمية بل هي سنن مرتبة على ارادة الإنسان و حريته في العمل و الكسب.

فالقوانين و السنن التي تتحكم في تطور الحضارات و الدول او في هلاكها و تدميرها ليست قوانين عشوائية خرساء . و لكنها قوانين تعمل بوعي و ادراك ، لانها تترتب على كسب الناس وعلى نتائج اعمالهم **]وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)**[٢] وقال تعالى **(وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ[**[٣] .

فالمجتمعات لا تتقدم و الحضارات لا تزول و تنهار باقدار الهية فوقية تعسفية ولكنها تنهار بفعل الإنسان[٤]. فالتغيير ليس امرا عرضيا طارئا انما هو صفة الوجود و الحياة حتى في عالم الجماد لا يبقى شيء على حاله[٥] **]سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً[**[٦].

– التغيير الاجتماعي سنة عامة تنطبق على كل البشر شعوبا و قبائل اجناسا و اديانا وهذه القاعدة يخضع لها كل من اخذ باسباب التغيير ، و ليست حكرا على المسلمين.

– المنهج القرآني يتناول ظاهرة التغير كونها سنة اجتماعية لا سنة فردية[٧]**]** **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ[**[٨]. فبالرغم من سياق الآية الكريمة يشير الى ان تغيير الأنفس اساس لتغيير المجتمع الا ان التغير سنة اجتماعية لا فردية ، وقد جاء في الاية الكريمة

---

(١)رواه البخاري و برقم١.

(٢) الرعد : ١١.

(٣) القصص :٥٩.

(٤) امام ، زكريا بشير ، اصول الفكر الاجتماعي في القرءان الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٠٥.

(٥) عبد الحميد ، محسن ، الدكتور ، منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام ، مصدر سابق ، ص ١٨.

(٦) الفتح :٤٣.

(٧) سعيد ، جودت ، حتى يغيروا ما بانفسهم ، بحث في سنن تغيير النفس و المجتمع ، ط٢ ، ١٩٧، ص٣١–٣٦.

(٨) الرعد :١١.

ما يفيد ذلك الجمع (بقوم) فلم يكن القصد فردا وانما الحديث عن قوم ، عن مجتمع له خصائصه و بكل عناصره ثم جاءت الكلمة (ما بأنفسهم) لتشير الى الجمع مرة أخرى لتؤكد المقصود المجتمع و ليس فرداً . قد يتغير الفرد و لكن في هذه الحالة لا يشترط ان يتغير المجتمع طبقا لذلك.وهنا تتدخل مفاهيم اخرى تتعلق بالوعي بقضايا المجتمع و مشكلاته و كيفية مواجهتها بما لدى الأفراد من امكانات و قوى أودعها الله في نفوس افراد ذلك المجتمع. فالتغير الذي يحدث في المجتمع يقوم على اساس العمل الجماعي و ليس على اساس المجهودات الفردية و التي احيانا ما تكون متضاربة لا تؤدي الغرض المطلوب(١).

مسؤولية التغير الاجتماعي تقع على عاتق مؤسسات العمل الجماعي او ما يدعى في الوقت الحاضر مؤسسات المجتمع المدني التي يقع عليها مسألة بلورة الوعي الجماعي لقضايا المجتمع و مشكلاته و الاساليب الكفيلة بمواجهاتها.

– سنن التغير الاجتماعي تاخذ شكل التعاقب الدوري لحركة التغير(٢) **]وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ[**(٣) أي ان هناك حركة دورية للتغير ، ولكنها ليست دورة مغلقة وانما هي دورة مفتوحة النهاية كان تكون على شكل حلزون او لولب ،أي تدور بين التقدم و التراجع . فخط سيرها العام يسير باتجاهين مختلفين ومن خلال دورات مفتوحة على بعضه . فكلما استكملت دورة حضارية اطوارها (من نشوء و ارتقاء و تدهور) انتقلت الى دورة جديدة اكثر تطورا و تقدما من الدورة السابقة في الجوانب المادية ، ولكن اكثر منها تراجعا و نكوصا في الجوانب الروحية و المعنوية ، و اشتملت على الادوار السابقة نفسها لكن تختلف عنها في تفاصيلها الجزئية.

– ومن سنن التغير الاجتماعي في التصور الإسلامي ان الظلم و التحلل القيمي و الاخلاقي من الامراض العضال في خريف أي حضارة برغم عافيتها المادية.قال تعالى**]وَمَاكُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ[**(٤) **]وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً[** (٥) **]وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ[** (٦).

فالحضارات لا تزول ولا تنهار باقدار الهية فوقية تعسفية لكنها تنهار بفعل سلوك افرادها المجانب للحق مما يشكل ذلك ظلماً لانفسهم و اقوامهم ، وايذانا بزوال حضارتهم و القرآن الكريم

---

(١) مطر ، سيف الاسلام ، التغير الاجتماعي ، مصدر سابق ، ص ٢٥.

(٢) الملاح ، هاشم يحيى ، الدكتور ، المفصل في فلسفة التاريخ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٧.

(٣) آل عمران :١٤٠ .

(٤) القصص : ٥٩.

(٥) الكهف :٥٩

(٦) هود :١٠٢.

يلفت نظر المسلمين الى اثار القرى و الاقوام التي دمرها الله بعد ظلمهم انفسهم بتكذيبهم للانبياء و الرسل . فاثار قرى عاد في جنوب الجزيرة و قرى ثمود – قوم صالح – في شمال الجزيرة و تدمير ديار قوم لوط لانحطاطهم القيمي و الخلقي[١]. قال تعالى **]وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ ۞إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۞ [**[٢]. وتلك سنن الله في تغيير و زوال الامم على الرغم من ثرواتها ، واثارها المادية و العمرانية ، بسبب فساد اعتقادهم ، و تحلل قيمهم و اخلاقهم وفساد اعمالهم.

– الايمان والتقوى تساهم في تقدم المجتمعات وفي نشوء الحضارات وازدهارها . تلك سنة من سنن التغير الاجتماعي في الإسلام . قال تعالى : **]وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون[** [٣]

ومعنى التقوى هو الاتقاء والحذر من الوقوع في المكروه او الشرور او الاثام[٤].

– والتقوى في الإسلام هي معيار القرب من الله تعالى **]إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُ[** [٥] فالتقوى هي الامتثال لاوامر الله واجتناب ما نهى عنه وقال تعالى : **]وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[** [٦] وقال رسول الله (□) **(اتَّقِ اللَّـهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**[٧] فالايمان والتقوى هما المحور الأساسي التي تقوم عليه أركان البناء العمراني والازدهار الحضاري.، وهما اعمق دلالة واكثر شمولا واتساعاً من أي دستور من دساتير الامم المتقدمة الان.

– الامم والحضارات كلها لها اعمار . وتلك سنة من سنن الله في الكون والحياة سنة التداول بين الامم وتبادل الادوار بين الحضارات[٨] ليست هناك من امة خالدة ولا حضارة باقية على الزمن ،

---

(١) امام ، زكريا بشير ، اصول الفكر الاجتماعي في القرءان الكريم ، مصدر سابق ، ص ١٠٨.

(٢) الاعراف :٨٠–٨٤.

(٣) الاعراف : ٩٦.

(٤) عفيفي : محمد صادق، د.، الفكر الاسلامي، مصدر سابق، ص١٨٥.

(٥) الحجرات:١٣.

(٦) البقرة : ١٩٤.

(٧) رواه الترمذي ،برقم ١٩١٠ .

(٨) القبرضاوي. يوسف. الدكتور ، الاسلام... حضارة الغد. بحث منشور في كتاب المؤتمر العام التاسع: الانسان ومستقبل الحضارة : وجهة نظر اسلامية . عمان ، ١٩٩٤ ، ص ٣٥٤.

وانما لكل امة اجل محدود، فأذا جاء اجلهم زالوا بعوامل الزوال والفناء التي تعمل بقدر الله ومشيئته[١].

وتلك هي اهم السنن او القوانين التي وضعها الإسلام لتنظيم حركة العمران البشري والتغير الاجتماعي والحضاري. وهذه السنن لها اهمية كبيرة في رصد حركة المجتمع وتبيان اسباب تقدمه وتاخره وتحديد اتجهات مسيرته في المستقبل.

المبحث الثالث

منهاج التغيير الاجتماعي في التصور الإسلامي

ان التغيير العبادي والاجتماعي هو الهدف الأسمى الذي يحث عليه الإسلام ومن اجله انزل الله الكتب وأرسل الرسل. فالمراحل والأطوار التي مرت بها المجتمعات السابقة للإسلام والأقوام التي ذكرها القران كونها سنن تدعم مسيرة البشرية وتساعدهم على تبيان مواطن الضعف والخلل في التجارب البشرية الموغلة في القدم ، كونها تراث من العبر لكل من اراد ان يعتبر. فضلاً عن استخدامه الاستدلال لما هو اقرب الى الحس الإنساني لتحريك منابع المعرفة والتوصل الى الإيمان الذي يقود الى عملية التغيير العبادي والاجتماعي بصورة هادئة وانسيابية.

فالإسلام في منهجه ودعوته اعتمد على استغلال الطاقات التي زود بها الإنسان بصورة كاملة – ثلاثية الوعي الإنساني والارداة– فضلا عن أتباعه الوسائل السنن كلها في عالم العمران المادي والبشري. واعتمد الرسول (□)على ذلك ايضا في نشر دعوته وتحقيق المجتمع الذي أرسل من اجل بناءه الروحي والمادي.

والمعجزات الخارقة لم تكن طريقاً لدعوة رسول الله (□) بل كان طريق دعوته تحريك العقل ودفع الإنسان الى فهم نفسه وفهم ما حوله وإدراك ما موجود من قوانين والاسرار ومحاولة اكتشافها وتسخيرها لصالحة لتحقيق التغيير الذي يسعى اليه[٢].

---

(١) امام زكريا مشير ، اصول الفكر الاجتماعي في القران الكريم ، مصدر سابق، ص١٢٠.

(٢) عبد الحميد ، محسن ، الدكتور ، منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام.، مصدر سابق، ص٢٨.

ان الخطوات الأساسية التي يمكن الاستدلال عليها من خلال آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية والتي تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع وتبدأ بالدنيا وتنتهي بالآخرة في توازن واتساق كاملين .وهي كما يلي:

١- تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق[١]. فإذا تحقق إيمان الفرد بخالقه وامتلاء وجدانه من الشعور بالخضوع والعبادة له انعكس ذلك بشكل واضح على سلوكه ومعاملاته، حيث تنعتق القوة المكنونة في الكيان البشري من الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة[٢]. وهنا يتم التحول الكامل ويرتفع الإنسان على الخضوع المذل لضروراته .

فذلك هو الطريق الاقوم الذي هدف الإسلام من خلاله الى توحيد ضرورات الجسد وأشواق الروح في نظام يكفل التحرر الوجداني . وهذا هو أساس عملية التغيير الاجتماعي المرتكز على تغير ما في النفوس **]إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ[** [٣].

٢- تربية الأفراد وتعليمهم وتدربهم على مواجهة متطلبات الحياة وتطوير سلوكهم وتغيير توجهاتهم مما يؤدي الى شحذ هممهم وتفعيل طاقاتهم لبناء المجتمع المؤمن ومن هنا كانت منهجية الرسول (□) في تغيير المجتمع. فقد قضى ثلاثة عشر سنة وهو يربي أصحابه ويغرس في نفوسهم أحكام الإسلام وقيمه ليشكل النظام الاجتماعي الذي أسست عليه الحضارة الإسلامية بعد ذلك.

ولم ينتقل الرسول (□) الى الرفيق الاعلى الا بعد ان بين للناس ما انزل اليهم من الهدى ودين الحق ، في كل مجالات الفكر والشعور والعمل . قال الرسول (□) **(تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...)**[٤] .

قال احد الصحابة : ان الرسول (□) علمهم كل شيء حتى قضاء الحاجة ، وما يدور بين الزوجين في حجر النوم .ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا وبين احكامها وادابها ، وكيف تكون على احسن وجه[٥]. فضلا عن سعي الرسول (□) عن ايجاد المعلمين الأكفاء الذين ينبثون وسط الناس يعلمونهم ويفهمونهم امور دينهم ودنياهم .

---

(١) مطر ، سيف الاسلام علي، الدكتور ، التغيير الاجتماعي ، مصدر سابق ، ص

(٢) قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الاسلام، مصدر سابق ، ص

(٣) الرعد ، ١١

(٤) رواه ابن ماجة ، برقمه ٤٣.

(٥) الامام زكريا بشير ، اصول الفكر الاجتماعي في القران الكريم، مصدر سابق ، ص ١٨٥.

٣- لقد أحدث الإسلام تغييراً اساسياً وجوهرياً في مركز الأفراد وادوارهم. وقام ذلك على اساس درجة تقواهم وتمسكهم بمبادئ الدين وكفائتهم في ادء الواجبات وتميزهم في القابليات العقلية والجسمية ودرجة بذلهم وعطائهم للمجتمع[١]. بدلا من الاعتبارات الجانبية التي كانت قائمة. مما ارسى قواعد عملية التغيير الاجتماعي من خلال السلوك النموذج .

اعتمد الإسلام على مبدأ الموازنة بينما يقدمه الفرد من جهود وتضحيات وبين ما يحصل عليه من حقوق وامتيازات ومكافأت مادية ومعنوية. فضلا عن مساواة الناس في التقييم والجاه الاجتماعي، ومساواتهم امام القانون والاعراف الاجتماعية. وذلك ما صعب على سادة قريش ومترفيها- المستبدين خاصة- ان يجدوا تعويضا يكافئهم في حالة تخليهم عن كل ما يحيط بهم من سلطة ومكانة وجاه والترف الى دين اخر يتساوى فيه الجميع بعدالة تامة[٢]. وذلك معلم بارز من معالم التغيير الاجتماعي في المجتمع، حيث يتساوى الجميع والتقوى معيار التفاضل.

٤- اشاع الإسلام قيم اجتماعية جديدة وفعل القيم الاجتماعية الاصيلة التي كانت منتشرة في البنية الاجتماعية ، ورفض قيماً اجتماعية اخرى اعدها سلبية لعدم انسجامها مع اهداف ورسالة المجتمع الجديد. ومساهمة الرسول (□) بشكل فعال بترسيخ القيم الاجتماعية الايجابية التي ينبغي على المؤمنين التمسك بها كقيم الصدق في القول والاخلاص في العمل والتعاون والصبر والشجاعة والمروءة والعفة والتفاؤل والعدل والمساواة والايثار والقناعة.

ونبذ القيم السلبية كالكذب والنفاق والنميمة والغيرة والحسد والأنانية وحب الذات والجبن والكسل والغش والتكبر والغرور والتطاول على الاخرين وجلب الضرر والأذى لهم[٣].

وعلى هذه القيم ترتكز الممارسات والأفعال والعلاقات بأنماطها المختلفة . فهذه القيم لا تحدد طبائع المؤمن الأخلاقية فحسب انما تحدد ايضا اتجاهات سلوكه وأنماط علاقاته ومستوى تفاعله مع الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه.

فهذه القيم والاخلاق التي اكدها الرسول (□) انما تتجه في كل احكامها الى تحقيق الأهداف التي تؤدي الى التكامل الاجتماعي القائم على تهذيب وتربية الضمير الاجتماعي الذي يجعل

---

(١) الحسن، احسان محمد ، الدكتور، علم الاجتماع الديني، مصدر سابق ، ص١٤٩.

(٢) كروم ، حسنين، الدكتور محمد ، ونظرية التورية والتنظيم، بحث في كتاب ، محمد نظرة عصرية جديدة. المؤسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٢، ص١٧٢.

(٣) الحسن، احسان محمد.. الدكتور .. علم الاجتماع الديني، مصدر سابق، ص٦٤.

الأفراد مندمجين في الجماعات التي يعيشون فيها بقوة روحية تحكم ميولهم واتجاهاتهم واراداتهم وتوجه عقولهم وضمائرهم[١].

٥- قام الرسول (□) بتنظيم الحياة الانفعالية العاطفية للصحابة ولا سيما في اوقات المحن والحروب والأزمات وموت المقربين إليهم . من خلال تدريبهم على مواجهة متطلبات الحياة بكل اشكالها فضلا عن ان السلوك النموذج الذي كان يتحلى به الرسول (□) كان بمثابة المثال والقدوة الصالحة التي يحتذى به في كل أفعاله وأقواله ليعلم صحابته كيفية مواجهة الشدائد والازمات بجرأة وبثقة عالية بالنفس وبالصبر.

٦- بدا الرسول (□) عملية التغيير الاجتماعي بتنظيم الحياة الاجتماعية من خلال تعزيز العلاقات الاجتماعية في المجتمع المحلي وترسيخ اواصر المحبة ، بدأ من الاسرة مرورا بصلة الرحم والقربة والجوار الى جماعة الاقران والاصدقاء مما يعزز روح المودة والالفة ويخلق التعاون والتكافل الاجتماعي الذي يقود الى عملية تغيير اجتماعي متوازن .

٧- حدد الرسول (□) الاحكام والقواعد الملزمة التي تنظم سلوك الأفراد وممارساتهم اليومية التفصيلية ، ووضح ما هي الواجبات التي يضطلع بها الفرد وحقوقه ، وبين الأسس والمعطيات التي تقوم عليها العدالة والمساواة .

ووضع الرسول (□) الضوابط والتعليمات التي تسير عليها جماعات ومؤسسات المجتمع على اختلاف اغراضها واتجاهاتها ومساراتها التفاعلية والسلوكية وساهمة ذلك في تغيير القواعد والتنظيمات التي كانت سائدة من قبلية وعرفية ودينية متسمة بالضلالة الى قواعد وتنظيمات شرعية اسلامية. ومما نخلص اليه في هذا المبحث ان عملية التغيير الاجتماعي تبدأ من داخل الفرد عن طريق التنشئة على المبادئ والقيم الإسلامية. غير ان هذه التنشئة لا يمكن ان تكون في فراغ بل لابد ان تكون من خلال الاجهزة والمؤسسات البنيوية التي يتكون منها المجتمع كالمؤسسة الدينية والاسرية والتربوية وباقي المؤسسات البنيوية كوسائل الاعلام والمنظمات الجماهيرية والمهنية التي ينبغي ان تضطلع بمهام غرس القيم والمبادئ الإسلامية الفاضلة. وهذه القيم والمبادئ هي التي تحدد معالم سلوكهم وعلاقاتهم الاجتماعية ومهامهم الدينية والتربوية و الدنيوية.

المبحث الرابع

أهداف التغيير الاجتماعي في الإسلام

---

(١) مصدر سابق ، ص١٣٦.

يعد التغيير العبادي والاجتماعي الهدف الرئيس للأديان والذي من اجله انزل الله الكتب وأرسل الرسل لهداية البشرية الى طريق الصراط المستقيم والذي يقود الى عملية تغيير عبادي واجتماعي متوازنة.

فطبيعة الإسلام وظروف نشأته التاريخية كلها جاءت بصالح تلك العملية التي يروم الإسلام تحقيقها. لقد نشأ الإسلام في ارض لا سلطان لا إمبراطورية ولا لملك عليها ونشئ في مجتمع بدوي قبلي ليس به اوضاع او قوانين من نوع ما كان في الإمبراطورية الرومانية. وكان هذا انسب وضع لهذا الدين في نشأته الأولى. ليتولى عملية التغيير العبادي والاجتماعي التي يسعى من خلالها الى تكوين المجتمع الإسلامي النموذج الذي يطمح اليه بلا عوائق حقيقة ويتولى روحه وضميره كما يتولى سلوكه ومعاملاته، ويضع له قوانينه ونظمه، ليجمع بين الدين والدنيا في توجيهاته وتشريعاته وليعيش في ضمير الفرد كما يعيش في واقع الجماعة. ولا ينفصل فيه السلوك العملي عن الوازع الديني ، فجوهره واحد وان اختلفت مظاهره ومسالكه[١].

للانسان دور اساسي في احداث التغيير الاجتماعي المطلوب. لقد خلقه الله حراً ذا مشيئة واختيار وجعله مكلفا بخلافته في الأرض، وانعم عليه بالسمع والبصر والفؤاد والإرادة والتكوين البدني القويم وسخر له الكون كله لخدمته ، وبعد ذلك ارسل الرسل لتهديه . ولو لم يكن للانسان هذه القدرة على عملية التغيير ما اسندها الله سبحانه تعالى اليه .

فلقد هيئ الإسلام للانسان من خلال مقاصدة الجامعة ومبادئه المتوازنة واحكامه العادلة وفقهه الرحب مناخاً صالحاً تنطلق فيه مواهبه وتنموا فيه خصائصه وتزدهر فيه فضائله. ليحمي دينه ونفسه وعرضه وماله وعقله ونسله بما شرع الله من احكام ، وما فرض من فرائض اقام بها الموازين القسط بين الناس[٢]تهدف عملية التغيير الاجتماعي الى ما يلي:

اولا : صياغة شخصية الفرد المسلم صياغة كاملة ، حتى تكون تجسيدا حيا وامیناً ، واعيا لمفاهيم وقيم وتعاليم الإسلام[٣]. لتنتظم الجوانب الانفعالية والعاطفية لتلك الشخصية بشكل متوازن ، فتجعله سوي النفس ، لا يبطره الغنى، ولا يذله الفقر، لا تسحقه الهزيمة ، ولا يطغيه النصر، ولا تزلزله الصعاب والمصائب، فهو مطمئن القلب متفائل لا ييئس ، لإيمانه واعتماده على القوي المقتدر ويقينه الدائم ان مع العسر يسرا.

---

(١) قطب، سيد ، العدالة الاجتماعية في الاسلام، مصدر سابق ، ص١١.

(٢) القرضاوي، يوسف، الدكتور ، الاسلام....حضارة الغد، مصدر سابق، ص٣٨٧.

(٣) امام، زكريا بشير، اصول الفكر الاجتماعي في الاسلام، مصدر سابق، ص١٨٨.

يتعامل مع من حوله بما يرضي خالقه ، ويعلم ان عليه حقوقا لازمة، نحو نفسه ووالديه واولاده ، ونحو اقاربه وجيرانه ونحو مجتمعه وابناء دينه ، ونحو بني جنسه من البشر، وليس ذلك فحسب بل عليه حقوقا حتى نحو الحيوانات المسخرة لخدمته[١].

وقوام هذه الشخصية الجوانب التالية[٢].

- الإيمان بالله وعدم الإشراك به.
- الاستقامة والحفاظ على الأمانة و العدل و الإنصاف.
- الابتعاد عن البغي والعدوان والغرور والتكبر والحسد والغيرة والغيبة والنميمة.
- الاعتدال في الإنفاق والابتعاد عن الشح والتقتير وعن الإسراف والتبذير.
- القناعة والعفاف ، وضرورة التمسك بالصبر.

ثانيا: تحقيق الوحدة العقائدية والفكرية والكفاحية بين افراد الجماعة الاجتماعية . فالإيمان الحقيقي بمبادئ هذا الدين يؤدي الى اشاعة الوحدة والتفاهم والتعاون والتعاطف والتراحم بين ابناء الجماعة الاجتماعية . فيتالم واحدهم لالم الاخريين ، ومثلهم في ذلك مثل الكيان العضوي الذي اذا اصيب عضوا تاثر الكيان العضوي بأكمله. يقول الرسول (□):**(تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**[٣]. ويؤكد هذا الحديث على اللحمة الاجتماعية والتكامل وعلى الاعتمادية المتبادلة بين اعضاء الكيان الاجتماعي وعلى التساند الوظيفي فيما بينهم.

ويهدف المنهج الإسلامي للتغيير المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية لترسيخ وحدة الجماعة وتعزيز تماسكها، يقوم على اساس التيسير والتبشير لا على التعسير والتنفير وعلى اساس التعارف والتواد والتراحم لا على التعصب والعنف ، وعلى الجد والمثابرة والعمل لا على المناكفة والجدل وعلى البذل والتضحية والعطاء لا على النفاق والادعاء وعلى الإبداع والاجتهاد والتجديد لا على التقليد والجمود، وعلى الالتزام والانضباط لا على الانحلال والتسيب[٤]،وثمرة ذلك جماعة اجتماعية متكافلة متكاملة لتكون نواة مجتمع حضاري إسلامي .

والتصور الكلي والشمولي لعملية التغيير الاجتماعي في المنظور الإسلامي تعطينا دلالة على تكامل الجماعات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع، وانها كل لا يتجزأ وانها لا تعمل عملا مثمراً الا وهي متكاملة الاجزاء متساندة الوظائف.

---

(١) القرضاوي،يوسف ، الدكتور، الاسلام... حضارة الغد.مصدر سابق، ص٣٨٥

(٢) الحسن، احسان محمد، الدكتور ، علم الاجتماع الديني، مصدر سابق ، ص٦٧-٧١.

(٣) رواه بخاري لرقم ٥٥٥٢.

(٤) القرضاوي، يوسف، الدكتور ، الاسلام...حضارة الغد.مصدر سابق .

ثالثا: بناء مؤسسات ونظم اجتماعية على اسس اسلامية وفي كل مجالات الحياة وتفعيلها لانجاز عملية التحول الاجتماعية المطلوب[١]فالمبادئ والقيم والمعايير الإسلامية التي نبغي ان يتعلمها الفرد من القرآن الكريم والسنة النبوية والشريعة الإسلامية لا يمكن ان تتم في فراغ بل لابد ان يكون من خلال مؤسسات ونظم اجتماعية قائمة على اسس اسلامية. فالتغيير لابد ان يبدأ بالمؤسسات والنظم ، حتى ينال الفرد نصيبه من التغيير.

رابعاً: قيام المجتمع اسلامي النموذج ، الذي ينبثق نظامه الاجتماعي من طبيعة تصوره الاعتقادي، ليتجه الى نوع من الوحدة المنظمة المستندة على العقيدة السليمة التي تساهم في تعميق احساس الفرد العبادي وتعزيز العلاقات الاجتماعية فيما بينهم وتشكل شعورهم ووعيهم الجمعي والذي ينبثق من ممارستهم لشعائرهم الدينية[٢] .

يقوم هذا المجتمع على عقيدة أساسها التوحيد، وعبادة جوهرها الإخلاص في النية والفعل، واخلاق فاضلة منسجمة مع الفطرة السليمة، وشريعة هدفها العدل ، ورابطة أساسها الإخاء في الإنسانية[٣].

مجتمع انساني ، تحترم فيه كرامة الإنسان وادميته ، اساسه العمل الصالح ومن هنا فان الإسلام جعل العمل المعيار الحقيقي في الحياة، فكل مغنم او مال لا يكون ناتجاً عن جهد بشري فكري او عضلي يبذل فيه فهو مرفوض. لان الإنسان المستخلف يثبت بعمله حقيقة وجوده وانسانيته ولذلك فانه حرم عليه التمتع بثمرات اعمال غيره. لان ذلك يؤدي الى الاستغلال وتعطيل الطاقات وإلحاق أضرار جسيمة بعملية التغيير الاجتماعي والتقدم الحضاري[٤].

خامسا: قيام حضارة إسلامية عالمية، تقوم على العدل ، الإنصاف[٥]، وتؤمن بان الناس كلهم عباد الله . فالله رب العالمين وليس رب المسلمين فقط. وتعترف بثقافات الآخرين ، وبتميزهم الديني والعرقي. حضارة تؤكد ان التعددية هي الأصل والقاعدة، وهي السنة الإلهية–الأزلية والأبدية– في ميادين الاجتماع الإنساني وشؤون العمران البشري[٦].

---

(١) امام ، زكريا بشير، اصول الفكر الاجتماعي في الاسلام، مصدر سابق، ص١٨٨.

(٢) قطب، سيد، العدالة الاجتماعية في الاسلام، مصدر سابق، ص

(٣) القرضاوي ، يوسف، الدكتور ، الاسلام....حضارة الغد، مصدر سابق ، ص٣٩٢.

(٤) عبد الحميد، محسن، الدكتور ، منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام، مصدر سابق، ص١١٢–١١٦.

(٥) امام، زكريا، بشير، اصول الفكر الاجتماعي في الاسلام، مصدر سابق، ص١٨٨.

(٦) عمارة، محمد، الدكتور، عالمنا: حضارة واحدة او تعددية في الحضارات، كتاب المؤتمر العام التاسع لمجتمع الملكي للبحوث الحضارة الاسلامية.. الانسان والمستقبل الحضارة ، وجهة نظر الاسلام ، عمان ١٩٩٣، ص٤٦٩.

المبحث الخامس

مسار عملية التغيير الاجتماعي في التصور الإسلامي:

التاريخ البشري على سطح البسيطة يبدأ بنزول (ادم) (□) الارض وخلق حواء ومن نسلهما بدأت الحياة الآدمية ومسيرتها التاريخية. وتولى بعد ذلك نزول الشرائع الالهية باعتبارها مناهج التي امر البشر باتباعها لضبط سلوكهم الاجتماعي وتحقيق وجودهم الحضاري، ومن خلال ذلك يمكن ان نربط مسار حرك التغيير الاجتماعي صعودا او هبوطاً بظهور هذه الشرائع وفي تصور الإسلامي ان اطوار او مراحل عملية التغيير العبادي والاجتماعي ليست واحدة. وانما هي مراحل واطوار بعضها فوق بعض. فتكون مرحلة التغيير العبادي والاجتماعي اللاحق اعلى مرتبة من المراحل السابقة لانه يطويها ويصوب منهجها ويزيد عليها.

فتكون قمة مرحلة تغير العبادي والاجتماعي هي المرحلة التي تعقب ظهور الدين مباشرة وبعد ذلك يبدأ مسار حركتها بالانحدار لتنتهي عند ظهور غيره من الشرائع[١].

فقمة مراحل التغيير العبادي والاجتماعي المسيحي تبتدأ بعد ان دب الهزال والتحريف في حركة التغيير العبادي والاجتماعي اليهودية . و بعد ان دب الضعف في حركة التغيير المسيحية وشبها التحريف، ابتدأت مرحلة التغيير العبادي والاجتماعي الإسلامي والتي وصلة قمة تطورها في العقود الاربعة الأولى لظهورها ، ثم يتولى مرحلة سيرها من خلال ما يمكن ان نسميه بـ (الدورات الروحية) في حياة المجتمع الإسلامي[٢]. ثم يأخذ اتجاه تلك الدورات بالانحدار والتناقص حتى يصل تاريخ البشرية الى نهايته، ويأتي اليوم الذي يرث الله فيه الأرض ومن عليها . قال رسول الله (□) **(خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...)** ثم قال رسول الله (□) **(إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ)**[٣].

وتأكيداً الى لرعاية العناية الالهية للبشر دئماً قال رسول الله (□) **(إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)**[٤] ومن يطالع الوقائع الاجتماعية الذي يعيش فيه

---

(١) عبد الرحمن، طه، الدكتور، روح العولمة والاخلاق المستقبل، مجلة اسلامية المعروفة، يصدرها المعهد العالي للفكر الاسلامي، بيروت، العدد ٢٦، لسنة ٢٠٠١، ص ١٦١.

(٢) الملاح، هاشم يحيى، الدكتور، المفصل في الفلسفة التاريخ، مصدر سابق ، ص٢٨٦.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٤٥٧.

(٤) رواه ابو داود برقم ٣٧٤٠

المسلمون اليوم ويقرا الاحاديث النبوية التي تتعلق بالفتن وبأشراط الساعة لا يحتاج الى كبير جهد للتأمل والتحليل ليدرك مقدار الانحلال الذي وصلت اليه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر، لكن تبقى الارادة الالهية وعنايتها فوق كل تصور واحتمال، لهذا يصعب على المرء ان يخضع حركة التاريخ لقياس بالمسطرة و والفرجال.

ان للإسلام تصوراً واقعياً لحركة التاريخ البشري حيث يبين ان الأغلبية تقف دائما بمواجهة عملية التغيير العبادي والاجتماعي الذي تقوده القلة الطليعية الرائدة] **وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**)[1] و قال تعالى (**ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۞** [[2]. نظراً لما تتطلبه عملية التغيير من صبر و مجاهدة للنفس لا يحتمله الكثيرون ، (حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات)[3].

ومسار عملية التغيير في التصور الإسلامي يقوم على اساس روحي وقيمي في المرتبة الأولى ، باعتبار ان الجانب المعنوي هو الذي يقود الجانب المادي وليس العكس، مما ارسى بنيان الحضارة الإسلامية احدثت تغييرات جذرية باتباعها مسارا تطوريا ارتقائيا متوازنا يرقى بالمجتمع بحركة منسقة من حالة الى اخرى اكثر توازنا عباديا واجتماعيا.

وحينما خرجت الحضارة الغربية في التطور على القيم الروحية متنكرة للدين مستخفة بالقيم الخلقية التي لا تستقيم بدونها المجتمعات ، فقدت الاستقرار والطمأنينة وسادها القلق والتوتر والاضطراب على الرغم من تقدمها المادي والعلمي الكبير[4].

ان هذه الفلسفة الاخلاقية التي سادة الحياة الغربية المبنية على المادية والنفعية تعد من اهم الأخطار التي يمكن ان تهدد مستقبل تلك المجتمعات ، من خلال اتخاذها (اللذة مبدا في الحياة) لذة لا تحترم دينا ولا خلقا ولا علما ولا تلقي بالاً لروابط الأسرة والمسؤوليات الاجتماعية[5].

لقد ولدت تلك النزعة امراض وعلل نفسية واجتماعية وبايولوجية مختلفة، منها الاباحية والادمان والاغتراب والانتحار، والجريمة والتحليل القيمي والاخلاقي والتفكك الاسري، وتفشي خطر انتشار بعض الاوبئة والامراض البايولوجية المختلفة الناجمة عن تلك النزعة وعلى سبيل المثال لا الحصر مرض نقص المناعة المكتسب (الايدز) الذي يهدد الملايين. كذلك انتشار

---

(٥) المؤمنون : ٧٠.

(٦) الواقعة :١٣-١٤.

(١) وراه مسلم برقم ٥٠٤٩.

(٤) بن منصور، عبد الوهاب، الحضارة والاخلاق، كتاب المؤتمر العام التاسع لجمتمع الملكي للبحوث للحضارة الاسلامية، الانسان ومستقبل الحضارة ، وجهة نظر الاسلامية ، عمان، ١٩٩٣، ص٤٢٢.

(٥) عبد الحميد ، محسن، منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام، مصدر سابق، ص

الانحراف والشذوذ الجنسي كالزواج المثلي (زواج الرجل بالرجل) او زواج النساء بالنساء والذي باركته بعض الكنائس وان بعض القسس قاموا بمباركة هذه العقود[١].

ان بعض الانحراقات والامراض الاجتماعية الخطيرة أخذت تتمأسس في مفاصل النظام الاجتماعي الغربي(أي اضفاء الطابع المؤسسي عليها) من خلال نظام هرمي في النزوة والقوة والمعروفة. وقد بلغ تغلغل تلك السلوكيات المنحرفة ابعاد عميقة أصبحت معها بقاء حياة البشر بخطر . مما دعا عقلاء الغرب للإعراب عن شعورهم بالخطر الداهم الذي يهدد الحياة بأسرها، وهذا اشبيخلر يؤمن ايمانا جازما بان الجنس البشري على ظهر هذا الكوكب مقبل اكيدأ على الفناء في وقت قريب ، وان تدهور الحضارة الغربية سيجر الحضارة معه حتما تدهور الحضارة الإنسانية باكملها[٢].

ومن اللافت للنظر ان مرض تلك الحضارة وعللها الاجتماعية بدات تاخذ بالانتشار الى الحضارات و المجتمعات الأخرى . نتيجة الى تقدم العلمي والفني في المجتمعات الغربية ساهمة في اغراق المخيلة الجماعية بمنتجاته الثقافية والاجتماعية التي ثبتتها الفضائيات ليلا ونهارا وبما تحمله من انماط فكرية وسلوكية وعادات التي تغلب كل معطى سابقا وتجرد المتلقي من كل خصوصية واصالة، وتجلى الظفر الغربي ههنا في تمثيل المجتمعات المختلفة وبما فيها الإسلامية هذه الانماط في صدور ابناءها[٣].

واشار رسول الله (□) الى عملية الغزو الفكري والثقافي تلك. وقال :(**قَالَ لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ)**[٤].

قال رسول الله (□) (**اذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة ، وكثرة التجارة، وكثرة المال وعظمة رب المال وكثرة الفاحشة وكثرة النساء وجار السلطان، وطفف في الميزان والمكيال، ويربى الرجل جرو كلب خيرا من ان يربى ولداً له، ولا يوقر كبيراً ولا يرحم صغيراً ويكثر اولاد الزنا حتى ان الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطرق فيقول أمثالهم في ذلك الزمان لو اعتزلتما عن الطريق، ويلبسون جلود الظأن على قلوب الذئاب أمثالهم في ذلك الزمان المداهن)**[٥].

---

(١) القرضاوي، يوسف ، الاسلام..حضارة الغد، مصدر سابق، ص٣٩٨.

(٢) شبيخلر ، ازوالد، تدهور الحضارة الغربية، ج١ ، ترجمة احمد الشيباني، بيروت ١٩٦٤.

(٣) عبد الرحمن، طه، روح العولمة واخلاق المستقبل، اسلامية المعروفة، المعهد العالي للفكر الاسلامي ، العدد ٢٦، لسنة ٢٠٠١.

(٤) رواه البخاري ، برقم ٦٧٧٥

(٥) رواه الحاكم، في المستدرك، برقم٥٤٦٥.

اشار رسول الله (□) الى انتشار هذه الأنماط السلوكية والتي تمثل ابراز انماط الحياة الغربية وسلوكياتها في الوقت الحاضر في المجتمعات الإسلامية.ان موقف الاسلام من الاحداث و المستجدات التي يمكن ان تحصل خلال مسار عملية التغيير الاجتماعي يظل محكوما بمبادئ عبادية واجتماعية تضع في الاعتبار مدى الفائدة المترتبة على إحداث التغيير او التكييف معه او رفضه. ومن يقرا أحاديث الفتن واشراط الساعة يدرك مسار عملية التغيير وما ينجم عنها من مشاكل اجتماعية تصيب بنية المجتمع الإسلامي وتؤدي الى اختلالات هيكلية تهدد مستقبل الحياة الاجتماعية فيه .

ولم تقف الاحاديث النبوية عند حدود التنبؤ بمسار عملية التغيير ، بل تضمنت مناهج واساليب مواجهة الاضرار الناجمة عن عملية التغيير تلك.

قال رسول الله (□)

- (إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)[١].

-(ثم اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا الا حرصا ولا يزدادون من الله الا بعدا)[٢].

- (ان لكل امة فتنة وان فتنة امتي المال)[٣].

- (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)[٤].

- (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا وَحَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لَا يَخَافُ إِلَّا ضَلَالَ الطَّرِيقِ وَحَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْقَتْلُ)[٥].

- (لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة وتخوين الأمين ويؤتمن الخائن)[٦].

- (إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ)[٧].

---

(١) رواه المسلم برقم ٤٢٤٩

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٧٩١

(٣) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٧٨٩٦

(٤) رواه مسلم برقم ١٦٨١

(٥) رواه احمد ٨٤٧٧

(٦) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٢٥٣.

(٧) رواه مسلم برقم ٤٨٢٦.

-(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ)[١].

- (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ)[٢].

- (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَأْكُلُونَ الرِّبَا فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ)[٣] .

- (سيصيب امتي داء الامم ، فقالوا يا رسول الله وما داء الامم قال الاثر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي)[٤].

- (فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ)[٥].

- (أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ... فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ)[٦].

-(يوشك ان يؤتي زمان يغربل الناس فيه غربلة، ويبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا وكانوا هكذا وشبك اصابعه، قال فكيف تامرنا يا رسول الله قال تاخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون وتقبلون على امر خاصتكم وتدعون امر عامتكم)[٧].

- (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)[٨].

من خلال استعراض جمهرة الأحاديث النبوية الشريفة التي مر ذكرها بغية استنباط رؤيا سوسيولوجيا لمسار عملية التغير العبادي والاجتماعي، لتظهر امامك جميع التجليات المجتمعة الناجمة عن التدافع البشري في تحصيلهم لزينة الحياة الدنيا ونيل حضوضهم منها. لترى كيف تسير البشرية الى نهاية التاريخ بخطا حثيثه عبر منهجها الجديد الذي اعطاها العلم وافقدها الدين .. ووهبها العقل وسلبها الإيمان ...و سخر لها المادة وحرمها الروح ... منحها متع الحياة الدنيا وأنساها الآخرة ..منحها حق القوة فأهملت قوة الحق ..و منحها الحرية وسلبها الاخلاق.

---

(١) رواه بخاري برقم ٩٧٨

(٢) رواه مسلم برقم ٥١٧٧

(٣) رواه النسائي برقم ٤٣٧٩.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٧٣١١.

(٥) رواه البخاري برقم ٥٧.

(٦) رواه مسلم برقم ٢٠٦.

(٧) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٨٣٤٠.

(٨) رواه مسلم برقم ٢٠٨.

اما الفكر الاجتماعي الإسلامي قدم للبشرية منهجا تكون فيه العقيدة السليمة والأخلاق القويمة صمام امان مسيرته لحفظ الدين والنفس والعرض والمال والعقل والنسل . منهجا يتميز بالتوازن الكامل دونما إفراط ولا تفريط ، والذي لم يسلم منها منهج بشري قط .

الفصل التاسع

الخلاصة و الاستنتاجات

المراجع العربية و الإنكليزية

الخلاصة و الاستنتاجات

تتألف هذه الاطروحة من تسعة فصول علمية ، تبدأ بالفصل الخاص بالمفاهيم و المصطلحات العلمية وهي الفكر والفكر الاجتماعي و القيم الاجتماعية ،و العلاقات الاجتماعية ، و التوازن الاجتماعي ،و الحديث النبوي الشريف ، و فصل الدراسات السابقة التي تناولت الفكر الاجتماعي او احد عناصره في الإسلام و التي كانت دراسات عراقية و عربية و أجنبية و الفصل الخاص بالإطار النظري و المنهجي . ثم تناولنا في فصل خاص الفكر الاجتماعي في الشرق القديم و التي تعبر عن مراحل تطور الفكر الاجتماعي في الشرق و عملية الاتصال و التواصل و عملية التأثير و التأثر بين الحضارات التي سبقت حضارة الإسلام بدءاً بحضارات وادي الرافدين (العراق القديم) فضلا عن الحضارات المصرية و الهندية و الصينية والفكر الاجتماعي في الديانات السماوية التي سبقت الإسلام اليهودية و المسيحية ثم أفردنا فصل خاص عن الإنسان في الفكر الاجتماعي الإسلامي تضمن أصل كلمة إنسان و دلالتها ، و عملية خلق الإنسان و تكوينه فضلا عن الطبيعة البشرية . اما الجماعة فكان لها ايضا فصلا متميزا لان الجماعية هي جوهر الإسلام و روح تسري في كل مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي و تم التأكيد على الجماعات الأربع و الأساسية في حياة الهيئة الاجتماعية كالأسرة و الأقارب و الجيرة و الأصدقاء فضلا عن مبحث خاص عن مظاهر الجماعة في شعائر الإسلام.

و المجتمع في الفكر الاجتماعي الإسلامي خصص له الفصل الثامن و تضمن علاقة الفرد و الجماعة في المجتمع و البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي و خصائص المجتمع الإسلامي و سماته وتم التطرق إلى العملية التي من خلالها يتم تكوين المجتمع الإسلامي و المنهاج الذي اعتمده الإسلام في ذلك . و تضمن هذا الفصل عوامل التغيير الاجتماعي و طبيعة التصور الاجتماعي لهذه العملية و المنهاج المستخدم فيها و أهدافها فضلا عن مسار تلك العملية.

ومن خلال دراستنا لبعض عناصر الفكر لاجتماعي في الحديث النبوي ، لابد ان نشير الى أهم الاستنتاجات:-

- ان الفكر الاجتماعي في الشرق القديم فيه جوانب من الحق و الفضيلة و حب الخير و العديد من القيم الصحيحة التي بذرها الأنبياء و المرسلون الذين جاءوا عبر التاريخ الإنساني و بذروا مبادئ الدين الحق في مجتمعاتهم ، لان رحمة الله بالإنسان لم تخص جماعة دون أخرى . على الرغم من الأهواء البشرية قد حرفت الكثير من المبادئ الصحيحة للأنبياء و المرسلين ، الا ان آثارهم الربانية بقيت تؤثر في مجالات حركة

الإنسان و المجتمع . فضلا عن عملية التأثير و التأثر المتبادل بين حضارات الشرق القديم.

- ان النزعة الاجتماعية لدى الإنسان مركوزة في وجدانه ، و فهو لا يقوى على العيش في وحدة و انعزال ، وسمي الإنسان الإنسان من الإنس ، أي من ميله الفطري الى التآلف و التآنس و التجانس و التساكن . وان النزعة الى الجماعة و الاجتماع تتجاوز الإنسان الى الحيوان عموما .
- ان الطبيعة البشرية في الفكر الاجتماعي الإسلامي ثنائية التكوين و تتألف من عنصرين هما المادة التي خلق منها ، (الطين) و الروح التي نفخها الله فيه. فهو مكون من عنصرين أساسيين هما الجسد و الروح . و الجسد هو عبارة عن المحصلة النهائية لما ورثه عن أبويه و أسلافه من مقومات فاعلة و منفعلة بمتغيرات ظروف البيئة المحيطة (الطبيعية والاجتماعية). اما الروح فهي جوهر الإنسان و حقيقة الادمي وهي أسمى من الجسد يتلقاها الإنسان من الله.
- الطبيعة البشرية في الفكر الاجتماعي الإسلامي بفطرتها حيادية فهي ليست خيرة او شريرة ، بل لها ميل و استعداد للخير و الشر وهي لا تتغير طبيعتها وانما يتغير التوجه و التدريب (النشأة الاجتماعية) الذي يرجح احد الاتجاهين على الآخر.
- لقد نظر الإسلام الى الإنسان من خلال وجوده الاجتماعي ، و أحاطه بكثير من التدابير التي تعزز وحدة الجماعة الاجتماعية و تصون تضامنها و تحقيق تكاملها فالروح الجماعية سعى الإسلام الى بثها في جميع مفاصل الكيان الاجتماعي الإسلامي ، و دعا الى كل ما يشيع هذه الروح بين أفراد الجماعة المسلمة و نهى عن كل ما يؤدي الى الشقاق و الفرقة .
- لقد أرسى الإسلام قاعدة متوازنة في العلاقة بين الفرد و الجماعة بحيث يمكن ان يقوم مجتمع نموذج على تلك العلاقة ، وصاغ الإسلام هذه العلاقة وفقا للأسس الروحية و النفسية و السلوكية مما يؤدي الى خلق التوازن الاجتماعي.
- يؤكد الفكر الاجتماعي الإسلامي على التلازم الوثيق بين التصور الاعتقادي و طبيعة البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي. لان المسلم يتلقى موجهاته الفكرية و السلوكية من خلال العقيدة التي يؤمن بها . فتتأسس على ضوئها المؤسسات الاجتماعية في مجالات الحياة المختلفة.
- تعد عالمية المجتمع الإسلامي و إنسانيته واحدة من اهم خصائصه فهو مفتوح لجميع بني البشر أي انه مجتمع لا يقوم على أساس عنصري ولا طائفي ولا طبقي بل هو

مجتمع يقوم على أساس العقيدة الإسلامية موجهة من الله سبحانه و تعالى الى العالمين كافة.

- لقد تميز المجتمع في التصور الإسلامي عن غيره من المجتمعات بحرصه على مراعاة العدالة الاجتماعية و اعتمادها في تنظيم شؤون الحياة ، و تحديد العلاقات و الممارسات الاجتماعية . حتى أصبح بحق مجتمع العدالة الاجتماعية النموذج الذي يحتذى به . فهي عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة و مقوماتها لانها قائمة على المنظور الإسلامي الشمولي للإلوهية و الكون و الحياة و الإنسان .

وسعى الإسلام الى تنمية الشعور الداخلي للفرد باستحقاقه لها و بحاجة الجماعة اليها فضلا عن وجود عقيدة ترشد الى انها تؤدي الى طاعة الله والى تحقيق واقع اجتماعي أفضل . فبهذا سعى الإسلام الى تهيئة الواقع الميداني لها من خلال التحرر الوجداني للفرد و التكامل الاجتماعي للجماعة و المساواة الإنسانية في المجتمع.

- التوازن و الاعتدال سمة من سمات المجتمع الإسلامي وهي جزء من ظاهرة التوازن و الاعتدال التي خلقها الله في الكون كله . فهي قائمة في الجانب العبادي كما هي قائمة في التشريع الإسلامي و نظامه القانوني الاجتماعي .

فأقام الإسلام نظامه العبادي و الاجتماعي على التوازن و الاعتدال منظور فيه الى كل جوانب الكينونة البشرية و منظور من خلاله الى توازن هذه الجوانب و تناسقها و انسجامها مع كل أطوار الحياة الاجتماعية و ظروفها.

- اعد الإسلام التغيير الاجتماعي من السنن الاجتماعية العامة وهو ليس امرا عرضيا طارئا انما هو صفة الوجود و قانون الحياة حيث لا يبقى شيء على حاله . و التصور الإسلامي لعملية التغيير الاجتماعي يعطي الأولوية و الهيمنة لعامل العقيدة الدينية على عوامل التغيير الاجتماعي الأخرى لانه هو الذي يقودها الى حيث غايتها الأساسية.
- وضع الإسلام الخطوط العريضة و المبادئ العامة و القواعد الشاملة للتغير و التي لا تخرج أطوار الإنسان في النهاية عن حدودها و ترك التطبيقات لتطور الزمن و بروز الحاجات في إطار ذلك ، ولم يحدد حركة الحياة بتفصيلات جزئية مقيدة الا في المسائل التي لا تتغير حكمتها و التي تؤدي أغراضها كاملة في كل بيئة و التي يريد الله تثبيتها في الحياة البشرية لانها ضمان للخصائص التي يرتضيها لهذه الحياة.
- التغيير الاجتماعي في التصور الإسلامي سنة اجتماعية لا فردية و سنة دنيوية لا أخروية ، وهي تأخذ شكل التعاقب الدوري لكن هذا التعاقب الدوري ليس مقفلا بل هي دورات مفتوحة في النهاية فخط سيرها العام يسير باتجاهين مختلفين . وكلما استكملت

دورة حضارية أطوارها ، انتقلت الى دورة جديدة أكثر تقدما وتطوراً من الدورة السابقة في الجوانب المادية، ولكن أكثر منها تراجعا ونكوصاً في الجوانب الروحية والمعنوية.

- اعد الإسلام عملية التغيير الاجتماعي الهدف الأسمى الذي من اجله انزل الله الكتب وأرسل الرسل. واعتمد الإنسان في منهجه على استغلال كل طاقات الإنسان وقدراته وإمكانياته التي زوده الله بها وتحقيق عملية التغيير الاجتماعي الناجز الذي حقق الخير للبشرية ، اعتمد الإسلام في ذلك على ترسيخ العلاقة بين الإنسان وخالقه فكلما تعززت تلك العلاقة ورسخ إيمان الشخص انعكس ذلك على سلوكه ومعاملته .
- أحدث الإسلام تغييراً أساسياً وجوهرياً في مراكز الأفراد وأدوارهم واقام ذلك على أساس درجة تقواهم . وتمسكهم بمبادئ الدين وكفاءاتهم في أداء الواجبات وتميزهم في القابليات العقلية والجسمية ودرجة بذلهم وعطائهم للمجتمع.
- حقق الإسلام وحدة عقائدية وفكرية وكفاحية بين أفراد الجماعة الاجتماعية وسعى الى بناء مؤسسات ونظم اجتماعية على أسس إسلامية في كل مجالات الحياة وحث على تفعيلها لانجاز عملية التغيير الاجتماعي المطلوب.
- ان أطوار ومراحل عملية التغيير العبادي والاجتماعي في التصور الإسلامي ليست واحدة ، وانما هي مراحل وأطوار بعضها فوق بعض. فتكون مرحلة التغيير العبادي والاجتماعي اللاحق على أعلى مرتبة من المراحل السابقة لانه يطويها ويصوب منهجها ويزيد عليها. فتكون قمة مرحلة التغيير العبادي والاجتماعي هي المرحلة التي تعقب ظهور الدين وبعد ذلك بدأ مسار حركتها بالانحدار لتنتهي عن ظهور غيره من الشرائع.

فقمة مرحلة التغيير العبادي والاجتماعي المسيحي تبتدئ بعد ان دب الهزال و التحريف في الديانة اليهودية . وبعد ان دب الضعف في مرحلة التغيير العبادي و الاجتماعي المسيحي وشابها التحريف ، ابتدأت مرحلة التغيير العبادي والاجتماعي الإسلامي والتي وصلت الى قمة تطورها في العقود الأربعة الأولى لظهورها ثم بدأ يتولى مراحل سيرها باتجاه الانحدار وتناقص الفاعلية حتى تصل الى لحظة نهاية التاريخ .

المصادر والمراجع

أولاً- القران ومصادر الحديث النبوي :

القران الكريم .

الكتاب المقدس .

١. الازدي ، سليمان بن الأشعث ابو داود السجستاني ، سنن ابي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، بلا سنة طبع .

٢. البخاري الجعفي ، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله ، صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧ .

٣. الترمذي السلمي ، محمد بن عيسى ابو عيسى ، سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر واخرون ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بلا سنة طبع .

٤. الشافعي ، احمد بن علي بن حجر ابو الفضل العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، هـ١٣٧٩ .

٥. الشيباني ، احمد بن حنبل ابو عبد الله ، مسند احمد ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

٦. القزويني ، محمد بن يزيد ابو عبد الله ، سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت ، بلا سنة طبع .

٧. النسائي ، احمد بن شعيب ابو عبد الرحمن ، سنن النسائي ، تحقيق عبد الفتاح ابو غدة، مكتبة المطبوعات الاسلامية ، حلب ، ط٢ ، ١٩٨٦ .

٨. النووي ، ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري ، شرح النووي على صحيح مسلم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، هـ ١٣٩٢ .

٩. النيسابوري ، محمد بن عبد الله ابو عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

١٠. النيسابوري ، سلم بن الحجاج ابو الحسين القشري ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

ثانياً- المصادر والمراجع العربية :

١١. ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة العلمية ، طهران ، ج٢ ، دون سنة طبع .

١٢. ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، دار لسان العرب ، بيروت ، ١٩٧٧ .

١٣. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الخامس ، دون سنة طبع .

١٤. احمد ، غريب محمد سيد ، (الدكتور) ، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٣ .

١٥. ابن خلدون ، (المقدمة) ، مكتبة الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

١٦. الاصفهاني ، الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، دون سنة طبع .

١٧. امام زكريا بشير ، اصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم ، القضايا والنظريات ، مكتبة روائع مجدلاوي ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

١٨. ايوب ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الاسلام ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

١٩. الباليساني ، احمد الشيخ محمد ، واجب الاباء والامهات ، اتجاه الابناء والبنات في الاسلام ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨ .

٢٠. باقر ، طه وآخرون ، تاريخ العراقي القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .

٢١. بحر الدين ،حاج اورانج كاي رحمات بن داتو ، التفكير الديني في العالم قبل الاسلام ، ترجمة و تعليق رؤوف شلبي ، دار الثقافة ، الدوحة ،ط١ ، ١٩٨٣ .

٢٢. بركات ، حليم (الدكتور) ، المجتمع العربي في القرن العشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

٢٣. بدوي ، عبد الرحمن (الدكتور) ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط٣ ، ١٩٧٧ .

٢٤. بدوي ، احمد زكي (الدكتور) ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٦ .

٢٥. بن منصور ، عبد الوهاب ، الحضارة والاخلاق ، كتاب المؤتمر التاسع للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، الانسان ومستقبل الحضارة ، وجهة نظر اسلامية ، عمان ، ١٩٩٣ .

٢٦. بيومي ، محمد احمد محمد (الدكتور) ، علم الاجتماع الديني ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .
٢٧. التوجيدي ، ابو حيان ، الامتاع والمؤنس ، تحقيق احمد امين واحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج٣ ، دون سنة طبع .
٢٨. الجباوي ، علي عبد الله (الدكتور) ، الفكر الانثرويولوجي في التراث الفكر العربي ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦ .
٢٩. الجرجاني ، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، دون سنة طبع .
٣٠. الجسماني ، عبد علي (الدكتور) ، الشخصية المسلمة حسب المنهاج القراني ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
٣١. الجمال ، سمير يحيى ، الانسان ذلك المخلوق العجيب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، دون سنة طبع .
٣٢. جلبي ، علي عبد الرزاق (الدكتور) ، تصميم البحث الاجتماعي والاسس والاستراتيجيات ، دار المعرفة الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ .
٣٣. الجندي ، انوار ، الاسلام والعالم المعاصر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠ .
٣٤. الجوعاني ، يونس خميس خلف ، الفاظ خلق الانسان في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٤ .
٣٥. الجوهري ، اسماعيل أبن حمّاد ، الصحاح في اللغة والعلوم ، دار الحضارة العربية ، بيروت، دون سنة طبع .
٣٦. حافظ ، ناهدة عبد الكريم ، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٨١ .
٣٧. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، الانبياء عراقيون ، مطبعة الحضارة ، بغداد ، ط٢، ٢٠٠٤ .
٣٨. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، النظريات الاجتماعية المتقدمة ، دراسة تحليلية للنظرية الاجتماعية المعاصرة ، بغداد ، ٢٠٠٣ .
٣٩. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، المدخل الى علم الاجتماع ، دار الطليعة ، بيروت ، ٢٠٠٠ .
٤٠. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، علم الاجتماع الديني ، دارسة تحليلية حول العلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية والمجتمع ، بغداد ، ٢٠٠٣ .

٤١. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، رواد الفكر الاجتماعي ، دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩١ .
٤٢. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات في بيروت ، ١٩٩٩ .
٤٣. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، علم الاجتماع ، دراسة نظامية ، بغداد ، مطبعة الجامعة ، ١٩٧٦ .
٤٤. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، علم الاجتماع ، دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية ، بغداد .
٤٥. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، طرق البحث الاجتماعي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨١ .
٤٦. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠١ .
٤٧. الحسن ، احسان محمد ، الدكتور ، البناء الاجتماعي والطبقية ، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٨٥ .
٤٨. حطب ، زهير ، الدكتور ، تطور بنى الاسرة العربية ، الجذور التاريخية والاجتماعية في قضاياه المعاصرة ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٦ .
٤٩. الحنفي ، عبد المنعم ، الدكتور ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي، ج١ ، ١٩٧٥ .
٥٠. الحسيني ، محمد جابر عبد العال ، في العقائد والاديان ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٥١. الخشاب ، مصطفى ، (الدكتور) ، علم الاجتماع ومدارسه ، مدخل الى علم الاجتماع ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٥٢. الخشاب ، مصطفى ، (الدكتور) ، علم الاجتماع ومدارسه ، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢ ، ١٩٥٦ .
٥٣. الخشاب ، مصطفى ، (الدكتور) ، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٧ .
٥٤. الخطيب ، عمر عودة (الدكتور) ، المسألى الاجتماعية بين الاسلام و النظم البشرية ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر ،ط١ ، الكويت ١٩٧٠.
٥٥. الخطيب ، محمد عبد الله ، المجتمع الاسلامي ، خصائص وحقائق ، دار المنار ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

٥٦. الخطيب ، حنا وخليل المجد ، تاريخ الفلسفة العربية ، دار المعارف ، بيروت ، ١٩٥٧.
٥٧. خليل ، عماد الدين ، (الدكتور) ، دراسة في السيرة ، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، ط٧ ، ١٩٨٣ .
٥٨. الخياط ، عبد العزيز ، المجتمع المتكافل في الاسلام ، دار السلام ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٦ .
٥٩. داؤد ، عبد الاحد ، الانجيل والصليب ، طبع في القاهرة ، ١٣٥١هـ .
٦٠. الدجاني ، احمد صدقي ، (الدكتور) ، الانسان ومستقبل الحضارة ، وجهة نظر اسلامية، كتاب المؤتمر العام التاسع ، عمان ، ١٩٩٣ .
٦١. الدجاني ، احمد صدقي ، (الدكتور) ، افكار في التغيير ، مجلة الاكاديمية للهلال للطباعة والنشر ، عدد ١١ ، ١٩٩٤ .
٦٢. الدسوقي ، محمد ، الدكتور ، منهج البحث في العلوم الاسلامية ، دار الاوزاعي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .
٦٣. الدملوجي ، فاروق ، تاريخ الاديان الالهية وتاريخ الالهة الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
٦٤. ديوارنت ، وول ، قصة الحضارة ج٢ ، م١ ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
٦٥. الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، المطبعة البهية المصرية ، مصر ، نشر دار الكتب العلمية ، حلوان ، ط٢ .
٦٦. الرازي ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ .
٦٧. الراوي ، مسارع حسن ، الدكتور ، مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الاسلام من الانسان ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٨ .
٦٨. الرشدان ، عبد الله ، الدكتور ، علم الاجتماع التربية دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٩ .
٦٩. رضا صالح بن احمد ، (الدكتور) ، الاعجاز العلمي في السنة النبوية ، المجلد الثاني ، مطبعة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠١ .
٧٠. الزحيلي ، وهبة ، الدكتور ، الانسان في القرآن ، مجلة الحضارة الاسلامية ، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية ، الجزائر ، عدد ٤ ، ١٩٩٨ .
٧١. الزيدي ، قاصد ياسر ، الطبيعة في القرآن الكريم ، دار الرشيد للنشر ، ط١ ، ١٩٨٠.
٧٢. السالم ، فيصل ، الدكتور وفرج ، توفيق الدكتور ، قاموس التحليل الاجتماعي ، دار المثلث ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

٧٣. سعفان ، حسن شحاته ، الدكتور ، تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية ، مطبعة دار الثابت ، ط١ .
٧٤. سعيد ، جودت ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، بحث في سنن تغيير النفس والمجتمع ، ط٢، ١٩٧٥ .
٧٥. سليمان ، عامر ، الدكتور ، العراق في القديم موجز التاريخ القديم ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٩٣ .
٧٦. السيد ، فؤاد البيهي ، الدكتور ، الذكاء ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦ .
٧٧. السيد ، فؤاد البيهي ، الدكتور ، علم النفس الاجتماعي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
٧٨. شبنجلر ، ازولد ، تدهور الحضارة العربية ، ج١ ، ترجمة احمد الشيباني ، بيروت ، ١٩٦٤ .
٧٩. الشرباصي ، احمد ، الدكتور ، الاسلام وتنظيم الاسرة مجموعة ابحاث ومناقشات المؤتمر الاسلامي المنعقد في الرباط ، الاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية ، بيروت ، ١٩٧٣.
٨٠. شلبي ، احمد ، الحياة الاجتماعية في التفكير الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ .
٨١. شلبي ، احمد ، مقارنة الاديان اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧ .
٨٢. الصابوني ، عبد الرحمن ، نظام الاسرة وحل مشكلاتها في ضوء الاسلام ، دار الفكر، بيروت .
٨٣. الصالح ، عباس احمد وآخرون ، الوراثة والسلوك ، مطابع جامعة الموصل ، الجزء الاول ، ١٩٩٣ .
٨٤. صقر ، عطية ، الاسرة تحت رعاية الاسلام ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٠ .
٨٥. صليبا ، جميل ، تاريخ الفلسفة العربية ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٩ .
٨٦. صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ج٢ .
٨٧. طاهر ، خليل ، الاديان والانسان ، منذ مهبط ادم حتى الاسلام ، دار مأمون للطباعة ، ط١ ، ١٩٧٦ .
٨٨. الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرد ، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن ، تحقيق محمد محمود شاكر ، مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٨٩. العاني ، عبد اللطيف العاني عبد الحميد (الدكتور) واخرون ، المدخل الى علم الاجتماع ، دار الكتب ، بغداد ، ١٩٨١ .
٩٠. العاني ، نزار محمد سعيد (الدكتور) ، الشخصية الانسانية في التراث الاسلامي ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٨ .
٩١. عبد الباقي ، زيدان (الدكتور) ، علم الاجتماع الحضري والمدن العصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
٩٢. عبد الحميد ، محسن (الدكتور) ، مذهبية الحضارة الاسلامية وخصائصها ، شركة الرشيد للطباعة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١ .
٩٣. عبد الحميد ، محسن (الدكتور) ، منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام ، مجلة دراسات اجتماعية ، بيت الحكمة ، بغداد ، العدد ٣-٤ لسنة ٢٠٠٠ .
٩٤. عبد الحميد ، محسن (الدكتور) ، الاسلام والتنمية الاجتماعية ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، ط١ ، ١٩٨٩ .
٩٥. عبد الحميد ، محسن (الدكتور) ، منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام ، مطبعة الزمان، بغداد ، ١٤٠٢هـ .
٩٦. عبد الرحمن ، عائشة (الدكتورة) ، القران وقضايا الانسان ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨.
٩٧. عبد الرحمن ، طه (الدكتور) ، روح العولمة واخلاق المستقبل ، مجلة اسلامية المعرفة ، يصدرها المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، العدد ٢٦ لسنة ٢٠٠١ .
٩٨. عبد العال ، حسن ابراهيم ، مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٥ .
٩٩. العسال ، احمد محمد (الدكتور) ، الاسلام وبناء المجتمع ، دار القلم ، الكويت ، ط٥ ، ١٩٨٢ .
١٠٠. عطية الله ، احمد ،القاموس الاسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، المجلد الاول ، ١٩٦٣ .
١٠١. علوان ، عبد الله ناصح (الدكتور) ، التكافل الاجتماعي في الاسلام ، دار السلام ، القاهرة ، ط٦ ، ٢٠٠١ .
١٠٢. عليان ، رشدي (الدكتور) واخرون ، علوم الحديث ونصوص من الاثر ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .
١٠٣. عفيفي ، محمد صادق ، (الدكتور) ، الفكر الاسلامي مبادئه ، مناهجه قيمه اخلاقه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

١٠٤. عمر ، معن خليل ، معجم علم الاجتماع المعاصر ، دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠٠ .
١٠٥. عمر ، معن خليل ، (الدكتور) ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٢ .
١٠٦. عمارة ، محمد ، (الدكتور) ، الاسلام والسياسة ، دار السلام ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤.
١٠٧. عمارة ، محمد ، (الدكتور) ، عالمنا : حضارة واحدة او تعددية الحضارات ، كتاب المؤتمر ، العام التاسع للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية : الإنسان ومستقبل الحضارة وجهة نظر إسلامية ، عمان ، ١٩٩٣ .
١٠٨. العوا ، عادل ، (الدكتور) ، الإنسان ذلك المعلوم ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٢ .
١٠٩. عويدات ، حسين ، الموت في الديانات الشرقية ، مطبعة الأهالي ، دمشق ، دون سنة طبع .
١١٠. غضيبان ، عاطف العقلة ، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي ، بحث منشور في كتاب الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٠ .
١١١. غيث ، محمد عاطف ، (الدكتور) ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .
١١٢. الفاخوري ، حنا ، وخليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، دار المعارف بيروت ، ١٩٥٧ .
١١٣. فرانكفورت ، هـ . وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، دار مكتبة الحياة ، بغداد ، دون سنة طبع .
١١٤. قطب ، سيد ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٠ ، ٢٠٠٢.
١١٥. قطب ، سيد ، في ظلال القران ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٧١ .
١١٦. قطب ، محمد ، الطاقة البشرية ، محايدة بين الشر والخير ، مجلة الدين والحياة .
١١٧. القرضاوي ، يوسف ، (الدكتور) ، الخصائص العامة للاسلام ، مؤسسة الرسالة ، الكويت ،ط١٠ ، ٢٠٠١ .
١١٨. القرضاوي ، يوسف ، (الدكتور) ، الإسلام ... حضارة الغد ، بحث منشور في كتاب المؤتمر العام التاسع الإنسان ، ومستقبل الحضارة ، وجهة النظر الإسلامية ، عمان ، ١٩٩٤ .
١١٩. القرني ، عائض بن عبد الله (الدكتور) ، مجتمع المثل دار ابن حزم ، الرياض ، ط٢ ، ٢٠٠٢ .

١٢٠. قنديلجي ، عامر إبراهيم ، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٣ .
١٢١. الكبيسي ، احمد عبيد (الدكتور) ، العقل و القرآن حميمان فرق بينهما الجهل ، بحث منشور في كتاب (مكانة العقل في الفكر العربي) مركز دراسات الوحدة العربية–المجمع العلمي العراقي، بيروت ١٩٩٦ .
١٢٢. كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، دار الكتاب ، بيروت ، دون سنة طبع .
١٢٣. كروم ، حسنين ، (الدكتور) ، محمد ونظرية الثورة والتنظيم ، محمد نظرة عصرية جديدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢ .
١٢٤. ماج جاولس ، المجتمع في العقل ، ترجمة الدكتور إحسان محمد الحسن ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ .
١٢٥. الماجد ، عبد الرزاق مسلم ، مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ترجمة وتأليف منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، دون سنة طبع .
١٢٦. ماكيفر ، ر.م وسارلز بيدج ، المجتمع ، ترجمة السيد محمد العزاوي واخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، ج١ ، ١٩٧١ .
١٢٧. محمد ، محمد علي ، واخرون ، المجتمع والثقافة والشخصية ، المكتبة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ .
١٢٨. محمد زعراط ، الانسان في القرآن الكريم ، مرحلة الخلق نموذجاً ، مجلة الحضارة الاسلامية ، العدد الرابع ، ١٩٨٨ ، وهران .
١٢٩. فجر الدين ، حاج ، ورانج كاي ، حمات بن داتور التفكير الديني في العالم قبل الاسلام، ترجمة وتعليق رؤوف شلبي ، دار الثقافة ، الدوحة ، ط١ ، ١٩٨٣ .
١٣٠. مدكور ، ابراهيم (الدكتور) واخرون ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة الكتاب ، ١٩٧٥ .
١٣١. مطر ، (سيف الاسلام علي) ، التغيير الاجتماعي دراسة تحليلية بالمنظور التربية الاسلامية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، ط٢ ، ١٩٨٨ .
١٣٢. مظهر ، سليمان ، قصة الديانات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .
١٣٣. الملاح ، هاشم يحيى (الدكتور) ، المفصل لفلسفة التاريخ ، المجمع العلمي العراقي ، ط١ ، ٢٠٠٥ .
١٣٤. ميشيل دنكن ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور احسان محمد الحسن ، دار الرشيد، بغداد ، ١٩٨٠ .

١٣٥. نجاتي ، محمد عثمان (الدكتور) ، القران وعلم النفس ، الدار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٢ .
١٣٦. النوري ، قيس ، (الدكتور) ، الحسني ، عبد المنعم ، (الدكتور) ، النظريات الاجتماعية، دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٥ .
١٣٧. الوتاري ، ايمن توفيق عبد الله ، الالفاظ النفسية في القران ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة الموصل ، سنة ١٩٩٤ ، غير منشورة .
١٣٨. اليان ج ، ويد جيري ، المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس الى توينبي ، ترجمة ذوقاف فرقوط ، دار القلم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢ .

ثالثاً– المصادر الاجنبية :

139. Beirstedt , Robert, 1957 "The Social Order" McGraw- Hill. Book co. Inc, New York.
140. Coser, L-A-Masters of Sociological thought, New York, Har Coust Brace Jovanovich Publishers, 1977.
141. Durkeim, Emile, Division of labour in Society- New York the free press, 1956.
142. Davis, Kingsley, 1968 "Primary and secondary Relation ship" Mcnall, Scott" ed.) The sociological perspective, little, Brown and Co, Boston.
143. Faurchild H. P. Dictionary of Sociology, New York, Free Press, p.56.
144. Frolov, I; Dictionary of philosophy, progress publishers, Moscow, 1984.
145. Jack Rothman, Planning and Organization for Social change, University Press, New York, 1974.

146. Harry Elmer Barney, An Introduction to the History of sociology, the university of Chicago, p.3.
147. Kane – T. S – Social problems, prentice , Hall Inc., 1961.
148. Martindale. P., The Nature and types of sociological theory Houghton Mifflin, Co., Boston, 1981.
149. Merton, R, Social Theory and Social Structure, The Free Press, New York, 1968.
150. Noah, Webster, Webster New Twentieth century Dictionary second Edition, William Collins, 1978.
151. Toynbee, A, The Study of History "Selected Studies", Oxford University Press, London, 1978.
152. Wallace, Anthony, F., C, Religion "Anthropological view", New York Random House, 1966.
153. Williams, Robin, The concept of Values L. Sills needy, International Encyclopedia of the social sciences, the Macmillan company and the free press, New York, Vol. 16, 1968.
154. Weber, Max 1968 "Basic concepts in Sociology translated by scher", H. P. the cited press, New York.
155. Young P. V., Scientific Social Survey and Research.

Summary and Conclusions of the Thesis Entitled:

"Social Though in Islam As It is Reflected in the Holy Prophetic Discourse "

The thesis attempts to highlight the major elements of social thought in Islam, a thought which is manifested in the discourses pertaining to prophet Mohammed, God Bless him. Social thought in Islam as regards the holy prophetic Discourse don not concern material issues only but it concerns moral, ethical and spiritual issues as well.

The thesis aims at revealing the genuine social philosophy of Islam, a philosophy which concerns it-self with the way in which Moslems behave and interact with one another.

Moreover, such a philosophy endeavours to arrange and organize the affairs of Moslem society as a whole. Social thought in Islam trys to differentiate between positive and negative social values, ethics and morals. It also urges Moslems to adhere by positive social values like honesty, integrity, humility, altruism, frankness, cooperation, justice and equality and abandons negative social values, like lies, hypocracy, arrogance, harming others, egoism and self-love and so on.

The thesis in its entirety has three major objectives, these are:

A. Reflection upon the main elements which constitute social thought in Islam.
B. Analyzing the basic components of Moslem social thought as it is manifested in the holy prophetic and missionary discourse.
C. Dwelling upon the fundamental social ideals of Islam like justice, equality, Freedom, Permissiveness, and transparency.

But the thesis has an important objective which lies in the indication and simplification of the essential spiritual and non-spiritual principles carried by prophet Mohammed, God bless him, to reform the people and make them aware of the message and teachings of God,

so that people become honest and straight in their dealings with others.

The thesis by its nature is a theoretical study which does not involve it self in field investigation . thus it adopt special research methods which coincide with its purpose. The research methods used in the thesis are the historical, comparative, inductive, deductive methods. Such methods allowed the researcher to gather the necessary information which constituted the main material of the research.

Also the thesis has utilized the structural-functional theory as a theory expounding and interpreting the basic elements of the research.

Such a theory is used to enable the research to understand and comprehend the working of the social Institutions which make up the social structure of Moslem society, such social institution studied in the thesis are economic, family, religious , political and educational institutions, the study is supported and sustained by a large number of prophetic discourse.

The thesis is composed of nine chapters, each chapter has a number of topics which provided the materials to the said chapters.

One chapter in the thesis deals with the definitions of technical terms and concepts used in the research. The second chapter deals with the review of literature concerning the subject studied ,. The thirds chapter is concerned with the methodological and theoretical background of the research. Chapter four studies the nature of social thought in the ancient past . such a chapter emphasizes the main types of religions known to man in the past including the three heavenly religions.

Chapter five deals with man in the Islamic social thought as regards his origin, development and change. Chapter six investigates group in Islamic social thought.

Whereas chapter seven analyses society in Islamic social thought. Chapters eight and nine study the programs of social change in Islam and summary and conclusions respectively.

Social Though in Islam
As It is Reflected in the Holy Prophetic Discourse

A Ph.D. Thesis submitted by
Shallal Hameed Suliman
to the Council of the College of Arts,
University of Baghdad as A Partial Fulfillment of
the Requirements of the Doctor of Philosophy
Degree in Sociology.

Under the supervision of

Prof. Dr. Ihsan M. Al-Hassan and Prof. Dr. Mehsen Abdul Hameed.

Baghdad, 2005